مكافحةُ الأئمةِ علِي والحسنَين وزين العابدِين والباقرِ والصادقِ لدعوى النص فِي أهلِ البيت - دراسة مقارنة

أ. سعود جاسم جابر العدواني*، د. محمد السيد البساطي**
د. سامي سمير عبد القوي***

سلم البحث في ٢/١/١٤٤٢هـ بسم الله الرحمن الرحيم اعتمد للنشر في ١٢/١/١٤٤٢هـ

ملخص البحث:

يهدف البحث إلى تسليط الضوء على موقفِ الْأَئِمَّةِ السِتَّةِ من عَقِيدَةِ الْإمامة، ومشكلتها تتشكَّل بكونها نظرية موهومة نسبت زوراً لآل بيت النَّبِيِّ ﷺ الكريم من الشِّيعَةِ الاثنى عَشْرِيَّة، والمنْهَجُ المُتَّبع هُوَ المنْهَجُ الْوَصْفِي التَّحْلِيلِي النَّقْدِيّ، كَمَا اسْتَعَنْتُ بِالْمِنْهَجَيْنِ الاِسْتِقْرائي وَالْمُقَارَن، وذلكَ بِرصدِ موقفِ الْأَئِمَّةِ السِتَّةِ من عَقِيدَةِ الْإمامةِ مِنْ كُتُبِ الفرقين –السُّنَّةِ والشِّيعَةِ– خَاتِمًا بِمَا خَلُصْتُ إِلَيهِ مِنْ نَتَائِج مهمة، والتي من أبرزها: أنَّ الْإمامةَ لها منزلةُ وأهميته عند القوم، بل هي قُطب الرحى الذي تدور حولها جميع عقائدهم، والغرضُ منها إبطال إمامةُ الخلفاء الراشدين مع تكفيرِ الصحابة الميامين، كما أنجمَ على تقديسها مفاسد خطيرة على حظيرة الإسلام وعلى ربوع المسلمين، والتي من أعظمها القول بتحريف القرآن، واتهام الصحابة بحذف الأدلة التي تنص على إمامة (١٢)، لكن انهارت هذه النظرية المشؤومة والوصاية المزعومة، بسبب المواقف الواضحة للأئمة الستة المشهودة، كما تبين أمر لا ينبغي إغفاله، وهو أنَّ الْإمامة خرجت من بطن ابن سبأ اليهودي المتمسّلِم.

الكلمات المفتاحية: آلُ الْبَيْتِ، الْإمامة، الشِّيعَة.

Abstract:

The research aims to highlight the position of the six imams of the doctrine of the Imamate, and its problem is formed as a delusional theory falsely attributed to the family of the house of the Prophet (pbuh) of twelver Shi'a Shi'a, and the approach adopted is the descriptive method of critical analysis, as i used the inductive and comparative approaches, by monitoring the position of the six imams of the imamate from the books of the two bands - Sunni and Shia - in conclusion of their important conclusions. The imamate has its place and importance to the people, but it is the pole of rahh, which revolves around all their beliefs, and its purpose is to annul the

* طالب بمرحلة الدكتوراه في قسم الدعوة وأصول الدين، كلية العلوم الإسلامية، جامعة المدينة العالمية.
saud٩٧١١@gmail.com

** دكتور في قسم الدعوة وأصول الدين، كلية العلوم الإسلامية، جامعة المدينة العالمية.
mohamed.elbosaty@mediu.my

*** دكتور في قسم الدعوة وأصول الدين، كلية العلوم الإسلامية، جامعة المدينة العالمية.
sami.abdelkawi@mediu.edu.my

imamate of the caliphs with the atonement of the ma'ameen sahaba, as well as the revulsion of its reverence for the fold of Islam and the muslims, the greatest of which is to say the distortion of the Qur'an, and to accuse the Sahaba of deleting the evidence that provides for the imamate of the twelve, but this ominous theory and the so-called commandments collapsed. Because of the clear positions of the six imams, as it turns out, something that should not be overlooked, which is that the imamate came out of the belly of the Muslim Jew Ibn Saba.

Key words: Al-Bayt, the Imamate, the Shi'a.

المقدمة:

الحمدُ لله ربِّ العَالمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ على أشرفِ الأنبياءِ وَالمُرْسَلِين، وعلى آلهِ الطيبين الطاهرين، وعلى جميع صحبِه الغر الميامين، ومن تبع هديه إِلى يَوْمِ الدِّين، أَما بَعْد: فإنَّ آلَ بيت النبيّ ﷺ جعل الله لهم تبارك وتعالى محبة في قلوب الأمة، وذلك لشرف نسبهم وقربهم منه ﷺ، ورغم ذلك فهم كغيرهم من البشر، فلا يجوز (**الغُلُوّ**) فيهم، أو اعتقاد عصمتهم، ولا رفعهم فوق منزلتهم التي أنزلها الله سبحانه وتعالى لهم، وأنزلها النبيّ ﷺ.

لكنَّ هُناكَ من النَّاس من أرادَ تشويهَ عقيدةَ آل بيت النبيّ ﷺ، فنَسبُوا لهم من الأقوالِ والآراءِ ما هُمْ مِنْها بُراءُ براءةَ الذِّئبِ مِن دمِ يوسُف، كدعوى عَقِيدَةِ النَّصِّ فيهم، فوقَعُوا في مُخالفةِ القُرآن، والتَّعدِّي على سِّيدِ الأَنامِ عليهِ أفضلُ الصَّلاةِ وَالسَّلام. لذا قال ابنُ تيميَّة –وهو الخبير بهم– في كتابه (منهاج السنة) الذي ألفه للرد على الشيعة: "وَلَكِنَّ الْإماميَّةَ تُخَالِفُ أَهْلَ الْبَيْتِ فِي عَامَّةِ أُصُولِهِمْ، فَلَيْسَ فِي أَئِمَّةِ أَهْلِ الْبَيْتِ– مِثْلُ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ، وَأَبِي جَعْفَرٍ الْبَاقِرِ وَابْنِهِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ مَنْ كَانَ يُنْكِرُ الرُّؤْيَةَ، أَوْ يَقُولُ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ، أَوْ يُنْكِرُ الْقَدَرَ، أَوْ يَقُولُ بِالنَّصِّ عَلَى عَلِيٍّ"(١)(٢)

مُشكّلَةُ البَحْث:

مشكلتها تتشكَّل بكونها نظرية موهومة نُسبت لآل بيت النَّبِيِّ ﷺ السِتَّةِ الكريم من الشِّيعَةِ الاثنى عَشْرِيَّة زوراً وبهتاناً.

أسْئِلَةُ البَحْث:

١– كيفَ كافحَ أَئِمَّةِ آلِ الْبَيْتِ السِتَّةِ دَعْوَى النَّص فِي أهْلِ الْبَيْتِ.

٢– مَا الغرضُ مِنَ وَراءِ اعتِقادِ الِاثنى عَشْرِيَّة لعَقِيدَةِ الْإمامة فِي أهْلِ الْبَيْتِ.

أَهدافُ البَحْث:

١– يهدفُ إِلى إِبطالِ أَئِمَّةِ آلِ الْبَيْتِ السِتَّةِ لدَعْوَى النَّص فِيهِمْ.

٢– الْكَشْفُ عَنْ الغرضُ مِنَ وَراءِ اعتِقادِ الِاثنى عَشْرِيَّة لعَقِيدَةِ الْإمامة فِي أهْلِ الْبَيْتِ.

أَهمِّيَةُ الموضُوعِ:

١- إِثَارَةُ الْحَرَاكِ الْفِكْرِيِّ وَالتَّوَجُّهِ نَحْوَ التَّصْحِيحِ وَالْإِعْتِدَالِ لَدَى عُقَلَاءِ الشِّيعَةِ، عَنْ طَرِيقِ تَحْقِيقِ مَوْقِفِ أَئِمَتِهِمُ السِتَّةِ الْعَقَدِيِّ تجاه نظرية الْإمامةِ.

٢- إِنَّ الدِّفَاعَ عَنْ آلِ الْبَيْتِ إِنَّمَا هُوَ دِفَاعٌ عَنِ الدِّينِ عُمُومًا، وَعَنِ النَّبِيِّ ﷺ خُصوصاً.

مَنْهَجُ البَحْثِ:

المنْهَجُ المُتَّبع هُوَ المنْهَجُ الْوَصْفِي التَّحْلِيلِي النَّقْدِيّ، كَمَا استَعَنْتُ بِالْمِنْهَجَيْنِ الإِسْتِقْرائي وَالْمُقَارن، وذلكَ بِرصدِ موقفِ الْأَئِمَّةِ السِتَّةِ من عَقِيدَةِ الْإمامةِ مِنْ كُتُبِ الفرقين.

حُدودُ البَحْثِ:

المرادُ بأَئِمَّةِ آلِ الْبَيْتِ همْ: عَلِيًا وَالْحَسَنَيْنِ وَزَيْنَ الْعَابِدِينَ وَالْباقِرَ وَالصَّادِقَ، وأَنَّي إِذَا ذَكَرتُ الْأَئِمَّةَ السِّتَّةَ (اخْتِصَارًا) فَأَقْصِدُّهِمْ.

الدِّراسَاتُ السَّابِقَةُ وَالْفَرْقُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الدِّرَاسَةِ الْحالِيَّةِ:

وهَذِهِ الدِّرَاسَاتُ شَبِيهَةٌ بِجَانِبٍ مُعَيَّنٍ لِلْبَحْثِ:

١- فَالْمَوْجُودُ إِمَّا كِتَابٌ مُتَخَصِّصٌ في جَانِبٍ مُعَيَّنٍ كَكِتَابِ: الأدلة العقلية على الإمامة عند الشِّيعَةِ الاثنى عَشْرِيَّةِ -عرض ونقد- إيمان بنت صالح العلواني: جَامِعَةُ أم القرى، مكة المكرمة (١٤٠٩هـ).

٢- وَكِتَابٌ اقْتَصَرَ عَلَى ذِكْرِ عَقِيدَةِ أَهلِ السُّنَّةِ للإمامة، عَلَى نَحْوِ مَا صَنعَ د: عبد الله بن عمر الدميجي فِي رِسَالَتِهِ" الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة: جَامِعَةُ أم القرى، مكة المكرمة (١٤٠٨هـ).

٣- رِسَالَةٌ في: عَقِيدَةُ أَهلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ في الصَّحَابَةِ وَأَهْلِ الْبَيْتِ وَالرَّدُّ عَلَى الشِّيعَةِ الاثنى عَشْرِيَّةِ - د. عَلاءُ بِكْرٍ، دَارُ الْعَقِيدَةِ، (١٤٢٣هـ).

٤- وأيضاً: الْخَلِيفَتَانِ عُثْمَانُ وعليٌ م بَيْنَ السَّنَةِ وَالشِّيعَةِ الاثنى عَشْرِيَّة: لِلدُّكْتورِ: أنورُ بْن عِيسَى السَّلِيمِ، رِسَالَةُ دُكْتوراهٍ فِي جَامِعَةِ الْإمام مُحَمَّدٍ بْن سُعُودِ الْإِسْلَامِيَّةِ (١٤١٨هـ).

* وَهَذِهِ الدِّرَاسَاتُ تَخْتَلِفُ عَنْ دَرَّاسَتِي، مِنْ حَيْثُ أُسْلوبِ الْمُعَالَجَةِ، وحُدودُ الْبَحْثِ.

فَتِلْكَ الدِّرَاسَاتُ السَّابِقَةُ فِي مُجْمَلِهَا تُرَكِّزُ عَلَى جَانِبِ الرُّؤْيَةِ الشَّرْعِيَّةِ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ لِكُلٍّ مِنَ الصَّحَابَةِ وَآلَ البَيْت، أَوِ الرُّؤْيَةِ الشِّيعِيَّةُ الْعَقَدِيَّةَ لهُم، في حِينِ أَنَّ الدِّرَاسَةَ الْحَالِيَّةَ سَتُرَكِّزُ على الجُهْدِ في تَوْضِيح "مُكَافَحَةُ الْأئِمَّةِ عَلِيٍّ وَالْحسَنَيْنِ

وَزَيْنِ الْعَابِدِينَ وَالْبَاقِرِ وَالصَّادِقِ لِدَعْوَى النَّص فِي أَهْلِ الْبَيْتِ عندَ الشِّيعَةِ "دِرَاسَةٌ مُقَارِنَةٌ".

المَبْحَثُ الأَوَّلُ

مُكَافَحَةُ الأئِمَّةِ: عَلِيٍ وَالْحَسَنَيْنِ وَزَيْنِ الْعَابِدِينَ وَالْبَاقِرِ وَالصَّادِقِ لِدَعْوَى النَّص فِي أَهْلِ الْبَيْتِ

أولاً: الْمَرادُ بالْإمامةِ لُغةً:

الإمام جمع (أئمة) وهو كلّ من اقتُدِيَ به، وقُدُّم في الأمور فهو إمام، وَيفْعل كَفِعْلِهِ، ويقصد مَا قَصد، وذكر غير واحد من أرباب اللغة بأنها تدور حول: كُلُّ مَنِ ائتَمَّ بِهِ قومٌ (من رَئِيسٍ أَو غَيْرِه)، كَانُوا عَلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ أَو كَانُوا ضالِّين(٣).

ثانياً: تعريف الْإمامةِ (عند أهلِ السنَّة):

أقوال أهل العلم متقاربة في معناها، ما ذكره صاحب الأحكام السلطانية فقال: "الْإِمامةُ: مَوْضُوعَةٌ لِخِلَافَةِ النُّبُوَّةِ، فِي حِرَاسَةِ الدِّينِ وَسِيَاسَةِ الدُّنْيَا"(٤)(٥).

ثالثاً: مفهوم عَقِيدَةِ الْإمامةِ (عند الشيعة):

يصور لنا علماء الشيعة مفهوم نظرية الْإمامةِ الخاطئ، فهذا محمد المظفر (ت١٣٨٣هـ) عميد كلية الفقه في النجف يقول: "إنَّ الإمامة لا تكون إلا بالنص من الله تعالى على لسان النبي أو لسان الإمام الذي قبله، وليست هي بالاختيار والانتخاب من الناس، فليس لهم إذا شاءوا أن ينصبوا أحدا نصبوه، وإذا شاءوا أن يعينوا إماما لهم عينوه، ومتى شاءوا أن يتركوا تعيينه تركوه، ليصح لهم البقاء بلا إمام"(٦)

رابعا: منزلةُ الْإمامةِ وأهميتها (عندَ الشيعة):

(الإمامة) إحدى عقائد الشيعة الإمامية، بل هي قُطب الرحى الذي تدور حوله تلك العقائد، وإذا أردت أن تعرف مكانتها عندهم، فما عليك إلا أن تتصَّور مكانة الشهادتين عندنا أهل السنة، ولعلو شأنها عندهم صنَّف فيها الكثير، وأفردت بمؤلفات عديدة يصعب حصرها(٧)، بل لأهمية (الإمامة) لديهم أطلقوا على أنفسهم لقب الإمامية(٨)، وسيتبين بمشيئة الله من خلال النقاط الآتية منزلتها (عندَ الشيعة):

١- **الْوَلَايَةُ أَفْضَلُ أركانُ الإِسْلَامُ:** لمكانة الإمامة فقد عدَّوها أَفْضَلُ أركانُ الإِسْلَامُ الخمسة، ومما أورده تحت هذا الباب ما نسبوه إلى أبي جعفر أنه قال:" بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسَةِ أَشْيَاءَ عَلَى الصَّلَاةِ والزَّكَاةِ والْحَجِّ والصَّوْمِ والْوَلَايَةِ قَالَ زُرَارَةُ(٩): فَقُلْتُ: وأَيُّ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ أَفْضَلُ فَقَالَ الْوَلَايَةُ أَفْضَلُ لأَنَّهَا مِفْتَاحُهُنَّ"(١٠).

٢- **أنَّها أصلٌ من أصولِ الدين لا يتمُّ الإيمان إلاَّ بالاعتقاد بها:** نصَّ على ذلك

صاحب كتاب عقائد الإمامية فقال:"نعتقدُ أنَّ الإمامة أصلٌ من أصول الدين لا يتمُّ الإيمان إلاَّ بالاعتقاد بها [١١].

٣- **كونها كالنُّبوة:** فقد زعموا بأنَّ الإمامة منصبٌ إلهيٌّ كالنبوة[١٢]: كما صرح بذلك الكليني[١٣] في كافيه، عن الصادق زوراً حيث يَقُولُ:"الأَئِمَّةُ بِمَنْزِلَةِ رَسُولِ اللَّه ﷺ إِلَّا أَنَّهُمْ لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ ولَا يَحِلُّ لَهُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَا يَحِلُّ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَأَمَّا مَا خَلَا ذَلِكَ فَهُمْ فِيه بِمَنْزِلَةِ رَسُولِ اللَّه ﷺ"[١٤].

٤- **قبول أعمال العباد متوقف على اعترافهم بالإمامة:** ولمنزلتها قد جعلت الشيعة مدار قبول الأعمال من العباد علَى الإيمان بالإمامة؛ فقد افتروا على الصَّادِقِ بأنه قَالَ: "أَثَافِيُّ[١٥] الْإِسْلَامِ ثَلَاثَةٌ: الصَّلَاةُ وَالزَّكَاةُ وَالْوَلَايَةُ، لَا تَصِحُّ وَاحِدَةٌ مِنْهُنَّ إِلَّا بِصَاحِبَتَيْهَا"[١٦].

ومعتقد الاثنى عشرية مبني على مقالة الإمامة لآل البيت، وعليه كانت عقيدة الوصية لتحقيق هذا الأصل، فهذه هي منزلة الإمامة ومكانتها وقداستها عند الشيعة الاثنى عشرية.

خامسا: مؤسس عَقِيدَةِ (الْإمامةِ) يهودي:

بِدَعْوَى الْإمامةِ وَالنَّصِّ.. ابن سبأ قذف بفكرة الوصية نفْثةً خبيثة من سُمومه، نعم.. ابن سبأ اليهودي المتُمسْلم، أول من أخترع هذه العقيدة، ألقاها في عالم الإسلام، لم يسبقه اليها أحد، بأن الإمامة هي وصاية من النبي، ومحصورة بالوصي، فقد ذُكر هذا في أوثق كتبهم، ونطق به كبار علمائهم وشهدوا بأنَّ ابن السوداء "هو أول من شهر القول بفرض إمامة علي عليه السلام[١٧]وأظهر البراءة من أعدائه، وكاشف مخالفيه وكفرهم"[١٨][١٩]، ففي هذا الاعتراف الذي نسجله على كبار علماء الشيعة، أعظم دليل على أصل الشيعة مأخوذ من اليهودية. وفي هذا المقام نشير إلى أن فكرة الوصية التي اعتمد عليها ابن سبأ ذكرت في التوراة في إصحاح (١٨) من سفر (تثنية الاشتراع) وفيه أنه لم يخلُ الزمان أبدا من نبي يخلف موسى ومن نوعه ولكل نبي خليفته إلى جانبه يعيش أثناء حياته[٢٠][٢١].

سادساً: الغرض من عَقِيدَةِ (الْإمامةِ): الهدف من مقالةِ النصية والأحقية بإمامة علي، إبطال إمامة الخلفاء الراشدين الثلاثة من قبله وتكفير الصحابة، ألم تر إلى أنَّ ابن سبأ عندما غرس دعوى فرضية إمامة علي رضي الله عنه[٢٢]، أردفها بالبراءة من أعدائه، وكاشف مخالفيه وكفرهم، وهم الخلفاء الراشدين -أبو بكر وعمر وعثمان والصحابة الميامين[٢٣]- ففضح غرضه السيء للناس، وخبثه وشدة حِقْده على المهاجرين

والأنصار[٢٤]. بل اعترف علماؤهم بأنَّ الصحابة غصبوا أهل البيت حقهم وصدوا عن أمير المؤمنين عليه السلام من ولاية الأئمة، فزعموا في سبب نزول قوله تعالى:﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمد:١] بأنها:" نزلت في أصحاب رسول الله ﷺ وآله الذين ارتدوا بعد رسول الله ﷺ وآله وغصبوا أهل بيته حقهم، وصدوا عن أمير المؤمنين عليه السلام من ولاية الأئمة"[٢٥]، فالشيعة يَقُولُونَ بتكفير الصَّحَابَة، لأَنهم عاندوا بترك النَّص على إمامة عَليّ رضي الله عنه [٢٦].

سابعا: نقض (الإمامةِ والنَّصيةِ) بمواقف الأئمَّةِ السِتَّةِ:

كان لعلماء أئِمَّةِ أهل البيت السِتَّةِ الفضل في إبطال مزاعم الشيعة الاثنى عشرية حول نظرية الإمامة والوصية المزعومة، فمن تلك المواقف المشهودة:-*

موقف الخليفة الراشد علي رضي الله عنه: فمن مواقف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كما سجل عنه في(نَهْجِ الْبَلَاغَةِ) [٢٧]، وهو من الكتب المقدسة[٢٨] عند الإمامية ما يثبت براءة آل البيت من هذه المقالة، وأنه لا نص ولا وصية عليه ولا غيرة من الأئمة الستة، فمن أقواله على سبيل المثال لا الحصر:

١- قد أقسم على أنه لا يرغب في الخلافة فقال: "والله ما كانت لي في الخلافة رغبة ولا في الولاية إربة ولكنكم دعوتموني إليها وحملتموني عليها "[٢٩].

٢- ومن كلامه في رفضها: "دعوني والتمسوا غيري..وأنا لكم وزيراً خير لكم من أميراً"[٣٠]، كيف رجل منصب من الله يقول دعوني والتمسوا غيري.

٣- وقال أيضاً مُنزهاً نفسه عنها: ((إني لم أرد الناس حتى أرادوني ولم أبايعهم حتى بايعوني)) [٣١]، فلم يكن رضوان الله عليه حريصاً عليها.

٤- وكان يرى أن الخلافة بالشورى وهو يحدثنا عن هذا الأمر بكل وضوح وصراحة ويؤكد شرعية انتخاب الخلفاء وعدم وجود نص سماوي في أمر الخلافة فقال: "إنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار ولا للغائب أن يرد، وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار، فإن اجتمعوا على رجل وسموه إماماً كان ذلك لله رضا"[٣٢]، وقال:" وإنما الخيار للناس قبل أن يبايعوا " [٣٣]، فمبدأ الشورى هو منهج آل البيت الكرام، وليس النص والتعيين.

٥- ولَمَّا ظَهَرَ عَلِيٌّ رضي الله عنه عَلَى النَّاسِ يَوْمَ الْجَمَلِ، ترددت شبهة الوصاية لعلي حتى شاعت، وإذ به رضي الله عنه ينبري لرد تلك الشائعة، فيقوم خطيباً حيث قال: "إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَعْهَدْ إِلَيْنَا فِي الْإِمَارَةِ عَهْدًا، وَلَكِنَّهُ رَأْيٌ رَأَيْنَاهُ" [٣٤].

٦- وعند وفاته رضي الله عنه يكذب مزاعم الشيعة بالوصية، فقِيلَ لِعَلِيٍّ:" أَلَا تُوصِي قَالَ: مَا

أَوْصَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأُوصِي، اللَّهُمَّ إِنَّهُمْ عِبَادُكَ فَإِنْ شِئْتَ أَصْلَحْتَهُمْ وَإِنْ شِئْتَ أَفْسَدْتَهُمْ"[٣٥].

٧-وقام يوماً الأمير رضي الله عنه خطيباً إمام الجموع فقَالَ بصوتٍ مسموع:" مَنْ زَعَمَ أَنَّ عِنْدَنَا شَيْئًا نَقْرَؤُهُ إِلَّا كِتَابَ اللهِ وَهَذِهِ الصَّحِيفَةَ -قَالَ: وَصَحِيفَةٌ مُعَلَّقَةٌ فِي قِرَابِ سَيْفِهِ- فَقَدْ كَذَبَ، فِيهَا أَسْنَانُ الْإِبِلِ، وَأَشْيَاءُ مِنَ الْجِرَاحَاتِ.."[٣٦][٣٧].

ويقول اين حجر الهيتمي معلقاً: "فَهَذِهِ الطّرق كلهَا عَن عَليّ متفقة على نفي النَّص بإمامته، وَوَافَقَهُ على ذَلِك عُلَمَاء أهل بَيته"[٣٨]، وأمثال هذه الكلمات كثيرة جداً من الإمام الأول للاثنى عشرية التي تدل على عدم النص على إمامته رضي الله عنه.

أولا: موقف السيّد المصلح الحسن بن علي رضي الله عنه من النصية: وقد سار الحسن على منهج من سبقه من آل البيت، فمن الروايات الدالة من كتب القوم على براءته من دعوى النصية والأحقية بالإمامة:

١- ما قاله لشيعته:" إن علياً لما مضى لسبيله -رحمة الله عليه- يوم قبض ويوم منّ الله عليه بالإسلام، ويوم يبعث حياً، ولآني المسلمون الأمر من بعده"[٣٩]، أفادت هذه الرواية على أن البيعة تمت للإمام الحسن باختيار الناس له لا بالوصية من علي ولا بنص من الله ورسوله ﷺ.

٢- واجْتَمَعَ النَّاسُ إِلَى الْحَسَنِ رضي الله عنه بَعْدَ وَفَاةِ أبيهِ عَلِيٍّ رضي الله عنه، فَخَطَبَهُمْ فَحَمِدَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: "إِنَّ كُلَّ مَا هُوَ آتٍ قَرِيبٌ، وَإِنَّ أَمْرَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَوَاقِعٌ، مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ، وَلَوْ كَرِهَ النَّاسُ، وَإِنِّي مَا أُحِبُّ أَنْ أَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ مَا يَزِنُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ، يُهَرَاقُ فِيهِ مُحْجَمَةٌ مِنْ دَمٍ، قَدْ عَرَفْتُ مَا يَنْفَعُنِي مِمَّا يَضُرُّنِي، فَالْحَقُوا بِطِيبَتِكُمْ"[٤٠].

نستفيد من هذا النص عن الْحَسَنِ رضي الله عنه إبطال الإمامة المشؤومة.

٣- ومن كلامه رضي الله عنه أيضاً ما كتبه في كتاب الصلح لمعاوية:" بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما صالح عليه الحسن بن علي بن أبي طالب معاوية بن أبي سفيان، صالحه على أن يسلم إليه ولاية أمر المسلمين على أن يعمل فيهم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وسيرة الخلفاء الراشدين، وليس لمعاوية بن أبي سفيان أن يعهد إلى أحدٍ من بعده عهداً، بل يكون الأمر من بعده شورى بين المسلمين..."[٤١]. فلا شك أنه وهو يبايع معاوية لم يحتج الإمام الحسن بالأمر الإلهي ولا بالنص النبوي.

٤-ويؤكد السيّد المصلح كذب دعوى النصية قوله رضي الله عنه عن نفسه حيث يقول لأصحابه:" إن هذا الأمر الذي أختلف فيه أنا ومعاوية إما أن يكون حق امرئ فهو

أحق به مني، وإما أن يكون حقاً هو لي فقد تركته"(٤٢)، فلو كان منصوصاً عليه كما زعمت الشيعة، لما وسعه الحسن بن علي أن يسلم الخلافة إلى معاوية بن أبي سفيان(٤٣)

٥- وعن جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ:" قُلْتُ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ:" إِنَّ النَّاسَ يَزْعُمُونَ أَنَّكَ تُرِيدُ الْخِلَافَةَ. فَقَالَ: كَانَتْ جَمَاجِمُ الْعَرَبِ بِيَدِي، يُسَالِمُونَ مَنْ سَالَمْتُ، وَيُحَارِبُونَ مَنْ حَارَبْتُ، فَتَرَكْتُهَا الْتِمَاسَ رَحْمَةِ اللَّهِ، ثُمَّ ابْتُلِيَ بِهَا نَاسٌ.."(٤٤)، فهذا نص صريح وواضح منه رضي الله عنه في ذم دعوى الوصية والإمامة.

٦- ومما يدل على سقوط القول بالنصية ما ذكره والد الحسن-علي-، عندما كان على فراش الموت وذلك بعد أن ضربه "ابن ملجم" المرادي بالسيف المسموم، فدخل عليه الناس يسألونه أيبايعون الحسن بعده؟ فقال: ((لا آمركم ولا أنهاكم، وأنتم أبصر))(٤٥).

٧- وقِيلَ لأبي الحسن عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه: أَلَا تَسْتَخْلِفُ عَلَيْنَا فأجابهم إجابة من يعلم تمام العلم أن لا نص للحسن ولا على أحد من أولاده ": مَا اسْتَخْلَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَسْتَخْلِفُ، وَلَكِنْ إِنْ يُرِدُ اللَّهُ بِالنَّاسِ خَيْرًا، فَسَيَجْمَعُهُمْ بَعْدِي عَلَى خَيْرِهِمْ، كَمَا جَمَعَهُمْ بَعْدَ نَبِيِّهِمْ عَلَى خَيْرِهِمْ"(٤٦).

٨-بل كان الحَسَنَ حتى لَمَّا حضرته الوفاة قَالَ لِلْحُسَيْنِ أخيه موصياً " يَا أَخِي: وَإِنِّي -وَاللهِ- مَا أَرَى أَنْ يَجْمَعَ اللهُ فِيْنَا -أَهْلَ البَيْتِ- النُّبُوَّةَ وَالخِلاَفَةَ ؛ فَلاَ أَعْرِفَنَّ مَا اسْتَخَفَّكَ سُفَهَاءُ أَهْلِ الكُوْفَةِ، فَأَخرَجُوكَ "(٤٧)، وصدق والله لو أراد الله ذلك لآل البيت، لأبقى الله تعالى إبراهيم ابن النبيّ ﷺ.

ثانيا: موقف السيّد الشهيد الْحُسَيْنُ رضي الله عنه من الوصاية: فأما الإمام الحسين رضي الله عنه، فقد أبطل الوصية الوهمية، بعدم وصايته لابنه زين العابدين، ففي فاجعة كربلاء:" خرج علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام وكان مريضاً لا يقدر أن يقلّ سيفه، وأُمّ كلثوم تنادي خلفه: يا بنيّ ارجع، فقال: يا عمّتاه ذريني أُقاتل بين يدي ابن رسول الله، فقال الحسين (عليه السلام): يا أُمَّ كُلْثُوم خُذيهِ لِئَلاّ تَبْقَى الأَْرْضُ خالِيَةً مِنْ نَسْلِ آلِ مُحَمَّد"(٤٨)، ولنا أن نتساءل: إذا كان الْحُسَيْنُ رضي الله عنه يعلم بأن الأَْرْضَ ستَبْقَى خالِيَةً مِنْ نَسْلِ آلِ مُحَمَّد، فلماذا لم يوص لابنه زين العابدين رضي الله عنه. ولَمَّا توالت على الْحُسَيْنُ رضي الله عنه رسائل أهل «الكوفة» يطلبون منه الحضور إليهم، فأَشَارَ عَلَيْهِ أَفَاضِلُ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالدِّينِ من الصحابة وآل البيت بالعدول عن الخروج، بل غَلَبَ عَلَى ظَنِّهِمْ أَنَّهُ يُقْتَلُ، حَتَّى إِنَّ بَعْضَهُمْ قَالَ: أَسْتَوْدِعُكَ اللَّهَ مِنْ قَتِيلٍ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَوْلَا الشَّفَاعَةُ لَأَمْسَكْتُكَ

وَمَنَعْتُكَ مِنَ الْخُرُوجِ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ قَاصِدُونَ نَصِيحَتَهُ طَالِبُونَ لِمَصْلَحَتِهِ وَمَصْلَحَةِ الْمُسْلِمِينَ(٤٩). فلماذا لم يستند في إمامته إلى نص أو وصية ما هو إلا الإفلاس من النص. واعترف قاماتهم بأنّ الْحُسَيْنُ ﷺ لم يدعُ إلى نفسه الإمامة(٥٠).

ثالثا: موقف علي زين العابدين من النص: ثم يأتِي دور موقف زين العابدين، فنحن لا نجد أثراً لفكرة الخلافة الإلهية في عهده، بل إنَّ ابنه الإمام زيد ينكر أنَّ أباهُ زين العابدين كان إماماً معصوماً مُنصباً من السماء، فعندما بلغتهُ مقالة شيطان الطاق -محمد بن علي بن النعمان الأحول- بأن في أهل البيت إماماً مفترض الطاعة استدعاه وقال له: "بلغني أنك تزعم أن في آل محمد إماماً مفترض الطاعة قال شيطان الطاق: نعم، وكان أبوك علي بن الحسين أحدهم، فقال: وكيف وقد كان يؤتى باللقمة وهي حارة، فيبردها بيده ثم يلقمنيها، أفترى أنه كان يشفق علي من حر اللقمة، ولا يشفق علي من حر النار، قال شيطان الطاق: كره أن يخبرك فتكفر، فلا يكون له فيك الشفاعة" (٥١).

كما أعلن الإمام عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ البراءة في رواية عنه، تنفي وجود الإمامة وتكذب النص عليها، حيث قَالَ: "مَنْ زَعَمَ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ أَوْ غَيْرِهِ أَنَّ طَاعَتَهُ مُفْتَرَضَةٌ عَلَى الْعِبَادِ، فَقَدْ كَذَبَ عَلَيْنَا، وَنَحْنُ مِنْهُمْ بَرَاءٌ، فَأُحَذِّرُ ذَلِكَ إِلَّا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلِأُولِي الْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ"(٥٢). ليس هذا فحسب، بل دعا ابنه عمر على كل من افترى هذه الوصية الوهمية، كما أقسم بعدم وصية أبيه، فقد قيل لِعُمَرَ بْنَ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ:" هَلْ فِيكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنْسَانٌ مُفْتَرَضٌ طَاعَتُهُ، قَالَ: لَا وَاللَّهِ مَا هَذَا فِينَا، وَمَنْ قَالَ هَذَا فَهُوَ كَذَّابٌ، وَذَكَرْتُ لَهُ الْوَصِيَّةَ، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَمَاتَ أَبِي وَمَا أَوْصَى بِحَرْفَيْنِ، قَاتَلَهُمُ اللَّهُ، إِنْ كَانُوا لَيَأْكُلُونَ بِنَا"(٥٣).

ومن مواقف زين العابدين في نسفِ الإمامة الوهمية صحةَ بيعة خلفاءِ بني أمية عنده، بدليل صلاته خلفهم، وإنكاره على من خالف ذلك، فقد أخبر محمد بن الفرات حيث قال: "صليتُ إلى جنب علي بن الحسين يوم الجمعة، قال: فسمعت ناساً يتكلمون في الصلاة، فقال لي: ما هذا قلت: شيعتكم لا يرون الصلاة خلف بني أمية، قال: هذا والذي لا إله إلا هو بدعٌ، من قرأ القرآن، واستقبل القبلة فصلّوا خلفه، فإن يكن محسناً فله حسنته، وإن يكن مسيئاً فعليه"(٥٤).

رابعا: نقض الإمامة بأقوال الإمام محمد الباقر: بالنسبة للإمام الباقر، فلم لم نجد في أقواله أية عبارة تدل على كون الخلافة إلهية، بل كان رحمه الله ينفي عن نفسه الإمامة التي يدعيها له أهل الكوفة ويصرح بذلك، فعندما سأله أبو حنيفة رحمه الله: "

أنت الإمام.قال: لا، قال: فإن قوماً بالكوفة يزعمون أنك إمام، قال: فما أصنع بهم قال: تكتب إليهم تخبرهم، قال: لا يطيعوني..."(٥٥).

وعَنِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ، فَقُلْتُ:" أَوْصَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أي أجعل وصياً بعده ووصى –قَالَ: مَا أَتَانَا ذَلِكَ الْأَمْرُ إِلَّا مِنْ قِبَلِكُمْ "(٥٦) أي من الكوفة، فهذا نص صريح من الإمام الباقر من أن آل البيت لم يكونوا يعلمون بما تدعيه الشيعة لهم وأنهم كانوا يستنكروه.

خامسا: نقض الإمامة بأقوال الإمام جعفر الصادق: لقد دحض الإمام جعفر الصادق نظرية الإمامة المزعومة، فمن تلك المواقف المشهودة:

١- أنّه قدم عليه أناسٌ من أهل الكوفة فقالوا:" يا أبا عبد الله إن أناسا يأتوننا يزعمون أن فيكم أهل البيت إمام مفترض الطاعة، فقال: ما اعرف ذلك في أهل بيتي، قالوا: يا أبا عبد الله يزعمون أنك أنت هو، قال: ما قلت لهم ذلك، قالوا: يا أبا عبد الله إنهم أصحاب تشمير وأصحاب خلوة وأصحاب ورع، وهم يزعمون انك أنت هو، قال: هم أعلم وما قالوا، قال: فلما رأوه أنهم قد أغضبوه قاموا فخرجوا، فقال: يا سليمان –أي الراوي– من هؤلاء، قال: أناس من العِجْلية(٥٧)، قال: عليهم لعنة الله"(٥٨)،

من هذه الرواية نستنتج أنه لم يكن يعلم الناس من الإمام، أضف إلى ذلك بأنَّه غضب من هذه المقالة ولعنهم، وهذه براءة منه صريحة.

٢- وأيضاً الصادق تصدّى بكلّ حزم وصلابة لمن يَنسِب إليه مقولة: بأنّه إمام مُفتَرَضُ الطَّاعَةِ، وأعلن البراءة منهم، فقد أوصى قوماً راحلين عن المدينة، بأنَّ قال لهم: "إِنَّكُم –إِنْ شَاءَ اللهُ– مِنْ صَالِحِي أَهْلِ مِصرِكُم، فَأَبلِغُوهُم عَنِّي: مَنْ زَعَمَ أَنِّي إمام مَعصُومٌ، مُفتَرَضُ الطَّاعَةِ، فَأَنَا مِنْهُ بَرِيْءٌ..."(٥٩).

٣- وقد حكى القوم عن جعفر الصادق لما بلغه مقالة شيطان الطاق، في مجادلته لعقيدة الإمامة، فقال للراوي أن يذهب إليه ويستفهم منه:" أخبرني عن كلامك هذا من كلام إمامك، فإن قال: نعم، كذب علينا، وإن قال: لا، قال له: كيف يتكلم بكلام لم يتكلم به إمامك. ثم قال: إنهم يتكلمون بكلام إن أنا أقررت به ورضيت به أقمت على الضلالة، وإن برئت منهم شقَّ عليِّ، نحن قليل، وعدوّنا كثير، قلت –أي الراوي– جعلت فداك فأبلغه عنك ذلك، قال: أما إنهم قد دخلوا في أمر ما يمنعهم عن الرجوع عنه إلا الحمّية، قال –أي الراوي–: فأبلغت أبا جعفر الأحول –أي شيطان الطاق–، ذاك، فقال: صدق بأبي وأمي، ما يمنعني من الرجوع عنه إلا الحمّية"(٦٠).فلم يكتف الإمام الصادق بإنكار هذه المقالة، بل حكم عليها بأنها ضلالة.

٤- والجدير بالإشارة أنَّ علماءهم شهدوا بأنَّهُ اشْتَغَلَ بِالْعِبَادَةِ عَنْ طَلَبِ الرِّيَاسَةِ[٦١].

فالحاصل "وَالَّذِي علمناه من حَال أهل الْبَيْت علما لَا ريب فِيهِ، أَنهم لم يَكُونُوا يدعونَ أَنهم مَنْصُوص عَلَيْهِم كجعفر الصَّادِق وَأَبِيهِ وجده زين العابدين على بن الْحُسَيْن وَأَبِيهِ"[٦٢]. وبهذه المواقف الواضحة للأئمة الستة من آل بيت النَّبِيِّ ﷺ الكريم تنهار دعوى الإمامة والوصية، وأنها أمر مختلق.

سادساً: نقد عقيدة (الإمامة): من العجب أنهم -الإمامية- يعتقدون أن الإمامة منصوص عليها من الله سبحانه مع أنه لا يوجد في القرآن العظيم إطلاقاً أي ذكر للإمام المعصوم الواجب الاتباع بألفاظ صريحة وكل ما يستدل به الشيعة الإمامية على الإمامة من القرآن العظيم إنما هي آيات غير صريحة متأولة بأحاديث يروونها من طرقهم لا أساس لها من الصحة، وسأقتصر على أهمها.

أولاً: عمدة أدلتهم من (الآيات القرآنية): تلَّمس الشيعة لإثبات الإمامة بآية -أسموها بآية الولاية- قال شيخ الطائفة -كما يلقبونه- الطوسي (ت٤٦٠هـ) عنها: "وأما النص على إمامته من القرآن، فأقوى ما يدل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥][٦٣]"، ثم تمادى شيوخهم وادعوا الإجماع زوراً، بأنها نزلت في علي لما تصدق على المسكين بمحضر من الصحابة وهو مذكور عند أهل السنة في الصحاح الستة، ووجه الدلالة فيها "إنما" للحصر باتفاق أهل اللغة، والولي بمعنى الأولى بالتصرف المرادف للإمام والخليفة [٦٤]، فالخلاصة: بأن علي هو مُستحقٌ للخلافة دون الخلفاء الثلاثة.

والرد على هذا من وجوه:

الْوَجْهُ الأول: من جهة اللُّغة: ويمتنع ذلك في أمور:

١-مَا قَالُوهُ إِذْ هُوَ حزر وتخمين من غير إِقَامَة دَلِيل يدل لَهُ، وذلك بأنهم خلطوا بَيْنَ الْوِلَايَةِ وَالْوَلَايَةِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بينهما، فالْفَرْقَ بَيْنَ "الْوَلَايَةِ" بِالْفَتْحِ وَ"الْوِلَايَةِ" بِالْكَسْرِ مَعْرُوفٌ في لغة العرب؛ فَالْوَلَايَةُ ضِدُّ الْعَدَاوَةِ التي هي بِمَعْنى المحبة والنُّصْرَةِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖ﴾ [التوبة: ٧١]، وَهِيَ المذكورة فِي هَذِهِ النُّصُوصِ، لَيْسَتْ هِيَ الْوِلَايَةُ بِالْكَسْرِ الَّتِي هِيَ الْإِمَارَةُ والسلطان، وَهَؤُلَاءِ الْجُهَّالُ يَجْعَلُونَ الْوَلِيَّ هُوَ الْأَمِيرُ، وَلَمْ يُفَرِّقُوا بينهما، وَالْأَمِيرُ يُسَمَّى الْوَالِي لَا يُسَمَّى لْوَلِيُّ [٦٥].

٢- أَنَّ قَوْلَهُ جل جلاله:"﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾" صِيغَةُ جَمْعٍ؛ ويمتنع حمل الجمع على الواحد في لغة العرب، فإن قالوا: للتعظيم، قلنا: التعظيم هاهنا مدفوع لعلي رضي الله عنه، إذ الله ورسوله ذكرا في الآية من غير مقارنة تعظيم، فكيف يذكر التعظيم له دونهما[٦٦].

الْوَجْهُ الثاني: من جهةِ الحديث: وأمَّا دعواهم الإجماع على أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي عَلِيٍّ، وهو مذكور عند أهل السنة في الصحاح الستة(٦٧)، فهي دعوى باطلة، ومِنْ أَعْظَمِ الدَّعَاوَى الْكَاذِبَةِ، بَلْ خَرَم ابن تيمية هذه الفرية فقال:" أَجْمَعَ أَهْلُ الْعِلْمِ بِالنَّقْلِ عَلَى أَنَّهَا لَمْ تَنْزِلْ فِي عَلِيٍّ بِخُصُوصِهِ، وَأَنَّ عَلِيًّا لَمْ يَتَصَدَّقْ بِخَاتَمِهِ فِي الصَّلَاةِ، وَأَجْمَعَ أَهْلُ الْعِلْمِ بِالْحَدِيثِ عَلَى أَنَّ الْقِصَّةَ الْمَرْوِيَّةَ فِي ذَلِكَ مِنَ الْكَذِبِ الْمَوْضُوعِ"(٦٨).

الْوَجْهُ الثالث: من جهةِ التفسير:

أولاً: فإنَّهُ مِنَ الْمَعْلُومِ الْمُسْتَفِيضِ عِنْدَ أَهْلِ التَّفْسِيرِ، خَلَفًا عَنْ سَلَفٍ، أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ كما ذكر ابن تيمية:" فِي النَّهْيِ عَنْ مُوَالَاةِ الْكُفَّارِ، وَالْأَمْرِ بِمُوَالَاةِ الْمُؤْمِنِينَ؛ لَمَّا كَانَ بَعْضُ الْمُنَافِقِينَ، كَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَيٍّ، يُوَالِي الْيَهُودَ، وَيَقُولُ: إِنِّي أَخَافُ الدَّوَائِرَ. فَقَالَ بَعْضُ الْمُؤْمِنِينَ، وَهُوَ عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ: إِنِّي يا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَوَلَّى اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَأَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ مِنْ حِلْفِ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ وَوِلَايَتِهِمْ...فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ، يُبَيِّنُ فِيهَا وُجُوبَ مُوَالَاةِ الْمُؤْمِنِينَ عُمُومًا، وَيَنْهَى عَنْ مُوَالَاةِ الْكُفَّارِ عُمُومًا"(٦٩)، فَعَلَى هَذَا: الْآيَةُ عَامَّةٌ فِي حَقِّ كُلِّ الْمُؤْمِنِينَ، فَكُلُّ مَنْ كَانَ مُؤْمِنًا فَهُوَ وَلِيُّ كُلِّ الْمُؤْمِنِينَ، وَنَظِيرُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١] (٧٠).

ثانياً: علاوة على ذلك بأنَّ سياق الكلام بالنظر إلى السابق واللاحق يدل عليه لمن تدبر القرآن، فَحمل الْوَلِيّ كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ﴾ [المائدة: ٥٥] إِلَخ مَا زعموه لَا يُنَاسب مَا قبلهَا من الآية الكريمة –من تولي اليهود والنصارى– وَهُوَ قوله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾ [المائدة: ٥١]، إِذْ الْوَلِيّ فِيهَا بِمَعْنى النَّاصِر جزماً وَلَا مَا بعْدهَا –من تولي الله ورسوله والذين آمنوا– وَهُوَ قوله جل ذكره: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٦] إِذْ التولي هُنَا بِمَعْنى النُّصْرَة فَوَجَبَ حمل مَا بَينهمَا عَلَيْهَا أَيْضا لتتلاءم أَجزَاء الْكَلَام(٧١).

ثالثًا: أنَّ معنى الرُّكوع الوارد في الآية الذي هو في أصل اللغة، بمعنى الخضوع، قال أرباب اللغة: الرُّكوع: وهو الخُضوع، رَكَعَ يَرْكَعُ رَكْعاً ورُكوعاً: طأْطأَ رأْسَه (٧٢)، لا الركوع الاصطلاحي، والركوع بمعنى الخشوع مستعمل في القرآن أيضا كقوله تعالى:﴿وَٱرْكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ (آل عمران:٤٣) مع أن الركوع الاصطلاحي لم يكن بالإجماع في صلاة من قبلنا من أهل الشرائع(٧٣)، وإذناً فليس قوله: "وهم راكعون" حالا من" ويؤتون الزكاة"، وهذا هو الصواب المحض إن شاء الله (٧٤).

رابعاً: ومما يدفع هذا الفهم السَّقيم للآية: عَدَمُ جَوَازِ إِخْرَاجِ الزَّكَاةِ فِي تلك الحال(٧٥).

الْوَجْهُ الْخَامِسُ: وأما من جهة إلزامهم بالحجة:

فأولاً: على فرض أنَّ قوله كما زعمتم "إنما" محصورة بعليٍّ، فلزم إبطال ولاية السبطين ومن بعدهما كزين العابدين والباقر والصادق.. من الأئمة الأطهار.

ثانياً: لَوْ كَانَ الْمُرَادُ بِالْآيَةِ أَنْ يُؤْتِيَ الزَّكَاةَ حَالَ رُكُوعِهِ كَمَا يَزْعُمُونَ، لَكَانَ دَفْعُ الزَّكَاةِ فِي حَالِ الرُّكُوعِ أَفْضَلَ مِنْ غَيْرِهِ، لِأَنَّهُ مَمْدُوحٌ، وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ عِنْدَ أَحَدٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ مِمَّنْ نَعْلَمُهُ مِنْ أَئِمَّةِ الْفَتْوَى (٧٦).

ثالثاً: أَنَّ اللَّائِقَ بِعَلِيٍّ رضي الله عنه حَالَ الصَّلَاةِ خاشعاً مُسْتَغْرِقَ الْقَلْبِ بِذِكْرِ اللَّه، وَلِهَذَا مدح الباري الخاشعين فقَالَ تَعَالَى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ (المؤمنون:١-٢)، وعليٌّ عندنا معاشر أهل السنة من رؤوس الخاشعين، وَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ فَإِنَّهُ لَا يَتَفَرَّغُ لِاسْتِمَاعِ كَلَامِ الْغَيْرِ وَلِفَهْمِهِ، لذا قال ﷺ: «إِنَّ فِي الصَّلَاةِ لَشُغْلًا " (٧٧)، ففي الحقيقة هذا يلزم منه ذمٌ لعلي وليس مدحاً وحاشا أمير المؤمنين من مثل ذلك.

رابعاً: الْمَشْهُورُ من حالِ علي أَنَّهُ كَانَ فَقِيرًا وَلَمْ تَجِبُ الزَّكَاةُ فِي حياةِ النبي ﷺ قط، والجدير بالذكر أنّهم ذكروا:أَنَّهُ لَمَّا أَعْطَى ثَلَاثَةَ أَقْرَاصٍ نزل فيه قوله: ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ (الإنسان:٨)(٧٨)، وَذَلِكَ لَا يُمْكِنُ إِلَّا إِذَا كَانَ فَقِيرًا، والآية فيها ذكر الزكاة، والزكاة لا تكون إلا ممن له مال فتنافيا(٧٩).

خامساً: هَبْ أَنَّهَا دَالَّةٌ عَلَى إمامةِ عَلِيٍّ، فيلزم من هذا أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ مُتَوَلٍّ عَلَى عِبَادِهِ وَأَنَّهُ أَمِيرٌ عَلَيْهِمْ، وهو جَلَّ جَلَالُهُ، وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ لَا يُوصَفُ بهذا، فَإِنَّهُ خَالِقُهُمْ وَرَازِقُهُمْ، وَرَبُّهُمْ وَمَلِيكُهُمْ، لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ، وَلَا يُقَالُ: إِنَّ اللَّهَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، كَمَا يُسَمَّى الْمُتَوَلِّي، مِثْلُ عَلِيٍّ وَغَيْرِهِ: أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ(٨٠).

الْوَجْهُ الْسادس: من جهةِ فقه آل البيت: ونحنُ نحكّم الشيعة في هذه المسألة فنقول: إن أهل مذهبهم لم يفهموا من هذه الآية ما فهموهم هم من ولاية علي، فقد ورد عن ابن عمه ترجمان الْقُرْآن عبد الله بن عَبَّاس **م** في قَوْلَه: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ فقال يَعْنِي: "إِنَّهُ مَنْ أَسْلَمَ تَوَلاهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا"(٨١)، فَبَطل مَا زعموه، ويؤيد هذا القول تفسير الإمام الباقر وناهيك بِهِ جلالة وإمامة إِنَّهَا عَامَّة فِي سَائِر الْمُؤمنِينَ، فقد سُئِلَ عَمَّن نزلت فِيهِ هَذِه الْآيَة، أهوَ عَليّ ، فَقَالَ: عَلِيٌّ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا"(٨٢)، يعني أن أمير المؤمنين داخل أيضا في المهاجرين والأنصار ومن جملتهم، وهذه الرواية أوفق بلفظ «الذين» وصيغ الجمع في صلات الموصول وهي: ﴿يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾(٨٣)، "فلو أنَّ الآية نزلت في علي رضي الله عنه خاصة؛ لكان

أولى الناس بمعرفة ذلك أهل بيته وذريته، فهذا أبو جعفر الباقر رضي الله عنه لا علم عنده بذلك، وهذا من الأدلة الكثيرة على أن الشيعة يلصقون بأئمتهم ما لا علم عندهم به(٨٤). وكذلك ما نقل عن آل البيت في تكذيبهم دعوى النص عليهم من أقوى الأدلة على بطلان وفساد هذه الدعوى:" وَأَنَّ عَلِيًّا لَمْ يَكُنْ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ إمام الْأُمَّةِ دُونَهُمَا، الاثنى عَشَرَ كَانُوا يَطْلُبُونَ الْإمامةَ، أَوْ كَانُوا يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُمْ أَئِمَّةُ الْأُمَّةِ الْمَعْصُومُونَ، وَهَذَا كَذِبٌ عَلَى الْقَوْمِ"(٨٥).

ثانياً: الأدلة الحديثية: وأما الأحاديث التي تمسَّك بها الشيعة، وعمدةُ أدلتهم في ذلك هو ما يسمونه بحديث غدير خُمٍّ(٨٦)" أو حديث الغدير، وهَذِه الشُّبْهَة هِيَ أقوى شبههم(٨٧)، قد حظي من اهتمامهم بأمره حتى عظَّموه، وأطلقوا عليه "عيد الغدير"(٨٨)، ولهم طقوس خاصة يفعلونه، وحاصله أنه ﷺ لما نزل بغدير خم حين المراجعة عن حجة الوداع أخذ بيد علي وخاطب جماعة المسلمين الحاضرين، وأعلن لهم الإمامة بعده لعلي فقال: مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ(٨٩)، اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه(٩٠)، وزعموا في تقرير الاستدلال: بأنَّ معنى علي مولاه أي: هو رضي أولى بالإمامة والتصرف(٩١).

مناقشتهم في هذا الاستدلال، وبيان ذلك من عدة أوجه:

الْوَجْهُ الأول: من جهة اللُّغة: أولاً: أنَّ أول الغلط في الاستدلال: هو إنكار أهل العربية قاطبة ثبوت ورود المولى بمعنى الأولى أو الإمام، بأن هذا القول لو صح لزم أن يقال مكان فلان أولى منك مولى منك، وهو باطل منكر بالإجماع، ففَرْقٌ بَيْنَ الْوَلِيِّ، وَالْمَوْلَى وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَبَيْنَ الْوَالِي فَبَابُ الْوِلَايَةِ الَّتِي هِيَ ضِدُّ الْعَدَاوَةِ – شَيْءٌ، وَبَابُ الْوِلَايَةِ – الَّتِي هِيَ الْإِمَارَةُ – شَيْءٌ وَالْحَدِيثُ إِنَّمَا هُوَ فِي الْأُولَى دُونَ الثَّانِيَةِ، فتنين أَن كَون الْمولى، بِمَعْنى الإمام لم يعْهَد لُغَة وَلَا شرعاً (٩٢).

الْوَجْهُ الثاني: من جهةِ مناسبة الحديث: قد يرد استفهام.. ما الذي استوجب قوله ﷺ لهذا في حق علي رضي الله عنه فلا شك أنَّ معرفة سبب ورود الحديث يوضح معناه، فمفاده: أنَّ بُرَيْدَةَ رضي الله عنه قَالَ: "غَزَوْتُ مَعَ عَلِيٍّ الْيَمَنَ فَرَأَيْتُ مِنْهُ جَفْوَةً، فَلَمَّا قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ذَكَرْتُ عَلِيًّا فَتَنَقَّصْتُهُ، فَرَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَتَغَيَّرُ فَقَالَ: "يَا بُرَيْدَةُ أَلَسْتُ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ" قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: "مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ"(٩٣)، فكما تلاحظ في مناسبة الحديث: فليس فيه نص على ولاية عليٍّ بعده، إنَّما لما كَثُرَتِ الشَّكَاةُ عَنْهُ وَأَظْهَرُوا بُغْضَهُ فَأَرَادَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَذْكُرَ اخْتِصَاصَهُ بِهِ وَمَحَبَّتَهُ إِيَّاهُ وَيَحُثُّهُمْ بِذَلِكَ عَلَى مَحَبَّتِهِ وَمُوَالِاتِهِ فَقَالَ: مِنْ كُنْتُ وَلِيَّهُ فَعَلِيٌّ وَلِيَّهُ»(٩٤).

الْوَجْهُ الثالث: من جهةِ مناسبة الحديث:

أولاً: لا نسلم أَن معنى الْوَلِيّ بمعنى الوالي، بل التفسير الصحيح كما ذكر الشَّافِعِيَّ فِي مَعْنَى: مِنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ، بأنَّه يحملُ على: "وَلَاءَ الْإِسْلَامِ، وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ﴾ (محمد: ١١)"[٩٥]، فهذا لا يعني أن صالح المؤمنين أوصياء على النبي ﷺ ولكن يعني أنهم أصحابه وناصروه.

ثانياً: ومما يؤكد ذلك السياق، القرينة البعدية تدل صراحة على أن المراد من الولاية المفهومة من لفظ المولى المحب، بدليل قوله بعد ذلك: اللهم والِ مَن والاه وعادِ مَن عاداه، ولو كان المراد من المولى المتصرف في الأمور أو الأولى بالتصرف فقال: اللهم والِ من كان في تصرفه وعاد من لم يكن كذلك، وذكر المحبة والعداوة دليل صريح على أن المقصود إيجاب محبته والتحذير عن عداوته، لا التصرف وعدمه[٩٦].

الْوَجْهُ الرابع من جهة فقه آل البيت:

أولاً: قد أجمعت الأمة على أن النبي ﷺ ما نص على أحد يكون من بعده، وقد قال العباس لعلي فِي وَجَعِ رَسُولِ ﷺ، الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ، اذْهَبْ بِنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلْنَسْأَلْهُ فِيمَنْ هَذَا الأَمْرُ، إِنْ كَانَ فِينَا عَلِمْنَا ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ فِي غَيْرِنَا عَلِمْنَاهُ، فَأَوْصَى بِنَا، فَقَالَ عَلِيٌّ: إِنَّا وَاللَّهِ لَئِنْ سَأَلْنَاهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَمَنَعَنَاهَا لاَ يُعْطِينَاهَا النَّاسُ بَعْدَهُ، وَإِنِّي وَاللَّهِ لاَ أَسْأَلُهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ"[٩٧]، وهنا يرد استفهام..كَيفَ يكون ذَلِك نصاً على إمامته وَلم يحْتَج بِهِ هُوَ وَلَا الْعَبَّاس رَضِي الله تَعَالَى عَنْهُمَا وَلَا غَيرهمَا وَقت الْحَاجة إِلَيْهِ مَعَ قرب الْعَهْد جداً بِيَوْم الغدير إِذْ بَينهمَا نَحْو الشَّهْرَيْنِ، بل هذا يبطل قول مدعي الإشارة باستخلاف علي، فكيف أن يُدَّعَى فيه نص[٩٨].

ثانياً: قد عُلِمَ أَنَّ إمامةَ عَلِيٍّ لَمْ تَكُنْ مِنَ الدِّينِ الَّذِي أَمَرَ بِتَبْلِيغِهِ، لذا لم يفهم الأمير رضي الله عنه من رواية الغدير أن الموالاة فيها تعني الخلافة العامة بدليل أنّه قال: "دعوني والتمسوا غيري.. وأنا لكم وزيراً خير لكم من أميراً"[٩٩].

ثالثاً: وممن تصدى لإنْكَار حديث الغدير من أهل البيت زوجة إمام أهل البيت ﷺ أم المؤمنين عَائِشَةَ ك، فمن ذلك ما استدلت به على أن علياً لم يدع ذلك لنفسه ولا بعد أن وَلِيَ الخلافة، حَيْثُ ذَكَرُوا عِنْدَها أَنَّ عَلِيًّا كَانَ وَصِيًّا، أي على الخلافة بعد رسول الله ﷺ" فَقَالَتْ: "مَتَى أَوْصَى إِلَيْهِ، فَقَدْ كُنْتُ مُسْنِدَتَهُ إِلَى صَدْرِي –أَوْ قَالَتْ: حَجْرِي– فَدَعَا بِالطَّسْتِ، فَلَقَدِ انْخَنَثَ فِي حَجْرِي، وَمَا شَعَرْتُ أَنَّهُ مَاتَ، فَمَتَى أَوْصَى إِلَيْهِ"[١٠٠].

رابعاً: وأيضاً فَهْمُ علي لرواية الغدير مطابق لفهم بقية أهل البيت في ذلك، فقد حذا

حذوه حفيدة الْحَسَنَ المثنى ابن الحسن السبط الأكبر –رحمه الله– بقوله:" وَيْلَكُمْ لَإِنْ كَانَ الْأَمْرُ كَمَا تَزْعُمُونَ إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ اخْتَارَ عَلِيًّا لِهَذَا الْأَمْرِ وَالْقِيَامِ بِهِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ تَرَكَ عَلِيٌّ أَمْرَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ أَنْ يَقُومَ بِهِ كَمَا أَمَرَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ بِهِ أَوْ يَعْذُرَ فِيهِ إِلَى الْمُسْلِمِينَ إِنَّ أَعْظَمَ النَّاسِ فِي ذَلِكَ خَطِيئَةً وَذَنْبًا لَعَلِيٌّ رضي الله عنه إِذَا تَرَكَ أَمْرَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَقَالَ الرَّافِضِيُّ: أَلَمْ يَقُلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ».قَالَ: بَلَى، أَمَا وَاللَّهِ لَوْ يَعْنِي بِذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْإِمْرَةَ وَالسُّلْطَانَ وَالْقِيَامَ بِهِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ بَعْدَهُ لَأَفْصَحَ لَهُمْ بِذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ كَمَا أَفْصَحَ لَهُمْ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَحَجِّ الْبَيْتِ وَصَوْمِ رَمَضَانَ، فَمَنْ أَنْصَحُ كَانَ لِلْمُسْلِمِينَ مِنْ رَسُولِ ﷺ" (١٠١).

فكما ترى لا دلالة فيه أبدًا، ولذلك يقول عالمهم الشريف المرتضى (ت٤٦٣هـ) بأنَّ النص في حديث الغدير ليس جلياً: "وأما النص الخفي: فهو الذي ليس في صريحة لفظه النص بالإمامة، وانما ذلك في فحواه ومعناه، كخبر الغدير، وخبر تبوك"(١٠٢)(١٠٣). فيتضح مما سبق" أَنَّ الْمَنْقُولَ بِالنَّقْلِ الْمُتَوَاتِرِ عَنْ أَهْلِ الْبَيْتِ يُكَذِّبُ مِثْلَ هَذَا النَّقْلِ، وَأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَدَّعُونَ أَنَّهُمْ مَنْصُوصٌ عَلَيْهِمْ، بَلْ يُكَذِّبُونَ مَنْ يَقُولُ ذَلِكَ، فَضْلًا عَنْ أَنْ يُثْبِتُوا النَّصَّ عَلَى اثنى عَشَرَ(١٠٤)، وخلاصة ما مرّ: تهافت استدلال الشيعة بحادثة الغدير على أحقيَّة عليٍّ رضي الله عنه بالخلافة على أبي بكر وعمر وعثمان وبطلان مزاعمهم و"أَنَّهُ لَاحَظَّ لِلشِّيعَةِ فِيهِ وَلَا مُتَمَسَّكَ لَهُمْ وَلَا دَلِيلَ" (١٠٥).

ثامناً: المفاسد المترتبة على القول بـ(الْإمامةِ): نجم على القول بعقيدة (الْإمامةِ) مفاسد خطيرة على حظيرة الإسلام وعلى ربوع المسلمين، سنركز على أهمها وهي كالتالي:

* المفسدة الأولى: تقديس الولاية والغلو فيها، القول بنظرية (الْإمامةِ) قد دفع الشيعة إلى الغلو في أئمتهم وتقديسهم لدرجة:

* جعل ولاية الأئمة بديلة عن العبادات والشهادتين: ومما اخترعوا تحت هذا الباب ما نسبوه إلى أبي جعفر زوراً أنه قال:" بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسَةِ أَشْيَاءَ عَلَى الصَّلَاةِ والزَّكَاةِ والْحَجِّ والصَّوْمِ والْوَلَايَةِ قَالَ زُرَارَةُ: فَقُلْتُ: وأَيُّ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ أَفْضَلُ فَقَالَ الْوَلَايَةُ أَفْضَلُ لأَنَّهَا مِفْتَاحُهُنَّ"(١٠٦)، فهؤلاء كما ترى لا يعدون شهادة التوحيد والرسالة شيئاً، فالإمامة عندهم منصب رباني له من القداسة ما لغيره.

* المفسدة الثانية: القول بتحريف القرآن لحساب الولاية: من أعظم مفاسد مقالة دعوى الولاية الخطيرة، القول بتحريف القرآن واتهام الصحابة بحذف الأدلة التي تنص على إمامة الاثنى عشر:

فمن أمثلة ذلك: ما رواه العياشي بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال: "أبي عبد الله عليه السلام قال: لو قد قرء القرآن كما أنزل لأُلفينا فيه مسمّين"(١٠٧)، وهذا طعن صريح بالقرآن الكريم بزعم أنه حذفت منه أسماء الأئمة ، وكما جاء في كافي الشيعة –الذي هو أوثق كتاب عندهم– عنْ أَبِي جَعْفَرٍ ع قَالَ:" نَزَلَ جبرائيل بِهَذِهِ الآيَةِ هَكَذَا *(فَأَبى أَكْثَرُ النَّاسِ)* بِوَلَايَةِ عَلِيٍّ* (إِلَّا كُفُوراً)"(١٠٨)، فأضافوا لتحريف كتاب الله (بولاية علي) داخل قوله تبارك وتعالى:﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾ (الإسراء: ٨٩)

* المفسدة الثالثة: تكفير المسلمين من أجل الولاية: من مساوئ دعوى الولاية لعلي، تكفير من لم يؤمن بولايته، وشبهوه كما افتروا على جعفر الصادق بأنَّ:" الجاحد لولاية علي (عليه السلام) كعابد وثن"(١٠٩)، ليس هذا فحسب بل فهو كافر ضال مستحق للخلود في النار –والعياذ بالله–، لمن ينكر بواحد منهم، فمن أحكامهم الاتفاقية ما قاله مفيدهم(١١٠): "واتفقت الإمامية على أن من أنكر إمامة أحد الأئمة وجحد ما أوجبه الله تعالى من فرض الطاعة فهو كافر ضال مستحق للخلود في النار"(١١١)، فتحصّل ممّا سبق الآثار السيئة المترتبة على القول بولاية الأئمة، والتي تناولنا أهمها.

الْخَاتِمَةُ وَفِيهَا أَهَمُ النَّتَائِجِ وَالتَّوْصِيَاتُ.

أولاً: فتبين من نتائج توصلْت إليها من خلال هذا المبحث المبارك ما يلي:

١- الْمَرادُ بالْإمامةِ لُغةً كلّ من اقتُدِيَ به، وقُدُّم في الأمور فهو إمام سواء في الخير أو الشر.

٢- وعند أهلِ السنَّة هي:مَوْضُوعَةٌ لِخِلَافَةِ النُّبُوَّةِ فِي حِرَاسَةِ الدِّينِ وَسِيَاسَةِ الدُّنْيَا.

٣- وأما الشيعة فإنها: لا تكون إلا بالنص من الله تعالى على لسان النبي أو لسان الإمام الذي قبله، وليست هي بالاختيار والانتخاب من الناس.

٤- لها منزلةُ وأهميته عند القوم، بل هي قطب الرحى الذي تدور حولها جميع عقائدهم.

٥- مؤسس عَقِيدَةِ (الْإمامةِ) المشؤمة.. ابن سبأ اليهودي المتمسلم.

٦- الغرض من منها إبطال إمامة الخلفاء الراشدين الثلاثة وتكفير الصحابة الميامين.

٧- انهارت نظرية الإمامة والوصاية المزعومة، بسبب المواقف الواضحة للأئمة الستة في دحضها.

٨- ثم نقضها من وجوه: من جهةِ اللّغة والحديث والتفسير مع فقه آل البيت والإلزام.

٩- كما أنجم على القول بتقديس الْإمامةِ مفاسد خطيرة على حظيرة الإسلام وعلى

ربوع المسلمين،ومن أعظمها القول بتحريف القرآن العظيم، واتهام الصحابة بحذف الأدلة التي تنص على إمامة (١٢).

ثانياً: التَّوْصِيَاتُ.

١- بحث جوانب أخرى لجُهُودِ أَئِمَّةِ آلِ الْبَيْتِ فِي التَّصدِي لعقائد الشِّيعَة الاثنى عَشْرِيَّةَ الفاسدَة.

٢- إِثَارَةُ الْحَرَاكِ الْفِكْرِيِّ وَالتَّوَجُّهِ نَحْوَ التَّصْحِيحِ وَالْاِعْتِدَالِ لَدَى عُقَلَاءِ الشِّيعَة، عَنْ طَرِيقِ تَحْقِيقِ مَوْقِفِ أئِمَتِهِمُ السِتَّةِ الْعَقَدِيِّ.

هوامش البحث:

---

(١) كما في: منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، ط١ (٣٦٨/٢).

(٢) هو الإمام الهمام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، أبو العباس، ولد:٦٦١هـ، سمع:ابن أبي اليسر، أخذ عنه:ابن القيم وابن كثير، وكان في صغره يناظر ويفحم الكبار، وأفتى وله تسع عشرة سنة، صنف: منهاج السنة، العقيدة الواسطية، توفي:٧٢٨هـ. انظر:العقود الدرية، ابن عبد الهادي، ط١(٣)، الأعلام العلية، للبزار،ط١(٧٣٩).

(٣) يراجع: الفراهيدي، كتاب العين، (٤٢٨/٨)، الراغب، مفردات ألفاظ القرآن، (٨٧)، ابن منظور، لسان العرب،١٥٧/١) ابن الجوزي، نُزهة الأعين النواظر، (١٢٦)، الزَّبيدي، تاج العروس، (٢٤٣/٣١)، الفيومي، المصباح المنير، (٢٠).

(٤) أورده في: الأحكام السلطانية، (١٥)، وينظر: غياث الأمم في التياث الظلم، (٢٢).

(٥) والإمامة والخلافة مصطلحان مترادفان، وإن كان مصطلح الخلاقة أسبق، ومصطلح الإمامة أكثر ما يتردَّد عند الشيعة، وخاصةً عند الاثني عشرية، لكنَّ المعنى يكاد يكون واحدًا، لذا عرفها ابن خلدون بقوله: والخلافة...انظر: تاريخه، ط٢(٢٣٩/١).

(٦) تجده ب: عقائد الإمامية، (٦٦)، وجاء عن عقائد الإمامية الاثني عشرية لإبراهيم الزنجاني، (٣٠٥/٢) بأنّها: منصب إلهي...

(٧) ومن الأمثلة: دلائل الإمامة، لابن رستم الطبري الصغير الشيعي، والحلي، منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، وغيرها كثير.

(٨) هو لقب يطلق على فرقة من فرق الشيعة الذين يعتقدون إمامة ١٢ إماماً معصوماً وهم علي وأحد عشر إماماً من ذريته، ويعرفها المفيد بقوله: "الإمامية هم القائلون بوجوب الإمامة، والعصمة، ووجوب النص، وإنما حصل لها هذا الاسم في الأصل لجمعها في المقالة هذه الأصول فكل من جمعها فهو إمامي"، انظر: العاملي: الفصول المختارة، (٢٩٦).

(٩) هذا أحد أعمدة الرواية عند القوم ومع ذلك لعنه الإمام جعفر وكذبه وبدّعه وقال فيه:" ما أحدث أحد في الإسلام، ما أحدث زرارة من البدع، عليه لعنة الله ؟! " ينظر: الطوسي، رجال الكشي، (١٣٦)، الخوئي، معجم رجال الحديث، (٢٤٩/٨).

(١٠) أورده ب: الكليني، أصول الكافي، (١٨/٢).

(١١) لمحمد رضا المظفر، (٦٥)، وانظر: آل كاشف، أصل الشيعة وأصولها، (٢٤).

(١٢) محمد آل كاشف الغطاء، في كتابة: أصل الشيعة وأصولها، (٢١١).

(١٣) مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ الْكُلَيْنِيُّ، أَبُو جَعْفَرٍ، شَيْخُ الشِّيْعَـة وعالمهـم، لقّب بثقة الإسـلام عندهم،

صنّف: الكافي الذي يعدّ من أهم المصادر الحديثية الأربعة عند القوم، والعجيب أنّه مجهول الولادة، ولا أدري كيف يعرف اتصال السند!؟ هلك سنة: ٣٢٨ هـ ببغداد. راجع: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ط١١ (٢/٢٤٥)، ابن حجر، لسان الميزان،ط١ (١/٦٢٠).

(١٤) في: أصول الكافي، (١/٢٧٠).

(١٥) الأَثَافِيُّ: هِيَ حِجَارَةٌ تُنْصَبُ وتُجْعَلُ القِدْرُ عَلَيْهَا، راجع الزَّبيدي، تاج العروس، (٥/١٥٤).

(١٦) أورده الكليني في أصول الكافي، (٢/١٨).

(١٧) تخصيص علي بن أبي طالب أو أحد من أهل بيته (بعليه السلام)أو بكرم الله وجه لا ينبغي عند ذكره، وذلك لأمور:١- عدم الدليل على التخصيص .٢- أنه يوحي بأفضليته على غيره، ٣- أصبح شعارًا لأهل البدع، فلا ينبغي مشابهتهم فيه، قال ابن كثير": وَهَذَا وَإِنْ كَانَ مَعْنَاهُ صَحِيحًا، لكن ينبغي أن يسوي بَيْنَ الصَّحَابَةِ فِي ذَلِكَ فَإِنَّ هَذَا مِنْ بَابِ التَّعْظِيمِ وَالتَّكْرِيمِ، فَالشَّيْخَانِ وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانُ أَوْلَى بِذَلِكَ مِنْهُ ﷺ أَجْمَعِينَ "،انظر: تفسير ابن كثير (٦/٤٢٢)، وقال النووي في الأذكار:" أنّها صارتْ مخصوصةً في لسان السلف بالأنبياء، (١١٨)، وانظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤/٤٢٠)، معجم المناهي اللفظية، بكر أبو زيد، ط١(٣٤٠).

(١٨) النوبختي، فِرَقَ الشِّيعَةِ، (٢٠)، الطوسي، رجال الكشي، (١٠٣)، التستري، قاموس الرجال، (٦/٣٦٧)، القمي، المقالات والفرق، (٢٠،٢١)، الجزائري، الأنوار النعمانية، (٢/٢٠٥) المجلسي، بحار الأنوار، (٢٥/٢٨٧) .

(١٩) شخصية عبد الله بن سبأ حقيقة وليست وهمية، كما تدعي الإمامية، بل هناك نصوص من مصادرهم معتبرة ومتنوعة تثبت هذه الشخصية، بل أكثر من (٢٠) مصدراً من مصادرهم، أنظر: شهادة أحد علمائهم المنصفين: حسين الموسوي، في كتابه: لله ثم للتاريخ، (١٢،١٣)، ولزيادة معرفة حقيقة ابن سبأ ومعرفة أباطيله راجع كتاب "ابن سبأ حقيقة لا خيال"، د: سعدي الهاشمي.

(٢٠) ينظر: سعدي، ابن سبأ حقيقة لا خيال، (١٥٠).

(٢١) ويعضده بما قرره علماء أهل السنة بأنَّ ابن سبأ كان في اليهودية يقول في يوشع بن نون وصي موسى عليهما السلام مثل ما قال في علي ﷺ، وهو أول من أظهر القول بالنص بإمامة علي، راجع: الشهرستاني، الملل والنحل، (١/١٤٠)، عبد القاهر، الفرق بين الفرق، (٢٢٥)، ابن تيمية، منهاج السنة، (٧/٢٢٠)، كما ذكر ابن الجوزي في وجه الشبه بينهم في كتابه الموضوعات، (١/٩٣).

(٢٢) انظر: الطوسي، رجال الكشي، (١٠٣)، التستري، قاموس الرجال، (٦/٣٦٧)، الجزائري، الأنوار النعمانية، (٢/٢٠٥).

(٢٣) انظر تصريحه:النوبختي، فِرَقَ الشِّيعَةِ، (١٩)، القمي، المقالات والفرق، (٢٠).

(٢٤) وهم مجمعون على هذا كما قرره الأشعري، مقالات الإسلاميين، (١/٣٣)، والقاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، (٧٦١).

(٢٥) انظر: القمي، تفسير القمي، (٢/٣٠٠)، الكاشاني، تفسير الصافي، (٥/٢٠٠)، المجلسي، بحار الأنوار (٣٠/١٥٨).

(٢٦) يراجع: الهيتمي، الصواعق المحرقة، (١/١١٢).،

(٢٧) للشريف الرضي الشيعي الأفاك على أمير المؤمنين علي ﷺ ،نصَّ الإمام الذهبي على هذا فقال:" ومن طالع كتابه نهج البلاغة، جزم بأنه مكذوب على أمير المؤمنين علي ﷺ، ففيه

السب الصراح والحط على السيدين: أبي بكر، وعمر م، وفيه من التناقض والأشياء الركيكة والعبارات التي من له معرفة بنفس القرشيين الصحابة وبنفس غيرهم ممن بعدهم من المتأخرين جزم بأن الكتاب أكثره باطل" الذهبي، ميزان الاعتدال، (١٢٤/٣)، وشهد أيضاً ابنُ تيمية في، منهاج السنة، (٥٥،٦٥/٨).

(٢٨) تحدث الهادي كاشف الغطاء عن قداسته ناقلاً إجماع الشيعة على ذلك في: مستدرك نهج البلاغة، (١٩٦، ١٩٧).

(٢٩) للرضي، نهج البلاغة، (١٣٨/٢)، المجلسي، بحار الأنوار، (٢٢/٣٢).

(٣٠) للرضي، نهج البلاغة، (١٦٤/١)، الآجُرِّيُّ، الشريعة، (١٧٦٠/٤)، برقم: ١٢١٥.

(٣١) للرضي، نهج البلاغة، (٨٣/٣)، وانظر موقفه مع عمه العباس وأبو سفيان في رفضها بل إنه تبرأ من الخلافة: (٤٠/١)..

(٣٢) الرضي، نهج البلاغة، (٤/٣)، المجلسي، بحار الأنوار، (٧٦/٣٣).

(٣٣) المفيد، الإرشاد، (٢٤٣/١)، ابن حديد، شرح نهج البلاغة، (٧٥/٣).

(٣٤) اللالكائي، شرح أصول اعتقاد، ط٨ (١٤٠٦/٧)، رقم ٢٥٢٧، البيهقي، الاعتقاد، ط١،(٣٥٨).

(٣٥) عبد الله بن أحمد، السنة (٥٦٤/٢) ط١، برقم: ١٣١٧.

(٣٦) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب الِاعْتِصَامِ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، بَابُ مَا يُكْرَهُ مِنَ التَّعَمُّقِ وَالتَّنَازُعِ فِي العِلْمِ، وَالغُلُوِّ فِي الدِّينِ وَالبِدَعِ، (١١٦٤)، رقم: ٧٣٠٠، ونحوه: أخرجه مسلم في الصحيح واللفظ له، كتاب الحج، بَابُ فضل المدينة، (٤٢٦) برقم: ١٣٧٠.

(٣٧) وعلَّق النووي على مقالة علي بقوله "هَذَا تَصْرِيحٌ مِنْ عَلِيٍّ ﷺ إِبْطَالِ مَا تَزْعُمُهُ الرَّافِضَةُ وَالشِّيعَةُ وَيَخْتَرِعُونَهُ مِنْ قَوْلِهِمْ إِنَّ عَلِيًّا ﷺ أَوْصَى إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ بِأُمُورٍ كَثِيرَةٍ مِنْ أَسْرَارِ الْعِلْمِ وَقَوَاعِدِ الدِّينِ وَكُنُوزِ الشريعة، وَأَنَّهُ ﷺ خَصَّ أَهْلَ الْبَيْتِ بِمَا لَمْ يُطْلِعْ عَلَيْهِ غَيْرَهُمْ وَهَذِهِ دَعَاوَى بَاطِلَةٌ وَاخْتِرَاعَاتٌ فَاسِدَةٌ لَا أَصْلَ لَهَا وَيَكْفِي فِي إِبْطَالِهَا قَوْلُ عَلِيٍّ ﷺ هَذَا "، انظر: شرح مسلم، (١٤٦/٩).

(٣٨) أورده في: الهيتمي، الصواعق المحرقة، (١١٨/١).

(٣٩) أبو الفرج، مقاتل الطالبيين، دط (٦٥)، المجلسي، بحار الأنوار، (٤٠/٤٤).

(٤٠) الآجُرِّيُّ، الشريعة،ط٢ (٢١٦٩/٥) ١٦٦٠ رقم، اللالكائي، شرح أصول اعتقاد، ط٨ (١٥٣٧/٨)، برقم: ٢٧٩٨.

(٤١) الاربلي، كشف الغمة ، (٣٩٣/٢)، المجلسي، بحار الأنوار، (٦٥/٤٤).

(٤٢) النعمان، شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، (١٠٥/٣)، المجلسي، بحار الأنوار، (٦٢/٤٤).

(٤٣) ينظر: المسعودي، مروج الذهب، (٤٣١/٢)، أبو الفرج، مقاتل الطالبيين، (٧٥).

(٤٤) تجده عند: اللالكائي، شرح أصول اعتقاد، (١٥٣٧/٨)، برقم: ٢٧٩٧، وابن عساكر، تاريخ دمشق، (٢٨٠/١٣).

(٤٥) كما عند: المسعودي، مروج الذهب، (٤١٣/٢)، وابن كثير، البداية والنهاية، (٥٤٥/٧).

(٤٦) أخرجه الحاكم في المستدرك، وقال وَهَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، ووافقه الذهبي، (٨٤/٣)، برقم: ٤٤٦٧، وقال ابن كثير عن هذا الخبر في البداية والنهاية، ٣٥٣/٥)، إِسْنَادٌ جَيِّدٌ.

(٤٧) ابن عبد البر، الاستيعاب (١٨٣)، الذهبي، سير أعلام النبلاء، (٢٧٨/٣)، الهيتمي، الصواعق المحرقة، (٤١٣/٢).

(٤٨) المجلسي، بحار الأنوار، (٤٦/٤٥).
(٤٩) ينظر نصائح وتحذير الصحابة وآل البيت له: الطبري، تاريخ الطبري، (٣٨٣/٥)، أبو الفرج، مقاتل الطالبيين، (١١٠)، ابن الجوزي، المنتظم، (٣٢٧/٥)، ابن تيمية، منهاج السنة، (٥٣٠/٤)، الذهبي، تاريخ الإسلام، (٥٧١/٢).
(٥٠) المفيد، الإرشاد، (٣٠/٢)، وانظر: الطبرسي، أعلام الورى بأعلام الهدى، (٢٤٠) .
(٥١) الطوسي، رجال الكشي، (١٦٥)، وبنحو هذا جاء للكليني في الكافي، (١٧٤/١).
(٥٢) أورده: اللالكائي، في شرح أصول اعتقاد، (١٤٨١/٨)، برقم: ٢٦٨٤.
(٥٣) تجده عند: ابن سعد، الطبقات الكبرى، (٣٢٥/٥)، المزي، تهذيب الكمال، (٤٦٦/٢١).
(٥٤) ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، (٢٤٣/١٤)، المزي، تهذيب الكمال، (٣٩٦/٢٠).
(٥٥) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، دط (٣٣١/٣)، المجلسي، بحار الأنوار، (٣٥٦/٤٦).
(٥٦) تجده عند: اللالكائي، شرح أصول اعتقاد، ط ٨، (١٤٨٣/٨)، برقم: ٢٦٨٩.
(٥٧) فرقة من الخطابية المنسوبين إِلَى أبي الْخطاب، وهم من الرافضة، وافْتَرَقت بعد قتل أبي الْخطاب فرقا: فَمِنْهَا فرقة زعمت أَن الإمام بعد أبي الْخطاب عُمَيْر بن بَيَان الْعجلِيّ، ومن خزعبلاتهم أنهم نصبوا خيمة على كناسَة الْكُوفَة يَجْتَمعُونَ فِيهَا على عبَادَة جَعْفَر الصَّادِق، فَرفع خبرهم إِلَى يزِيد بن عمر فصلب عُمَيْرًا فِي كناسَة الْكُوفَة، ينظر: الصفدي بالوفيات، (٣٤٥/١٩)، الشهرستاني، الملل والنحل، (١٤٥/١).
(٥٨) الصفار، بصائر الدرجات الكبرى، (١٩٦)، المجلسي، بحار الأنوار، (٢٠٥/٢٦).
(٥٩) اللالكائي، شرح أصول اعتقاد،(١٤٨٥/٨)رقم:٢٦٩٤، الذهبي، سير أعلام النبلاء، (٢٥٩/٦).
(٦٠) كما عند الطوسي، رجال الكشي، (١٦٥).
(٦١) عن الحلي في منهاج الكرامة ١ (٥٦)، وانظر إن شئت: ابن تيمية، منهاج السنة، (١٢/٤).
(٦٢) الذهبي، المنتقى من منهاج الاعتدال، (٥٣٣).
(٦٣) الميلاني، نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار، (٤٩/٢٠) ومما أكد ذلك الطبرسي بمجمع البيان، (٣٦٣/٣).
(٦٤) راجع: الحلي، منهاج الكرامة، ط١، (١١٦)، الزنجاني، عقائد الإمامية الاثني عشرية، (٨١/١-٨٢).
(٦٥) انظر: الفراهيدي، كتاب العين، (٣٦٥/٨)، ابن تيمية، منهاج السنة، (٢٨/٧، ٢٩)، الفيروز آبادي، القاموس المحيط، (١٣٤٤)، الرازي، مختار الصّحاح، (٣٩٣)، الهيتمي، الصواعق المحرقة، (١٠٥/١)، الزَّبيدي، تاج العروس، (٢٤٦/٤٠).
(٦٦) يراجع: ابن تيمية، منهاج السنة، (١٦/٧)، الصديقي، الحجج الباهرة (٨٢)، الهيتمي، الصواعق المحرقة، (١٠٥/١).
(٦٧) قولهم: (الصّحاح الستة) فليس عند أهل السنة (الصّحاح الستة) إنما عندهم الصحيحان فقط – البخاري ومسلم – لكن هذا من التلبيس على المسلمين، وتفخيمهم للأمور، وليست هذه بأول دسائسهم ولا بآخرها.!.
(٦٨) انظر: ابن تيمية، منهاج السنة، (١١/٧)، بل نصَّ الحافظ ابن كثير على كذب الْقِصَّةَ كما في التفسير، (١٢٦/٣)، وقال الألباني في السلسلة الأحاديث الضعيفة، (٥٨٣/١٠) رقم: ٤٩٢١، لشدة ضعف أكثرها، وسائرها مراسيل ومعاضيل لا يحتج بها.

([69]) ابن تيمية، منهاج السنة، (١١/٧)، كما أكد ابن كثير في تفسيره، (١٢٧/٣)، وانظر: تفسير ابن أبي حاتم، (١١٦٣/١٠).
([70]) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، (٣٨٢/١٢).
([71]) يراجع: الهيتمي، الصواعق المحرقة، (١٠٦/١) بتصرف.
([72]) ذكره ثعلب عند: ابن منظور، لسان العرب، (٢١٦/٦)، والزَّبيدي، تاج العروس، (٢٤٦/٢١).
([73]) الألوسي، مختصر التحفة الاثني عشرية، (١٤٢)، وصوبَّ هذا المعنى أحمد شاكر في حاشية تفسير الطبري، (٤٢٦/١١).
([74]) أحمد شاكر، حاشية تفسير الطبري، (٤٢٦/١١).
([75]) نصَّ على ذلك الشوكاني بفتح القدير (٥٩/٢)،بل لَا يَجْزِئُ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ الْفُقَهَاءِ، وايضاً ابن تيمية في منهاج السنة، (١/٧).
([76]) انظر: ابن تيمية، منهاج السنة، (١٦/٧، ١٥)، ابن كثير، تفسير ابن كثير، (١٢٥/٣، ١٢٢).
([77]) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب العَمَلِ فِي الصَّلاَةِ، بَابُ لاَ يَرُدُّ السَّلاَمَ فِي الصَّلاَةِ، (١٩٣)، رقم: ١٢١٦.
([78]) الطبرسي، مجمع البيان، (٢٠٩/١٠)، البحراني، البرهان في تفسير القرآن، (٥٤٦/٥)، المجلسي، بحار الأنوار (٢٣٧/٣٥).
([79]) الرازي، مفاتيح الغيب، (٣٨٦/١٢)، الصديقي، الحجج الباهرة في إفحام الطائفة الفاجرة، (٨٣).
([80]) انظر: ابن تيمية، منهاج السنة، (٣٠/٧) بتصرف .
([81]) الطبري، تفسير الطبري، (٥٣٠/٨)، ابن أبي حاتم في تفسيره، (١١٦٢/١٠).
([82]) انظر:الطبري، تفسير الطبري، (٥٣١/٨)، أبي نعيم، حلية الأولياء، (١٨٥/٣)، وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة، :وإسناده صحيح، (٥٨٣/١٠)، رقم: ٤٩٢١.
([83]) راجع:الألوسي، مختصر التحفة الاثني عشرية، (١٤١).
([84]) ينظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة، للشيخ الألباني، (٥٨٣/١٠)، رقم: ٤٩٢١.
([85]) ابن تيمية، منهاج السنة، (١١٨/٤، ١١٩).
([86]) الغَدِير: الْقِطْعَةُ مِنَ الْمَاءِ يُغادِرُها السَّيْلُ أَي يَتْرُكُهَا؛ وخُمٌّ: وادٍ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ بالجُحْفةِ به غدير، وهذا الوادي موصوف بكثرة الوخامة. انظر: الحموي، معجم البلدان، (٣٨٩/٢)، وابن منظور، لسان العرب، (١٦١/٥، ١٦/١١).
([87]) الهيتمي، الصواعق المحرقة، (١٠٦/١).
([88]) ابتدع هذه البدعة الشنيعة الرافضي مُعِزُّ الدَّوْلَةِ بْنُ بُوَيْهِ (٣٥٢هـ) فَرَحًا بَعِيدِ الْغَدِيرِ غَدِيرِ خم، والشيعة يفضلونه على عيدي الفطر والأضحى، ويسمونه بالعيد الأكبر؟ راجع: ابن كثير، البداية والنهاية، (٢١٦/١٢)، مختصر التحفة الاثني عشرية، (٢٠٨) .
([89]) أخرجه الترمذي في السنن، كتاب المناقب عن رسول ﷺ، بَابُ مَنَاقِبِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه، (٨٤٣)، برقم: ٣٧١٣، وصححه الألباني كما في السلسلة الصحيحة، (٣٣٠/٤) برقم: ١٧٥٠.
([90]) أخرجه عبد الله في زوائد المسند، (١٨/٢) رقم:٩٥٠، وهو صحيح لغيره، انظر: السلسلة الصحيحة، ط١ (٣٣٨/٤).
([91]) احتج به: الحلي، منهاج الكرامة، (١١٧)، الكاشاني، تفسير الصافي، (٦٧/٢)، المجلسي، بحار الأنوار، (٢٢٥/٣٥).

(٩٢) راجع:الألوسي، مختصر التحفة الاثني عشرية (١٦٠)، ابن عساكر، تاريخ دمشق، (٢٣٨/٤٢)، الزَّبيدي، تاج العروس، (٢٤٥/٤٠)، وابن تيمية، منهاج السنة، (٣٢٤/٧).
(٩٣) أخرجه أحمد في المسند، (١٨/٢) رقم: ٢٢٩٤٥، وقال محققه: إسناده صحيح على شرط الشيخين.
(٩٤) الأصبهاني، الإمامة والرد على الرافضة، (٢٢٠)، البيهقي، الاعتقاد، (٣٥٥)، ابن كثير، البداية والنهاية، (٢٨٨/٥).
(٩٥) البيهقي، الاعتقاد، (٣٥٥)، ابن عساكر، تاريخ دمشق، (٢٣٨/٤٢)، .
(٩٦) راجع:الألوسي، مختصر التحفة الاثني عشرية، (١٦٠) بتصرف.
(٩٧) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب المغازي، بَابُ مَرَضِ النَّبِيِّ ﷺ وَوَفَاتِهِ (٧١٤)، برقم: ٤٤٤٧.
(٩٨) انظر: ابن العربي، العواصم من القواصم،(١٨٥/١)، الهيتمي، الصواعق المحرقة، (١١١/١).
(٩٩) للرضي، نهج البلاغة، (١٦٤/١)، الآجُرِّيُّ، الشريعة، (١٧٦٠/٤)، برقم: ١٢١٥.
(١٠٠) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب الوَصَايَا، بَابُ الوَصَايَا، (٤٥١)، رقم: ٢٧٤١.
(١٠١) انظر: الاعتقاد، للبيهقي، (٣٥٥)، ابن عساكر، تاريخ دمشق، (٧٠/١٣)، المزي، تهذيب الكمال (٨٦/٦).
(١٠٢) تجده ب: رسائل الشريف المرتضى، (٢٣٩/١).
(١٠٣) وأكد ذلك ما ذكره عالمهم النوري الطبرسي في: فَصلُ الخِطابِ في تَحريفِ كِتابِ رَبِّ الأربابِ، (٢٠٥، ٢٠٦)، نقلا عن شحاتة صقر، الشيعة هم العدو فاحذرهم، (٥٦) وأقر أيضاً الخميني بكشف الأسرار، (١٣٥) بأنَّ النبي ﷺ لم يؤدّ تبليغ أمر الإمامة والوصاية.
(١٠٤) ابن تيمية، منهاج السنة، (٢٥٢/٨).
(١٠٥) ابن كثير، البداية والنهاية، (٢٨٨/٥).
(١٠٦) تجده ب: الكليني، أصول الكافي، (١٨/٢).
(١٠٧) العياشي، تفسير العياشي، (٢١٦/٣)، الخوئي، البيان في تفسير القرآن، (٢٣٠).
(١٠٨) الكليني، أصول الكافي، (٤٢٥/١)، و انظر: الكاشاني، تفسير الصافي، (٢١٦/٣).
(١٠٩) الصفار، بصائر الدرجات الكبرى، (٣٨٧)، الطبرسي، مستدرك الوسائل، (١٥٨/١).
(١١٠) هو محمد بن محمد بن النعمان، الملقب بالمفيد، يكنى: أبا عبد الله، ولد: سنة ٣٣ هـ، انتهت رئاسة متكلمي الشيعة إليه، وله أكثر من (٢٠٠) مصنف طعن فيها على الصحابة والتابعين وأئمة المجتهدين، أراح الله المسلمين منه في: ببغداد سنة: ٤١٣ هـ. ينظر: الخطيب، تاريخ بغداد، ط ١(٣٥/٣)، ابن حجر، لسان الميزان،ط١(٤٨٦/٧).
(١١١) تجده عند: المفيد، أوائل المقالات، (٤٤)، المجلسي، بحار الأنوار، (٣٦٦/٨).

مصَادر وَمرَاجِع أهل السنة.

- الآجُرِّيُّ، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله البغدادي، الشريعة، المحقق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، ط٢(السعودية: دار الوطن، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م).
- الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، ط١، المحقق: نعيم زرزور،(بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م).
- الألوسي، محمود شكري، مختصر التحفة الاثني عشرية، حققه وعلق حواشيه: محب الدين الخطيب د. ط، (القاهرة: المطبعة السلفية، ١٣٧٣ هـ).

- الألباني، محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها،ط١، (الرياض:مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، د. ت).
- الألباني، محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة،ط١، (الرياض:مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ١٤١٢ هـ/١٩٩٢ م).
- الألكائي، هبة الله ابن الحسن بن منصور الطبري، شرح أصول اعتقاد أهل السُنَّة والجماعة، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، ط٨، (السعودية: دار طيبة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م).
- البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل، الجامع الصَّحيح المسند من حديث رسولِ الله – صلَّى الله عليْه وسلَّم – وسُنَنه وأيَّامه،ط٣، المحقق: رائد بن صبري بن أبي علفة، (الرياض: دار الحضارة للنشر والتوزيع،١٤٣٦ هـ– ٢٠١٥م).
- البغدادي، عبد القاهر بن طاهر التميمي الأسفراييني، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، ط٢، (بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٩٧٧).
- عبد الجبار، للقاضي عبد الجبار المعتزلي شرح الأصول الخمسة، د ط، بتحقيق عبد الكريم عثمان،(د. م: د. ت).
- البيهقي أحمد بن الحسين بن علي، الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث،ط١، المحقق: أحمد عصام الكاتب، (بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٤٠١هـ).
- الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة، سننُ الترمذي، تحقيق وتعليق محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به، أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان،ط١،(الرياض:مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، د. ت).
- ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، المحقق: محمد رشاد سالم، ط١،(السعودية: جامعة الإمام محمد بن سعود ١٤٠٦هـ– ١٩٨٦م).
- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ط١، المحقق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢م).
- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر،ط٣، المحقق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م).
- الجويني، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف، غياث الأمم في التياث الظلم، ط٢، المحقق: عبد العظيم الديب، (د. م: مكتبة إمام الحرمين، ١٤٠١هـ).
- ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل،ط١، المحقق: أحمد محمد شاكر، (القاهرة: دار الحديث – ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥ م).
- الحاكم، محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، ط١، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية – ١٤١١ هـ– ١٩٩٠م).
- الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي، معجم البلدان، ط٢،(بيروت: دار صادر، ١٩٩٥ م).
- أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي، تفسير القرآن العظيم، ط٣، المحقق: أسعد محمد الطيب، (المملكة العربية السعودية: مكتبة نزار مصطفى الباز، ١٤١٩ هـ).
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، تاريخ ابن خلدون، ط٢، المحقق: خليل شحادة، (بيروت: دار الفكر، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م).

- الذهبي، شمس الدين بن محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، ط١١، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٢٢ هـ/٢٠٠١ م).
- الذهبي، شمس الدين بن محمد بن أحمد بن عثمان، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ط١، المحقق: بشار عواد معروف، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٣م).
- الذهبي، شمس الدين بن محمد بن أحمد بن عثمان، المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال، د ط، (المحقق: محب الدين الخطيب، (د. م: د. ت).
- الذهبي، شمس الدين بن محمد بن أحمد بن عثمان، ميزان الاعتدال في نقد الرجال،ط١، تحقيق: علي محمد البجاوي، (بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م).
- الراغب، أبو القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ط٦، المحقق: صفوان عدنان الداودي، (دمشق بيروت: دار القلم، الدار الشامية، ١٤٣٥ هـ/٢٠١٤م).
- الرازي، محمد بن عمر بن الحسن التيمي، مفاتيح الغيب، ط٣،(بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠ هـ).
- الزَّبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، د ط، المحقق: مجموعة من المحققين(د. م: دار الهداية د. ت).
- ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي، الطبقات الكبرى، المحقق: إحسان عباس، ط١،(بيروت: دار صادر، ١٩٦٨ م).
- الرازي، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصّحاح، ط٤، ط١،(الكويت:دار الكتاب الحديث،١٤١٤هـ/١٩٩٤م).
-الصديقي، محمد بن أسعد الدَّوَّاني، الحجج الباهرة في إفحام الطائفة الكافرة الفاجرة، ط١، تحقيق ودراسة: د. عبد الله حاج علي منيب، (د.م: مكتبة الإمام البخاري١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م).
- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، تاريخ الرسل والملوك، ط٢، (بيروت: دار التراث - ١٣٨٧ هـ).
- عبد الله بن أحمد، أبو عبد الرحمن بن محمد بن حنبل الشيبانيّ، السُّنة، المحقق: د. محمد بن سعيد بن سالم القحطاني، ط١،(الدمام: دار ابن القيم، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م).
- ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله، تاريخ دمشق، د ط، المحقق: عمرو بن غرامة العمروي، (دمشق: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م).
- الفيومي، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ،ط١، (القاهرة: دار الحديث، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م).
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم، كتاب العين، د ط، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، (بيروت: دار ومكتبة الهلال، د. ن).
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، ط٥، حققه و خرج أحاديثه وعلق عليه:د. محي الدين ديب مستو، د. علي أبو زيد، (بيروت - دمشق: دار ابن كثير، ١٤٣٩هـ/٢٠١٨م).
- ابن كثير، الحافظ أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، المحقق: محمد حسين شمس الدين،ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩ هـ).
- ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي المصري، لسان العرب، ط٤،(بيروت: دار صادر، ٢٠٠٥).

- المزي، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي الكلبي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ط١، المحقق: د. بشار عواد معروف، (بيروت: مؤسسة الرسالة – ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م).
- الماوردي، علي بن محمد بن محمد بن حبيب، الأحكام السلطانية، د ط، (القاهرة: دار الحديث، د. ت).
- مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، ط١،(مصر: مؤسسة زاد للنشر والتوزيع،١٤٣٣هـ/٢٠١٢م).
- أبي نعيم، أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني، الإمامة والرد على الرافضة، المحقق: د. علي بن محمد الفقيهي، ط٣ المدينة المنورة/السعودية: مكتبة العلوم والحكم، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م).
- أبو نعيم، أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، د ط، (دمشق: دار الفكر، ١٤١٦ هـ– ١٩٩٦م).
- النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ط١٠، (لبنان:، دار المعرفة للطباعة والنشر،١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م).
- الهيتمي، أحمد بن محمد بن علي بن حجر الأنصاري، الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، المحقق: عبد الرحمن بن عبد الله التركي – كامل محمد الخراط، ط١(لبنان: مؤسسة الرسالة، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م).
- الهاشمي، سعدي بن مهدي الهاشمي، ابن سبأ حقيقة لا خيال، ط١٢، (المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية – العدد السادس والأربعون – ١٤٠٠هـ).

مصَادَرِ وَمرَاجِع الشيعة.

- البحراني، هاشم الحسيني البحراني، البرهان في تفسير القرآن، د ط، تحقيق قسم الدراسات الاسلامية، (قم: مؤسسة البعثة، د. ن).
- التستري، محمد تقي التستري، قاموس الرجال، ط١، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، (قم:د م، ١٤٩٥هـ).
- الجزائري، عمة الله بن محمد بن عبد الله الموسوي، الأنوار النعمانية في بيان النشأة الإنسانية، ط١،تعليق: محمد علي القاضي الطباطبائي، (لبنان: بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤٣١ هـ – ٢٠١٠ م).
- أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين، شرح نهج البلاغة، د ط، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، د. ت).
- الحلي، الحسن بن يوسف بن المطهر، منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ط١، تحقيق: الأستاذ عبد الرحيم مبارك (قم:مؤسسة عاشوراء للتحقيقات والبحوث الإسلامية، د. ت).
- الخوئي، أبو القاسم الموسوي الخوئي، معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة، ط٥، (د. م: ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م).
- الخوئي، أبو القاسم الموسوي الخوئي، البيان في تفسير القرآن، ط٤، (لبنان: بيروت، دار الزهراء، ١٣٩٥ – ١٩٧٥ م).
- الخميني، روح الله بن مصطفى بن أحمد الموسوي، كشف الأسرار، د.ط(شبكة الفكر، د. ت).
- الزنجاني ابراهيم الموسوي الزنجاني عقائد الإمامية الاثني عشرية، ط٥، (إيران: انتشارات حضرت مهدي، ١٩٨٢م).

- الشريف الرضي، شرح الشيخ محمد عبده، نهج البلاغة، د.ط،(بيروت لبنان:دار المعرفة، د.ن).
- الشريف الرضي، الشريف الرضي، رسائل الشريف المرتضى، د.ط، عداد، مهدي الرجائي،(قم: دار القرآن الكريم، ١٤٠٥ هـ(.
- ابن شهرآشوب، شير الدين أبي عبد الله محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب،د.ط، قام بتصحيحه وشرحه ومقابلته لجنة من أساتذة النجف (النجف: المطبعة الحيدرية، ١٣٧٥ه ١٩٥٦م)
- الصفار، أبو جعفر محمد بن الحسن بن فروخ، بصائر الدرجات الكبرى، د. ط، (طهران:مؤسسة الأعلمي، ١٣٦٢ م – ١٤٠٤هـ).
- الطبرسي، أمين الأسلام أبي علي الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ط١، حققه وعلق عليه، لجنة من العلماء والمحققين، (قم:مؤسسة الأعلمي، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م).
- الطبرسي، أمين الأسلام أبي علي الطبرسي، إعلام الورى بأعلام الهدى، ط١، صححه وعلق عليه علي أكبر الغفاري،(بيروت لبنان: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤٢٤ هـ _ ٢٠٠٤ م).
- الطبرسي، الحاج ميرزا حسين النوري، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، د ط، تحقيق، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث (بيروت: آل البيت لإحياء التراث، ١٤٠٨هـ – ١٩٩٨م).
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن رستم الصغير، دلائل الإمامة، ط١، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية – مؤسسة البعثة (قم: مؤسسة البعثة، ١٤١٣ هـ(.
- العاملي، محمد بن الحسن الحر العاملي، الفصول المهمة في أصول الأئمة، ط١،تحقيق: محمد بن محمد الحسين القائيني، (قم: لمؤسسة معارف إسلامي إمام رضا ١٤١٨ هـ ١٣٧٦ هـ(.
- العياشي، محمد بن مسعود بن عياش السلمي السمرقندي، تفسير العياشي، دط، صححه: هاشم الرسولي المحلاتي، (طهران: المكتبة العلمية الإسلامية، د.ن).
- الغطاء، محمد الحسين آل كاشف الغطاء، أصل الشيعة وأصولها، د. ط، تحقيق علاء آل جعفر، (قم: مؤسسة الإمام علي، د.ن).
- أبو الفرج، علي بن الحسين بن محمد الأصبهاني، مقاتل الطالبيين، دط، المحقق: السيد أحمد صقر، بيروت: دار المعرفة، د. ت).
- القمي، لأبي الحسن علي بن إبراهيم القمي، تفسير القمي، د ط، صححه وعلق عليه طيب الموسوي الجزائري، (د. م: مطبعة النجف،١٣٨٧ هـ(.
- القمي، سعد بن عبد الله أبي خلف الأشعري، الفرق والمقالات، د ط، تحقيق: د: محمد جواد مشكور، (طهران: مكتبة الصدر مطبعة حيدري، ١٢٣١هـ).
- الكشي، محمد بن الحسن بن علي الطوسي، رجال الكشي، ط١، تحقيق، جواد القيومي الاصفهاني (قم:مؤسسة النشر الاسلامي، ١٤٢٧هـ).
- الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق الرازي، أصول الكافي، ط٣ صححه وعلق عليه علي أكبر الغفاري (طهران – بازار سلطاني: دار الكتب الإسلامية، ١٣٨٨هـ).
- الكاشاني، محسن الفيض الكاشاني، تفسير الصافي، ط ٢، (طهران: مكتبة الصدر، ١٤١٦ هـ– ١٣٧٤م).
- المجلسي، محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار،ط٢، (لبنان – بيروت: مؤسسة الوفاء، ١٤٠٣ هـ– ١٩٨٣ م).
- المفيد، محمد بن محمد بن النعمان ابن المعلم، الإرشاد في معرفة حجج الله علي العباد، ط٢، تحقيق مؤسسة آل البيت (بيروت.لبنان: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع،١٩٩٣– ١٤١٤ هـ).

- المفيد، محمد بن محمد بن النعمان ابن المعلم، أوائل المقالات، ط٢، (بيروت. لبنان: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٣ - ١٤١٤ هـ).
- الموسوي، حسين الموسوي، لله ثم للتاريخ كشف الأسرار وتَبْرِئَةُ الأئمةِ الأَطهار، طِ4، (بيروت: دار الأمل، د. ت).
- المسعودي، أبو الحسن على بن الحسين بن على، مروج الذهب ومعادن الجوهر، دط، تحقيق: أسعد داغر، (قم: دار الهجرة، ١٤٠٩هـ).
- المظفر، محمد رضا المظفر، عقائد الإمامية، د ط، (إيران، قم: انتشارات أنصاريان، د. ت).
- النوبختي، الحسن بن موسى النوبختي، فرق الشيعة، د ط، (د. م: د. ت).

ضوابط تعامل الرجل مع المرأة الأجنبية- "دراسة تحليلية"

د. رائد محمد أبو رية*

بسم الله الرحمن الرحيم

سلم البحث في ١٤٤٢/١/٩هـ اعتمد للنشر في ١٤٤٢/٢/١٥هـ

ملخص البحث:

جعل الإسلام للمرأة من الحقوق مثل ما للرجل، فجعل لها الحق في الخروج من بيتها لقضاء حوائجها، ولممارسة الأعمال المختلفة، كما جعل لها الحق في اكتساب أسباب الرزق بالتجارة والزراعة والصناعة، ونحوها من الأعمال التي يجوز امتهانها شرعا، كما كفل لها حق التعلم من الغير رجلا كان أو امرأة، وأذن لها في الخروج لتعليم غيرها، إذا التزمت الضوابط الشرعية عند الخروج لذلك، وعند مزاولة المرأة للأعمال المرخص لها فيها، لا يخلو حالها من أن تتعامل مع الرجال أو النساء، وكما وضع لها الشارع ضوابط لخروجها، وصغ ضوابط عند تعاملها مع الرجال أو عند تعامل الرجال معها، يجب على كل من الطرفين الالتزام بها، حتى يؤمن الفساد ويؤمن افتتان أي منهما بالآخر.

Abstract:

Islam made a woman a right to a woman like that of a man, so it gave her the right to leave her house to fulfill her needs, and to practice various works. It also gave her the right to acquire the means of livelihood in trade, agriculture and industry, and other works that may be abused by Sharia, and it also guaranteed her the right to learn from others A man or a woman, and she is permitted to go out to teach others, if she complies with the Shari'a controls when leaving for that, and when a woman engages in the work she is authorized to do, her condition is not free to deal with men or women, and as the street has set regulations for her for her exit, and formulates controls when dealing with her With men or when dealing with men, each of the parties must adhere to it, so that he believes in corruption and believes in the infatuation of either of them with the other.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد. فقد دعا الإسلام إلى نشر الفضيلة والطهر والعفاف في المجتمع الإسلامي؛ إذ بدون ذلك يتحول المجتمع إلى غابٍ يفترس فيه القويُ الضعيفَ، ويستأسد المفترسُ الأليفَ. ومن هنا، فقد سنّ الإسلام قوانين ليضبط حدود التعامل بين الرجل والمرأة؛ في العمل، وفي السوق، وفي الشارع، وفي أماكن طلب العلم، وفي دور العبادة، وهكذا. وقد صان الإسلام المرأة وكرّمها أيَّما تكريم،

---

* أستاذ مساعد بالجامعة الإسلامية، بمينسوتا، أمريكا الشمالية.

ولذا كان حريصا كل الحرص على أن يبعدها عن مواطن الشبهة كي لا تلوكَها الألسنة بتهمة يتردد صداها في أنحاء مجتمعها الصغير فتنهار مملكتها التي أعدّها الإسلام لها، وتفقد مكانتها التي بوأها إياها، كما صان الإسلام بذلك أهلها من أن تصيبهم المعرّة جزاء تهاونها في حفظ عفافها وحراسة أنوثتها التي لا تحق إلا لمن أخذها بحقها. وقد تتسبب بذلك دون قصد منها في موت أبيها كمَداً وحسرة دون جُرم جناه أو إثم قدمته يداه.

من أجل ذلك كله، وتجنبا للمفاسد التي قد تترتب على الاختلاط بين الرجل والمرأة وضع الإسلام ضوابطَ وقيوداً؛ حتى لا ينفلت الذمام، أو ينحرف اللجام فيحدث ما لا يُحمد عُقباه. ولا نعني بذلك كبت المرأة أو حبسها بين جدران بيتها، أو الحكم عليها بالمكث في بيتها بحيث لا تكون فاعلة في مجتمعاتها، والسنة النبوية تعلن أن المرأة شريكة الرجل في حياته؛ بدلالة قوله ع: من حديث عائشة: "إِنَّمَا النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَالِ"[١]. لكن الإسلام يضع الأمور في نصابها، ويضبط تحركاتِ الإنسان ونزعاتِه حتى لا نندم ولات حين ندم.

والإسلام بهذه القيود وتلك الضوابط يعلمنا أن الإنسان ليس حرا حرية مطلقة، يفعل ما يشتهي، وإنما هو مقيد يفعل ما ينبغي؛ وذلك أثر من آثار العقل المُركَّبِ فيه، والذي يعطيه من الخصائص ويمنحه من العطايا والهبات ما لم يحظَ به مخلوق سواه على وجه المعمورة؛ ولذا استحق الإنسان التكريم دون سائر خلق الله سبحانه، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾[٢].

ولعلك تلاحظ معي أن استعمال مادة "ك ر م" هنا تحمل في ذاتها تكريماً، فأنت تقول لما يُعجبك إذا كان نفيساً "كريم" كقولك: أحجار ومعادن كريمة. وهذا ما عبّر عنه الطاهر بن عاشور في تفسيره قائلاً: "والتكريم: جعله كريما، أي نفيسا غير مبذول ولا ذليل في صورته ولا في حركة مشيه وفي بشرته، فإن جميع الحيوان لا يعرف النظافة ولا اللباس ولا ترفيه المضجع والمأكل ولا حسن كيفية تناول الطعام والشراب ولا الاستعداد لما ينفعه ودفع ما يضره ولا شعوره بما في ذاته وعقله من المحاسن فيستزيد منها والقبائح فيسترها ويدفعه"[٣].

ومن أولى مستلزمات هذا التكريم ومقتضيات ذلك التفضيل أن لا يتبع المرء (رجلاً كان أو امرأة) هواه أو ينساق خلف مشاعره التي غالباً ما تضل وتزيغ في زماننا هذا، وما أجدره أن يُحكّم عقله، ويُغلّب وعْيَه، ويُفتّق ذهنه ليرى بعين البصيرة

قبل عين البصر ما يترتب على التسيُّب في العلاقة بين الرجل والمرأة من أضرار وأخطار. فعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ م، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ»(٤).

ولنترك تلك الأصوات النشاذ التي تدعو بالليل والنهار إلى الاختلاط، وترى ما عدا ذلك كبتاً للحريات، وتخلفاً عن ركب الحضارة الغربية الحديثة. ولا أدلَّ على خطأ تفكيرهم من أن المرأة في الغرب يُنظر إليها بعين الشهوة لا بعين التكريم والتقدير؛ بدلالة أعداد المغتصبات التي تزداد عندهم في كل يوم. وما تجربة القط والفأر عنا ببعيدة: "فقد أتيا بهما وهما رضيعان ثم وضعا في قفص صغير واحد، وظلا يأكلان سويا من طبق واحد، حتى إذا جاء موعد ظهور الغريزة -ولكل غريزة موعد- انقض القط على الفأر فأكله ولم تشفع له عشرة طالت ولا اختلاط دام(٥).

فاعتبروا يا أولي الأبصار، ويا أولي الألباب، ويا أولي النُّهى!!

أ. أهمية الموضوع:

١. إن هذا الموضوع يتناول الأدواتِ والوسائلَ التي نحافظ من خلالها على كِيان المجتمع الإسلامي؛ ليبقى في قمة تماسكه، وأوْج عفته وطهارته، وقوة روابطه، ومتانة وشائجه؛ بعيداً عن الخلاعة والتقليد الأعمى للأفكار المسمومة والحلول المستوردة التي تفِد إلينا من الغرب، بَلهَ بعض العرب ذوي الأقلام المأجورة، والألسنة المسعورة.

٢- وتكمن أهمية هذا الموضوع في أنه يحدد طبيعة العلاقة بين الرجل والمرأة، ويضع المعايير والضوابط التي تنظم حدود تلك العلاقة وملامحها، وترسم بالنصوص الشرعية دوائرها.

٣- كما تتضح أهمية هذه الدراسة من حيث إنها تنصبُّ على دراسة الواقع بحُلوه ومُرّه، وعُجَره وبُجَره، وتعالج سلبياتِه التي ينطق بها واقعنا المعاصر في كثير من بلادنا.

ومن هنا تبدو أهمية هذا الموضوع؛ وهو: (ضوابط تعامل الرجل مع المرأة الأجنبية) دراسة تحليلية.

ب . أسباب اختيار الموضوع:

اخترت هذا الموضوع ليكون محل دراستى لعدة أسباب، منها:

١. الفضول العلمي الذي دفعني إلى معرفة ما يُرَدِّدُه المستغربون من أبناء جلدتنا من دعوتهم إلى الاختلاط والسفور، والرد عليهم بالحجة والبرهان، لا سيما بعد تداول كتابتهم عن ذلك وذيوعها.

٢. غرس قيمة الاحتشام والستر في مجتمعاتنا الإسلامية في عصر الانفتاح والإلحاد الفكري.

٣. بيان الرؤية الإسلامية في حكم وضوابط تعامل الرجل مع المرأة، وإماطة اللثام عن أصحاب الدعوات الهدامة التي تكيد للمرأة المسلمة وتحيك لها المؤامرات، وتنصب لها الأفخاخ لتنسلخ عن دينها وقيمها، وإمدادها بالمناعة الإيمانية والحصانة العقائدية ضد طاعون العصر، وهو "العُري، والتكشف"؛ لذا أردت وضعَ الأمر في نصابه الصحيح.

منهج البحث:.

وسوف يقوم هذا البحث على المنهج التحليلي.

– **والمنهج التحليلي:** "هو منهج يقوم على دراسة الإشكالات العلمية المختلفة؛ تفكيكاً، أو تركيباً، أو تقويمًا، فإن كان الإشكال تركيبية منغلقة قام المنهج التحليلي بتفكيكها وإرجاع العناصر إلى أصولها، أما إذا كان الإشكال عناصر مشتتة فإن المنهج يقوم بدراسة طبيعتها ووظائفها، ليُركِّب منها نظرية مّا، أو أصولا مّا، أو قواعدَ معينة، كما يمكن أن يقوم المنهج التحليلي على تقويم إشكال مَّا؛ أي نقده"(٦).

وعلى ذلك، فالتحليل فيه معنى الشمولية والإحاطة، كما أنه يعني تقسيم الشيء إلى أجزاء، والغوص في معانيه واستخدام "أسلوب النقد" لاستخراج ما فيه من إيجابيات وسلبيات.

كما ألزمت نفسي في هذا البحث منهجا مُوحَّداً يتمثل في الآتي:

١. تخريج الآيات الكريمة الواردة في البحث، وترقيمها.

٢. تخريج الأحاديث النبوية الواردة في البحث؛ مُقدماً الصحيحين أو أحدَهما على غيرهما، والاكتفاء بأيهما حتى لو ورد ذكرُه في أحدى كتب السنة النبوية المطهرة.

٣. الحكم على الحديث إن لم يكن له ذكرٌ في الصحيحين أو أحدهما احترزاً من الكذب على رسول الله ع.

٤. الالتزام باللغة العربية الفصيحة، والبعد عن اللحن في كل ما أكتب، مع الالتزام بالموضوعية وعدم الحكم على الآخرين من خلال نياتهم.

٥. الأمانة في النقل عن المراجع، وعدم التدليس بالزيادة أو النقصان، ولو بالمعنى، لأن من بركة العلم نسبته لأهله.

خطة البحث:

ويشتمل هذا البحث المختصر على؛ مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، على النحو الآتي:

المقدمة وتشتمل على: أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، ومنهج البحث، وخطته.
التمهيد: بيان مفردات البحث، ومجال عمل الرجل مع الأجنبية عنه، وفيه مطلبان:
المطلب الأول: التعريف بمفردات البحث.
المطلب الثاني: مجالات عمل الرجل مع المرأة الأجنبية.
المبحث الأول: الضوابط القولية في تعامل الرجل مع المرأة الأجنبية، وفيه مطلبان:
المطلب الأول: المحظورات القولية بين الرجل والمرأة الأجنبية.
المطلب الثاني: المباحات القولية بين الرجل والمرأة الأجنبية.
المبحث الثاني: الضوابط الفعلية في تعامل الرجل مع المرأة الأجنبية، وفيه مطلبان:
المطلب الأول: الضوابط الأخلاقية في التعامل مع الغير.
المطلب الثاني: ضوابط عمل المرأة مع الرجل بين اليهودية والمسيحية والإسلام.
الخاتمة: وتتضمن أهم النتائج. والتوصيات.

المطلب الأول: التعريف بمفردات البحث

- **تعريف الضابط في اللغة:**

الضوابط جمع الضابط، مأخوذ من الضبط، الذي هو لزوم الشيء وحبسه. وضبط الشيء، حفظه بالحزم، والرجل ضابط، أي حازم، ورجل ضابط وضبطي: قوي شديد، ورجل أضبط: يعمل بيديه جميعا[٧]. وجاء في المعجم الوسيط: ضبط الشيء ضبطا، حفظه بالحزم حفظا بليغا وأحكمه وأتقنه، وَيُقَال ضبط الْبِلَاد وَغَيرهَا، قَامَ بأمرها قيَاما لَيْسَ فِيهِ نقص، وَضبط الْكتاب وَنَحْوه، أصلح خلله أَو صَححهُ وشكله، وضبط الْمُتَّهَم قبض عَلَيْهِ (وهي محدَثة)[٨].

- **تعريف الضابط في الاصطلاح:**

جاء في المصباح المنير: "الضَّابِطِ هو الْأَمْرُ الْكُلِّيُّ الْمُنْطَبِقُ عَلَى جَمِيعِ جُزْئِيَّاتِهِ."([٩]). أو هو:" الأمر الكلي الذي قصد به نظم صور متشابهة"[١٠].

- **تعريف الرجل:**

(الرجل) هو: الذّكر الْبَالِغ من بني آدم[١١]

- **تعريف المرأة:**

المرأة: "تأْنيث امْرِئٍ. وَقَالَ ابْنُ الأَنباري: الأَلف فِي امْرأَةٍ وامْرِئٍ أَلف وَصْلٍ. قَالَ: وَلِلْعَرَبِ فِي المَرأَةِ ثَلَاثُ لُغَاتٍ، يُقَالُ: هِيَ امْرَأَتُه وَهِيَ مَرْأَتُه وَهِيَ مَرَتُه"[١٢].

- **تعريف الأجنبي:**

جاء في لسان العرب: "الجَنِيبُ والأجنبي: الغَرِيبُ. وجَنَبَ فُلَانٌ فِي بَنِي فُلَانٍ يَجْنُبُ جَنابةً ويَجْنِبُ إِذَا نَزَلَ فِيهِمْ غَرِيباً، فَهُوَ جانِبٌ، وَالْجَمْعُ جُنَّابٌ، وَمِنْ ثَمَّ قِيلَ:

رجلٌ جانِبٌ أَي غرِيبٌ، وَرَجُلٌ جُنُبٌ بِمَعْنَى غَرِيبٍ، وَالْجُمَعُ أَجْنابٌ، وَرَجُلٌ جَنِبٌ: يَتَجنَّبُ قارِعةَ الطَّرِيقِ مَخافةَ الأَضْياف. والجَنْبة، بِسُكُونِ النُّونِ: النَّاحِيَةُ. ورَجُل ذُو جَنْبة أَي اعْتزالٍ عَنِ النَّاسِ مُتَجَنِّبٌ لَهُمْ"(١٣).

والملاحظ من التعريف اللغوي أن المادة تقوم على معنى البعد والتنحي عن الشيء، فالأجنبي لا قرابة له في بلده، ولا سند ولا ظهير.

والأجنبي في الاصطلاح هو: "من لا تعلق له بالأمر، ولا معرفة، وهو من لا يتمتع بجنسية الدولة"(١٤).

وعليه، فإن المقصود بالمرأة الأجنبية، هي المرأة التي لا تربطها بالرجل وشيجة قربى ولا صلة نسب، ولذا تظل صفة البُعد ملازمة لهذه العلاقة حتى يكون بينهما رباط شرعي.

المطلب الثاني: مجالات عمل الرجل مع المرأة الأجنبية

إيمانا منا بأن المرأة شريكة الرجل في حياته، وأنها تناصف الرجل هذه الأرض، وبما أن مجالات الحياة لا تخلو من وجود الرجال، فمن الطبيعي أن نجد المرأة أحيانا تتعامل مع الرجل.. والمهم من هذا كله أن لا تخرج عن إطار الآداب الشرعية المسموحة.. ودعونا نقرر ابتداءً أن المملكة الحقيقية للمرأة هي البيت أنه محضِنها الآمن الدافئ بعيدا عن النظرات المختَلسة والأخلاق المبتذلَة التي تشوب أنوثتها، وتخدش حياءها.

وإذا أردنا أن نعرف موقف الإسلام من خروج المرأة من بيتها واختلاطِها بالرجال ومشاركته أعباءَها، فإن لزاماً علينا أن نرجع إلى صدر الإسلام وعصره الزاهي من أيام النبوة لنرى النصوص النظرية والوقائع العملية؛ شريطة أن نكون منصفين، ننشد الحق بدليله... وإليكم بعض مجالات عمل المرأة في صدر الإسلام:

مجالات عمل المرأة في صدر الإسلام:

- **طلب العلم:**

من المشهور عن نساء الصحابة أنهن كن يأتين رسول الله ع يستفتينه ويطلبن من العلم، بل ويعرضن عليه أحياناً مشاكلهن في بيوتهن ومع أزواجهن. وإليكم بعض القرائن على ما أقول:

١. عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ م، أَنَّ امْرَأَةً مِنْ جُهَيْنَةَ، جَاءَتْ إِلَى النَّبِيِّ ع، فَقَالَتْ: إِنَّ أُمِّي نَذَرَتْ أَنْ تَحُجَّ فَلَمْ تَحُجَّ حَتَّى مَاتَتْ، أَفَأَحُجُّ عَنْهَا؟، قَالَ: «نَعَمْ حُجِّي عَنْهَا، أَرَأَيْتِ لَوْ كَانَ عَلَى أُمِّكِ دَيْنٌ أَكُنْتِ قَاضِيَةً؟ اقْضُوا اللَّهَ فَاللَّهُ أَحَقُّ بِالوَفَاءِ»(١٥).

٢. وعن عَائِشَةَ أَنَّ سَهْلَةَ بِنْتَ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو جَاءَتِ النَّبِيَّ ع فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ

إِنَّ سَالِمًا –لِسَالِمٍ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ– مَعَنَا فِي بَيْتِنَا. وَقَدْ بَلَغَ مَا يَبْلُغُ الرِّجَالُ، وَعَلِمَ مَا يَعْلَمُ الرِّجَالُ. قَالَ: «أَرْضِعِيهِ تَحْرُمِي عَلَيْهِ»[١٦]"

٣. وعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ: نَحَلَنِي أَبِي نُحْلًا، ثُمَّ أَتَى بِي إِلَى رَسُولِ اللهِ ع لِيُشْهِدَهُ، فَقَالَ: «أَكُلَّ وَلَدِكَ أَعْطَيْتَهُ هَذَا؟» قَالَ: لَا، قَالَ: «أَلَيْسَ تُرِيدُ مِنْهُمُ الْبِرَّ مِثْلَ مَا تُرِيدُ مِنْ ذَا؟» قَالَ: بَلَى، قَالَ: «فَإِنِّي لَا أَشْهَدُ»، قَالَ ابْنُ عَوْنٍ: فَحَدَّثْتُ بِهِ مُحَمَّدًا، فَقَالَ: إِنَّمَا تَحَدَّثْنَا أَنَّهُ قَالَ: «قَارِبُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ»[١٧].

فأنت ترى فيما سبق من شواهد أن المرأة كانت تدخل على سيدنا رسول الله تستفتيه فيما يخص أمها، وزوجها، وولدها، وما كان يمنعهن أحد من ذلك.

- **المجاملات والمناسبات:**

كانت المرأة في الإسلام تشارك أحبابها وصديقاتِها وجيرانَها فيما يعن لهن من مناسبات، ومن ذلك: ما رواه أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: تَزَوَّجَ رَسُولُ اللهِ ع، فَدَخَلَ بِأَهْلِهِ، قَالَ: فَصَنَعَتْ أُمِّي أُمُّ سُلَيْمٍ حَيْسًا، فَجَعَلَتْهُ فِي تَوْرٍ، فَقَالَتْ: يَا أَنَسُ، اذْهَبْ بِهَذَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ع، فَقُلْ: بَعَثَتْ بِهَذَا إِلَيْكَ أُمِّي وَهِيَ تُقْرِئُكَ السَّلَامَ، وَتَقُولُ: إِنَّ هَذَا لَكَ مِنَّا قَلِيلٌ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: فَذَهَبْتُ بِهَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ع..إلخ"[١٨].

- **عملهن خارج البيت؛ طلبا للرزق:**

عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ م، قَالَتْ: «كُنْتُ أَنْقُلُ النَّوَى مِنْ أَرْضِ الزُّبَيْرِ الَّتِي أَقْطَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ع عَلَى رَأْسِي، وَهِيَ مِنِّي عَلَى ثُلُثَيْ فَرْسَخٍ»[١٩].

ولم يمنعها أبوها الصِّدّيق ولا زوجها من عملها خارجَ بيتها لتوسع على عيالها وتشارك زوجها أعباء الحياة وصعابَها.

- **مشاركتهن في المناقشات العلمية:**

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود رضي الله عنه قَالَ: «لَعَنَ اللَّهُ الوَاشِمَاتِ وَالمُوتَشِمَاتِ، وَالمُتَنَمِّصَاتِ وَالمُتَفَلِّجَاتِ، لِلْحُسْنِ المُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللَّهِ» فَبَلَغَ ذَلِكَ امْرَأَةً مِنْ بَنِي أَسَدٍ يُقَالُ لَهَا [ص:١٤٨] أُمُّ يَعْقُوبَ، فَجَاءَتْ فَقَالَتْ: إِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ لَعَنْتَ كَيْتَ وَكَيْتَ، فَقَالَ: وَمَا لِي أَلْعَنُ مَنْ لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ع، وَمَنْ هُوَ فِي كِتَابِ اللَّهِ، فَقَالَتْ: لَقَدْ قَرَأْتُ مَا بَيْنَ اللَّوْحَيْنِ، فَمَا وَجَدْتُ فِيهِ مَا تَقُولُ، قَالَ: لَئِنْ كُنْتِ قَرَأْتِيهِ لَقَدْ وَجَدْتِيهِ، أَمَا قَرَأْتِ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]؟، قَالَتْ: بَلَى، قَالَ: فَإِنَّهُ قَدْ نَهَى عَنْهُ، قَالَتْ: فَإِنِّي أَرَى أَهْلَكَ يَفْعَلُونَهُ، قَالَ: فَاذْهَبِي فَانْظُرِي، فَذَهَبَتْ فَنَظَرَتْ، فَلَمْ تَرَ مِنْ حَاجَتِهَا شَيْئًا، فَقَالَ: لَوْ كَانَتْ كَذَلِكَ مَا جَامَعْتُهَا"[٢٠].

ولم ينكر أحد على هذه المرأة مناقشتها ومحاجتها لابن مسعود، وهو من أعلم

الصحابة بكتاب الله وأفقههم.

- **تعليمهن للرجال:**

عن أَنَسِ بْنَ مَالِكٍ ﷺ، يَقُولُ: جَاءَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ع، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ع، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ع ؟ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلاَ أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ع إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: «أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»(٢١).

ولم ينكر أحد على هؤلاء الشباب سؤالهم زوجات النبي ع، ولم ينكر رسول الله ﷺ عليهم ذلك.

مشاركتهن في الجهاد:

عَنْ حَفْصَةَ بِنْتِ سِيرِينَ، عَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ الْأَنْصَارِيَّةِ، قَالَتْ: «غَزَوْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ع سَبْعَ غَزَوَاتٍ، أَخْلُفُهُمْ فِي رِحَالِهِمْ، فَأَصْنَعُ لَهُمُ الطَّعَامَ، وَأُدَاوِي الْجَرْحَى، وَأَقُومُ عَلَى الْمَرْضَى»(٢٢).

وهناك من الأمثلة ما لو بسطتُ القول بذكرها لخرجنا عن المألوف في هذا البحث المختصر، وأذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

أ. مشاركتها الرجال في الصلاة في المسجد في الجمع والجماعات.

ب . المشاركة في مجالس العلماء.

ج . المشاركة في أماكن الاحتفال بالأعياد في مصلى العيد.

د. المشاركة في بعض أعمال تجهيز موتى النساء، دون الذهاب إلى المقابر مع الرجال.

هـ المشاركة في بعض أعمال الجهاد المأمونة.(٢٣) .

إن الحياة قد تفرض أحيانا على الشريفات لقاء الرجال، فإن كان ولا بد فليكن ذلك اللقاء مغلَّفا بالعفاف، محشوّاً بالأدب، مُحاطاً بالاحتشام.. تماماً كما يحكي القرآن هذا الموقف مع نبي الله موسى عليه السلام في سورة القصص: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاء مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاء وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ * فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ * فَجَاءتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاء قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لا تَخَفْ نَجَوْتَ

مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ* قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ﴾(٢٤).

ويمكن تلخيص المشهد بأن ابنتين ألجأتهما الضرورة للعمل بدلاً عن أبيهما الشيخ الكبير الذي يعجز عن العمل، مع ملاحظة أن عملهما كان شاقاً ينوء به الرجال، وهو رعي الأبقار. ولاحظ أيضاً: أن هاتين المرأتين بلغتا في عفتهما أنهما لم يزاحما الرجال على الحياض، بل انتظرتا حتى انصرف الرعاة، ثم استأنفا مهامهما في السقي. وقولهما ﴿وأبونا شيخ كبير﴾، يعطي مسوغاً قويا ومقنعاً لخروجهما، وهو عجز العائل عن العمل، وهنا كان للضرورة أحكامُها التي فرضها الواقع. ثم إن إحداهما لما راحت تخبره بأن أباها يريده، كانت على استحـياء في الكلام معه، ولم تخضـع بكلمة واحدة، ولم تخرج عن المهمة التي أُرسلت من أجلها.

وبعد هذا العرض الموجز أقول: لو كان خروج المرأة في عصرنا على هذا النحو، ولو كان كلامها مع الأجانب بهذه الطريقة لما كان ثمت خوف أو قلق عليها.

المبحث الأول

الضوابـط القولية في تعامل الرجل مع المرأة الأجنبية

لقد نظم الإسلام العلاقة بين الرجل والمرأة الأجنبية، وجعل بينهما حدوداً لا تُتعدّى، وحواجز لا تتكسر. فهناك كلام يُحظر الخوض فيه، وأسرار ينبغي أن تكون طيِّ الكتمان لا يطّلع عليها أحد، كما أن هناك كلاماً يباح تناوله بين الرجل والمرأة، وسنعرض لكلا الأمرين فيما يأتي:

المطلب الأول

المحظورات القولية بـين الرجل والمرأة الأجنبية

من هذه المحظورات القولية التي يجب أن تؤخذ في الاعتبار في علاقة الرجل مع المرأة الأجنبية، ما يمكن تلخيصه فيما يأتي:

١. **الخروج عن المألوف:** وأعني بذلك أن ينتظم الكلام بينهما على النحو المألوف الذي لا يتناول أخصّ الخصوصيات كأسرار الزوجية مثلا، أو يكون كلام المرأة بصوت جذاب، محرِّك للعواطـف الساكنة، مثير للمشـاعر الكامنة، وضابط ذلك من القرآن الكريم، قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفًا﴾(٢٥).

والمعروف هنا هو ما تعارف عليه الناس من طبيعة الكلام، دون أن يشذَّ عن المألوف والمستعمل من كلام بعضهم مع بعض. كما أنه قولٌ لا يتضمن منكراً بكل ما تحويه كلمة "منكر" من معانٍ رذيلة ممجوجة مستنكَرة. جاء في تفسير القول المعروف أنه "الذي يألفه الناس بحسب العرف العام، ويشمل القول المعروف هيئة

الكلام وهي التي سيق لها المقام، ويشمل مدلولاته أن لا ينتهرن من يكلمهن أو يسمعنه قولا بذيئا من باب: فليقل خيراً أو ليصمت"[٢٦]. وجاء في تفسير القول المعروف أيضاً: "أَمَرَهُنَّ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُنَّ جَزْلًا، وَكَلَامُهُنَّ فَصْلًا، وَلَا يَكُونُ عَلَى وَجْهٍ يُحْدِثُ فِي الْقَلْبِ عَلَاقَةً بِمَا يَظْهَرُ عَلَيْهِ مِنْ اللِّينِ الْمُطْمِعِ لِلسَّامِعِ، وَأَخَذَ عَلَيْهِنَّ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُنَّ مَعْرُوفًا"[٢٧]. وجاء في تفسير الكشاف: "قَوْلًا مَعْرُوفاً بعيدا من طمع المريب بجد وخشونة من غير تخنث، أو قولا حسنا مع كونه خشنا"[٢٨].

٢. **الخضوع بالقول:** والعمدة في هذا قوله تعالى: ﴿يَا نِسَاء النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاء إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفًا﴾[٢٩]، بمعنى أن لا تتكلم المرأة مع الرجل الأجنبي كلامَها مع زوجها أو أحدِ محارمها حتى لا يطمع فيها أصحاب القلوب المريضة، وما أكثرَهم!!. وجاء في روح المعاني عن تفسير الخضوع بالقول: "أي: لا تلينّ الكلام، ولا ترققنه في مخاطبة الأجانب وإن كن محرمات عليهم على التأبيد، وقد رُوي عن بعض أمهات المؤمنين أنها كانت تضع يدها على فمها إذا كلمت أجنبيا تغير صوتها بذلك خوفا من أن يسمع رخيما لينا، وعُدّ إغلاظ القول لغير الزوج من جملة محاسن خصال النساء جاهلية وإسلاما"[٣٠]. وهذه الآية من سورة الأحزاب فيها حظر وأمر، فالحظر يكون عن الخضوع بالقول، والأمر يكون بقول المعروف.

والحق أن المرأة أحيانا قد تكون حسنة النية في الكلام مع الأجنبي لجرأة في طباعها، أو تعوُّدها على ذلك نتيجة البيئة التي نشأت فيها والأساليب التي درجت عليها. وهذا خلل في طباع هذه المرأة؛ إذ أنها تعتبر نفسها آنئذٍ رجلاً مثله، ولو أنها نظرت إلى نفسها على أنها أنثى ما أمنت الكلامَ مع الرجال. وهذا من آفات الاختلاط في العمل مع الرجال، فهي من طول المُكث مع زميلها في العمل تنسى أنها أنثى، محلُّ طمع الجنس الآخر من الرجال، ومظِنّة التربص بها.

وقد تُثار هنا شبهة، فحواها أن هذه الضوابط تُعد قيودًا ثقيلة على حرية المرأة، وسوءَ ظن بها، والجواب على هذه الشبهة بما يلي: "إننا نخاطب الجِبلّة (الطبيعة) التي خلق الله عليها الرجل والمرأة، ويكفي لإزالة تلك الشبهة أن هذه الآية خاطب الله بها أمهات المؤمنين ابتداءً، فغيرهن أولى بالالتزام بما اشتملت عليه الآية"[٣١].

٣. **رفع الصوت:** بداية نؤكد على أن المرأة غير ممنوعة من الكلام مع الرجال الأجانب وقت الحاجة وفي حدود المعروف، كما نؤكد على أن طبيعة صوت المرأة

ليس بعورة، وهذا قول أصحاب المذاهب الفقهية جميعِهم في هذه المسألة على النحو الآتي: من أقوال الشافعية: "وصوت المرأة ليس بعورة، وَيَجُوزُ الْإِصْغَاءُ إِلَيْهِ عِنْدَ أَمْنِ الْفِتْنَةِ"(٣٢) وفي الفقه الحنبلي: "وَصَوْتُ الْأَجْنَبِيَّةِ لَيْسَ بِعَوْرَةٍ وَيَحْرُمُ تَلَذُّذٌ بِسَمَاعِهِ"(٣٣). وعند المالكية: "صوت المرأة ليس عورة حقيقية"(٣٤) وعند أبي حنيفة: "وصوتها ليس بعورة على القول الراجح"(٣٥)

ومن خلال سرد الآراء السالفة يتبين لنا أن مجرد صوت المرأة ليس بعورة، لكن العورة هو رفع صوتها بشكل يُلفت إليها الأنظارَ الراكدة، ويثير الكوامن العاطفية الساكنة، كصوتها في الغناء مثلا: يقول الإمام الغزالي: "وصوت المرأة في غير الغناء ليس بعورة، فلم تزل النساء في عصر الصحابة يكلمن الرجال في السلام، والسؤال، والمشاورة، وغير ذلك"(٣٦).

وحتى مجرد رفع الصوت –ولو خلا من الغناء– حرام على المرأة حتى لو كان بالأذان للصلاة، كما جاء في المغني: "الصواب أن رفع صوتها عورة، ولهذا منعت من الأذان، لأنه عادة لا يكون إلا برفع الصوت، وهي ممنوعة منه شرعاً"(٣٧).

فصوت المرأة متى ارتفع وعلا يكون عورة؛ لأنه غالبا إما يكون بصراخ من شأنه إثارة الشهوة في نفس المستمع، وإما بضحك فيكون أوقع في النفس، وإما بغناء فيكون أدعى للطمع فيها.

والعجيب أن بعض الفقهاء نصَّ على منع سماع صوت المرأة بتلذذ ولو كان بقراءة القرآن، لأنه يدعو إلى الفتنة بها؛ ولذا تُخافت (أي تُسرُّ) بالقراءة في الصلاة"(٣٨).

٤. **أمن الفتنة عند السلام:** يجوز سلام الرجل على المرأة، أعني: إلقاء السلام بالكلام، لا المصافحة باليد، بشرط أمن الفتنة في ذلك، وقد فعل رسول الله ذلك، فعن أَسْمَاءَ ابْنَة يَزِيدَ قالت: «مَرَّ عَلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ فِي نِسْوَةٍ فَسَلَّمَ عَلَيْنَا»(٣٩). وقد ترجم البخاري في صحيحه بقوله: (باب تسليم الرجال على النساء، والنساء على الرجال)، وهذا كله محمول على أمن الفتنة في كل الأحوال. قال النووي: "وأما الأجنبي فإن كانت عجوزا لا تشتهى استحب له السلام عليها واستحب لها السلام عليه، ومن سلم منهما لزم الآخر رد السلام عليه، وإن كانت شابة أو عجوزا تشتهى لم يسلم عليها الأجنبي ولم تسلم عليه، ومن سلم منهما لم يستحق جوابا"(٤٠).

فالمسألة إذن تخضع لعمر المرأة الأجنبية وأسلوبها وملابسات الموقف الذي تكون فيه مع الرجل.

المطلب الثاني
المباحات القولية بين الرجل والمرأة الأجنبية

هناك من الأقوال ما يباح بين الرجل والمرأة الأجنبية، ومن الأمثلة على ذلك:

١. الترحيب بالأقارب والأصهار: عَنْ عَائِشَةَ ك، قَالَتْ: اسْتَأْذَنَتْ هَالَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، أُخْتُ خَدِيجَةَ، عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ع، فَعَرَفَ اسْتِئْذَانَ خَدِيجَةَ فَارْتَاعَ لِذَلِكَ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ هَالَةَ». قَالَتْ: فَغِرْتُ، فَقُلْتُ: مَا تَذْكُرُ مِنْ عَجُوزٍ مِنْ عَجَائِزِ قُرَيْشٍ، حَمْرَاءِ الشِّدْقَيْنِ، هَلَكَتْ فِي الدَّهْرِ، قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهَا"(٤١).

وهنا تذكّر النبي زوجه خديجة رضوان الله عليها، ورأى أن يردَّ لها الفضل في أختها بحسن استقبالها، والترحيب بها، والبشاشة في وجهها. ومثل ذلك قد يحدث في الواقع إذا جاءت امرأة أخ إلى بيت فهشَّ لها صاحب البيت وبشَّ؛ لأنه يرى فيها ذكرى أخيه وحسن عشرته.

٢. الشكوى لأحد الأقارب: عَنْ عَوْنِ بْنِ أَبِي جُحَيْفَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: آخَى النَّبِيُّ ع بَيْنَ سَلْمَانَ، وَأَبِي الدَّرْدَاءِ، فَزَارَ سَلْمَانُ أَبَا الدَّرْدَاءِ، فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاءِ مُتَبَذِّلَةً، فَقَالَ لَهَا: مَا شَأْنُكِ؟ قَالَتْ: أَخُوكَ أَبُو الدَّرْدَاءِ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا، فَجَاءَ أَبُو الدَّرْدَاءِ فَصَنَعَ لَهُ طَعَامًا، فَقَالَ: كُلْ؟ قَالَ: فَإِنِّي صَائِمٌ، قَالَ: مَا أَنَا بِآكِلٍ حَتَّى تَأْكُلَ، قَالَ: فَأَكَلَ، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَقُومُ، قَالَ: نَمْ، فَنَامَ، ثُمَّ ذَهَبَ يَقُومُ فَقَالَ: نَمْ، فَلَمَّا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ قَالَ: سَلْمَانُ قُمِ الآنَ، فَصَلَّيَا فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ: إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ(٤٢)، فَأَتَى النَّبِيَّ ع، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ع: «صَدَقَ سَلْمَانُ»(٤٣).

يقول ابن حجر في شرح هذا الحديث: "وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ مِنَ الْفَوَائِدِ مَشْرُوعِيَّةُ الْمُؤَاخَاةِ فِي اللَّهِ وَزِيَارَةُ الْإِخْوَانِ وَالْمَبِيتُ عِنْدَهُمْ وَجَوَازُ مُخَاطَبَةِ الْأَجْنَبِيَّةِ وَالسُّؤَالُ عَمَّا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ الْمَصْلَحَةُ"(٤٤).

٣. التكريم والحفاوة: ولا بأس أن يكرّم رجل امرأة أجـنبية عنه في محفل عام أو مكان مفتوح في مناسبة مّا. ولا بأس أن يعبّر الرجل عن احترامه وتقديره لامرأة ما، فيما يتعلق بعلمها أو خُلقها أو الثناء عليها، والتحدث بتميزها في مجال من المجالات. وفي السنة النبوية ما يدل على ذلك أوضح دلالةٍ وأقواها:

• عن عَائِشَةَ ك، قَالَتْ: "جَاءَتْ هِنْدٌ بِنْتُ عُتْبَةَ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا كَانَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ مِنْ أَهْلِ خِبَاءٍ (أي بيت) أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ يَذِلُّوا مِنْ أَهْلِ خِبَائِكَ، ثُمَّ مَا أَصْبَحَ اليَوْمَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ أَهْلُ خِبَاءٍ، أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ يَعِزُّوا مِنْ أَهْلِ خِبَائِكَ، قَالَ:

«وَأَيْضًا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ»(٤٥).

• وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: أَنَّ امْرَأَةً مِنَ الأَنْصَارِ أَتَتِ النَّبِيَّ ع مَعَهَا أَوْلاَدٌ لَهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ع: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّكُمْ لَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ» قَالَهَا ثَلاَثَ مِرَارٍ(٤٦).

وهذه النصوص صريحة في الدلالة على جواز مدح من يستحق المدح من النساء، متى سلمت النية من المجاملات والإيحاءات والأغراض الدفينة من تلك المدائح والثناءات.

٤. طلب الدعاء: من المباحات في كلام الرجل مع المرأة الأجنبية، أن تطلب من عالِم معروف بالصلاح، الدعاء بالخير والبركة، ومن ذلك ما يلي:

• عن عَطَاءَ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ، قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ: أَلاَ أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ؟، قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: هَذِهِ المَرْأَةُ السَّوْدَاءُ، أَتَتِ النَّبِيَّ ع فَقَالَتْ: إِنِّي أُصْرَعُ، وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللَّهَ لِي، قَالَ: «إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَكِ» فَقَالَتْ: أَصْبِرُ، فَقَالَتْ: إِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللَّهَ لِي أَنْ لاَ أَتَكَشَّفَ، فَدَعَا لَهَا"(٤٧).

٥. تبادل الهدايا: يجوز تبادل الهدايا بين الرجل والمرأة متى حسنت النيات، واستحالت التطورات في العلاقة بينهما إلى ما يُرضي الله تعالى، وهذا رسول الله يضرب المثل من نفسه: فعَنْ عَائِشَةَ، ك، قَالَتْ: «مَا غِرْتُ عَلَى امْرَأَةٍ لِلنَّبِيِّ ع، مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ، هَلَكَتْ قَبْلَ أَنْ يَتَزَوَّجَنِي، لِمَا كُنْتُ أَسْمَعُهُ يَذْكُرُهَا، وَأَمَرَهُ اللَّهُ أَنْ يُبَشِّرَهَا بِبَيْتٍ مِنْ قَصَبٍ، وَإِنْ كَانَ لَيَذْبَحُ الشَّاةَ فَيُهْدِي فِي خَلاَئِلِهَا مِنْهَا مَا يَسَعُهُنَّ»(٤٨).

المبحث الثاني

الضوابط الفعلية في تعامل الرجل مع المرأة الأجنبية

المطلب الأول: الضوابط الأخلاقية في التعامل مع الغير

ومن الضوابط الفعلية الأخلاقية في تعامل الرجل مع المرأة , ما يأتي:

١. غض البصر: وهو مطلوب من الرجل والمرأة على السواء، بدلالة قوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ(٣٠) وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا.... ﴾(٤٩).

قال ابن العربي: "يغضوا" يعني يكفوا عن الاسترسال"(٥٠).

وفي السنة النبوية ما يدعو إلى إعطاء الطريق حقه، ومنح المارة حريتهم في عدم تتبعهم بالنظرات والكلمات والهمسات. فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ﵁، عَنِ النَّبِيِّ ع قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالجُلُوسَ عَلَى الطُّرُقَاتِ»، فَقَالُوا: مَا لَنَا بُدٌّ، إِنَّمَا هِيَ مَجَالِسُنَا نَتَحَدَّثُ

فِيهَا، قَالَ: «فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا المَجَالِسَ، فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَا»، قَالُوا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ؟ قَالَ:«غَضُّ البَصَرِ وَكَفُّ الأَذَى وَرَدُّ السَّلاَمِ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيٌ عَنِ المُنْكَرِ»(٥١).

٢. **عدم المصافحة:** ومن الأدلة على حرمة مصافحة الأجنبية:

– عن عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ع كَانَ يَمْتَحِنُهُنَّ بِهَذِهِ الآيَةِ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ المُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾ [الممتحنة:١٠] إِلَى ﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٣]، قَالَ عُرْوَةُ: قَالَتْ عَائِشَةُ: فَمَنْ أَقَرَّ بِهَذَا الشَّرْطِ مِنْهُنَّ، قَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ع: «قَدْ بَايَعْتُكِ» كَلاَمًا يُكَلِّمُهَا بِهِ، وَاللَّهِ مَا مَسَّتْ يَدُهُ يَدَ امْرَأَةٍ قَطُّ فِي المُبَايَعَةِ، وَمَا بَايَعَهُنَّ إِلَّا بِقَوْلِهِ"(٥٢). وهو القائل: "وَقَالَ: إِنِّي لَا أُصَافِحُ النِّسَاءَ، إِنَّمَا قَوْلِي لِمِائَةِ امْرَأَةٍ كَقَوْلِي لِامْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ»"(٥٣).

٣. **عدم الخلوة:** عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ م، أَنَّهُ: سَمِعَ النَّبِيَّ ع، يَقُولُ: «لاَ يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ، وَلاَ تُسَافِرَنَّ امْرَأَةٌ إِلَّا وَمَعَهَا مَحْرَمٌ»(٥٤). وفي تعليل حرمة الخلوة بالأجنبية نجد هذا الحديث الشريف يجيبنا: فعَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: خَطَبَنَا عُمَرُ بِالجَابِيَةِ فَقَالَ:.. أَلاَ لاَ يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلاَّ كَانَ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ"(٥٥).

٤. **اجتناب الطيب للنساء:** فعَنْ بُسْرِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ زَيْنَبَ، امْرَأَةِ عَبْدِ اللهِ، قَالَتْ: قَالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ ع: «إِذَا شَهِدَتْ إِحْدَاكُنَّ الْمَسْجِدَ فَلَا تَمَسَّ طِيبًا»(٥٦). لأن ريح العطر يحرك الغرائز نحو المرأة، فتلاحظها الأبصار، وتتخطفها الأعين بنظرات فتانة.

٥. **الوقار في المشي:** المطلوب من المرأة أن لا تلفت إليها الأنظار؛ سواء بالكلمة أو الإيماءة، أو حتى المِشية؛ حتى لا يتحرك بعض جسمها أو يظهر جزء من رجلها فتتسبب في إغراء البعض. قال تعالى: ﴿وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(٥٧). وروى أبو هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ع: «صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا، قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ، رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا»(٥٨).

٦. **الاحتشام في الملبس:** الأصل في اللباس أن يستر العورة من كل جانب، كما قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا....﴾(٥٩).

وقد أوجب الإسلام على المرأة أن تتسم بالعفة في كل أقوالها وأفعالها، والواجب أن تفهم المرأة أن الإسلام لم يفرض عليها الحجاب تسلطا وقهرًا، بل لأنه هو الذي يتماشى مع فطرتها السليمة، ثم إن المهمة الأولى للباس هي ستر العورة

ومواضعِ الفتنة منها، فإذا فقد هذا الشرط لم يكُ قطُّ لباسًا شرعيًا. وليس المقصود أن يكون شكل الحجاب كئيبًا مصبوغًا بالسواد الذي يجعل المرأة دائمًا في صورة الليل البهيم. فإن الإسلام لم يحدد للباس المرأة لوناً لا تتعداه إلى غيره، ولو كان اللباس الأسود خيرًا للمرأة لفرضه الإسلام، أو لاستحبه لها في مناسك الحج.. وهذا لم يحدث. فلا مانع أن يتخذ الحجاب أشكالاً وألواناً مختلفة، وهذا ما نفهمه من كلمة (وريشاً) في الآية السابقة. يقول الشيخ محمد الغزالي –يرحمه الله–: "فالريش ما يُكسب صاحبه لوناً من الجمال.... ومن حق المرأة أن تكون جميلة المظهر، بعد أن تكون تامة العقل كريمة الشمائل، ولكن هل (الساري) الهندي الذي يظهر قدراً من البطن والظهر يكفل هذا الجمال ؟، وهل الفستان الأوروبي الذي يكشف أدنى الفخذين وينحسر –عند الجلوس– عن أواسطهما يكفل هذا الجمال؟، الحق أن حائكي هذه الملابس لا يوفرون للمرأة كرامتها، ولا يرجون لها وقاراً، وإنما يهيجون ضدها غرائز السوء"(٦٠).

ولذا وضع الإسلام قواعد للباس المرأة المسلمة، أذكِّر بها الآن في عدة نقاط:

١) أن لا تكون هذه الثياب في ذاتها زينة متبرجة أو فتنة لنظر الرجال.

٢) أن تكون صفيقة لا تشف عما تحتها ولا تبينه.

٣) أن لا تكون ضيقة على جسد المرأة فتصف أعضاءها.

٤) أن لا يكون الثياب مبخَّراً معطراً.

٥) أن لا يكون فيه تشبه بملابس الرجال.

٦) أن لا يكون فيه تشبه بلباس غير المسلمات.

٧) أن لا تقصد منه أن يكون لباس شهرة(٦١).

تلك هي الشروط الواجبُ توافرها في لباس المرأة المسلمة، والتي توافق فطرتها السليمة وتبعد عنها الأعْين اللئيمة. هذا، ويرى أحد علماء المسلمين أن أحكام الحجاب "مشتملة على أهم أجزاء قانون الاجتماع الإسلامي، فإذا وضعت موضعها الصحيح في نظام ذلك القانون بكامله ثم تأملها أحد فيه أثارة من البصيرة الفطرية السليمة، لم يلبث أن يعترف بأنها الصورة الوحيدة الممكنة التي تضمن القصد والاعتدال في الحياة الاجتماعية، وأن هذه المجموعة من الأحكام إن عرضت على العالم منفذة في الحياة العملية بروحها الحقيقية الصحيحة لهرولت الدنيا إلى هذا المنبع تلتمس فيه الدواء لأدوائها الاجتماعية"(٦٢).

وعلى الذين يدعون إلى السفور والتبرج أن يعلموا أنه قد ثبت بما لا يدع مجالاً للشك مساوئ التبرج وعواقبه الوخيمة على المجتمع، وأن التحرر الذي ينادون

به للمرأة ليس إلا تحرراً من الفضيلة والعفاف، وكانت النتيجة ما نرى ونسمع من خدش للذوق العام، بل إلى جرائم أخلاقية، وربما تتطور في بعض الأحايين إلى جرائم جنائية.

٧. **حرمة الاختلاط:** ويمكن أن نلخص موقف الإسلام من الاختلاط في عدة نقاط:

ا- لا تأذن المرأة في بيت زوجها وهو شاهد إلا بإذنه، ولا تستقبل فيه أحداً من الرجال الأجانب إلا من تدعو الحاجة لاستقبالهم، على أن يكون ذلك بعلمه أو بإذنه، أو يكون ممن تجري عادة البيئة بدخوله كما يحصل في بيوت أهل الريف.

ب- أقارب الزوج والزوجة يجب أن لا يكثروا من الدخول عليها، وإذا دخلوا فلا يطيلوا الجلوس معها بدون موجب، وقد نهى رسول الله ع عن ذلك بقوله: «اياكم ودخولَ الرجال على النساء، قالوا: أفرأيت الحمو؟، قال: الحمُو الموت[٦٣]. والحمُو هو قريب الزوج أو الزوجة، يريد ﷺ أن دخول الحمو على المرأة بصفة مستمرة يجلب في أعقابه أخطاراً كثيرة، فإن من أقارب الزوج والزوجة من يتذرع بالقرابة، فيطرق البيت بالليل والنهار، ولضرورة وغيرها، وقد يترخص الزوج والعشيرة في قبول تلك الحالة والإغضاء عنها بحكم القرابة، ولكن قد يفضي ذلك في النهاية إلى عواقب وخيمة، منها: تقطيع أواصر القرابة، أو الطلاق، وقد يكون منها إراقة الدماء، والموت.

ج- وتحرُم خلوة المرأة بالرجل الأجنبي عنها في البيت أو في أي مكان آخر، إلا إذا كان معها زوجها أو ذو محرم منها -والأجنبي هو كل من عدا زوجِها، ولم يكن من المحارم، والمحرم كل من لا يحل له زواجها على صفة التأييد كأبيها وأخيها وولدها.

د- لا يُجيز الإسلام اختلاط المرأة بالرجال في الحفلات أو المنتديات ولو كانت محتشمة، وإنما الذي يجيزه الإسلام اجتماعها والرجال في ثلاثة مواطنَ فقط، وهي:

- مواطن العبادة؛ فيجوز أن تحضر صلاة الجمعة والجماعة، على أن يكون مكانها منفصلاً عن الرجال.
- في أماكن العلم؛ فيجوز أن تحضر المرأة مجالس العلم مع الرجال على أن تكون منفصلة عنهم أيضاً، وأن تكون مرتدية اللباس الشرعي الساتر لعورتها، الذي لا يبدي شيئا منها.
- في ميدان الجهاد حين يُعلَن النفير العام، فتخرج للجهاد مع الرجال على أن تكون منفصلة عنهم، ولها مكانها الخاص وتجمعاتها الخاصة"[٦٤].

المطلب الثاني

ضوابط عمل المرأة بين اليهودية والمسيحية والإسلام

لعل من أبرز القضايا التي تناولها العلماء والباحثون في هذا العصر، هي قضية عمل المرأة خارج بيتها، وقد دارت حولها مناقشات وحوارات طويلة الذيول.

• **موقف الإسلام من عمل المرأة:** يقول الدكتور عبد الواحد وافي: "لقد سوى الإسلام بين الرجل والمرأة في حق العمل، فأباح للمرأة أن تضطلع بالوظائف والأعمال المشروعة التي تُحسن أداءها ولا تتنافر مع طبيعتها، ولم يقيد هذا الحق إلا بما يحفظ للمرأة كرامتها ويصونها عن التبذل، وينأي بها عن كل ما يتنافى مع الخلق الكريم"[٦٥].ومما يؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٦٦].

ففي هذه الآية الكريمة دليل على حق المرأة في العمل متى تطلّب الأمر ذلك، بل إن الإسلام لم يمنع المرأة من العمل في عدتها (وهي الفترة التي تلتزم فيها بالبقاء في بيتها بعد موت زوجها)، ما دام هذا العمل مشروعا وضروريًا لاستبقاء حياتها وحياة أولادها. فعن أَبي الزُّبَيْرِ أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ طُلِّقَتْ خَالتي فَأَرَادَتْ أَنْ تَجُدَّ نَخْلَهَا، فَزَجَرَهَا رَجُلٌ أَنْ تَخْرُجَ فَأَتَتِ النبي ع فَقَالَ «بَلَى فَجُدِّى نَخْلَكِ فَإِنَّكِ عَسَى أَنْ تَصَدَّقِى أَوْ تَفْعَلِى مَعْرُوفًا»[٦٧]. ومعنى تجدّ: أي تقطع الثمر[٦٨]، ومن الجميل هنا أن أذكر اسم الباب الذي بوَّب به الإمام مسلم (يرحمه الله) لذلك، وهو (باب جواز خروج المعتدة البائن) وهذا وحده فقه في تراجمه.

• **ضوابط عمل المرأة في الإسلام:**

وضع الإسلام ضوابط لابد أن تراعى عند التعرض لقضية عمل المرأة. يقول الشيخ السيد سابق: "فرق العلماء بين عمل الزوجة الذي يؤدي إلى تنقيص حق الزوج، أو ضرره، أو خروجها من بيته، وبين العمل الذي لا ضرر فيه، فمنعوا الأول. وأجازوا الثاني قال ابن عابدين، من فقهاء الأحناف: والذي ينبغي تحريره أن يكون منعها من كل عمل يؤدي إلى تنقيص حقه، أو ضرره، أو إلى خروجها من بيته. أما العمل الذي لا ضرر فيه فلا وجه لمنعها منه، وكذلك ليس له منعها من الخروج إذا كانت تحترف عملا هو من فروض الكفاية الخاصة بالمرأة"[٦٩]. ولقد حفظ لها التاريخ مشاركتها الباسلة في الحروب والغزوات. لكن يُفضّل أن يكون عملها في بيئة نسائية أو جوٍّ أخلاقي يسوده الاحتشام، وتهيمن عليه الفضيلة، ويتحكم فيه سلطان العقل والجد والشرف، ويقوم فيه الضمير الإنساني مقام القانون"[٧٠].

• **موقف الأديان السابقة على الإسلام من قضية عمل المرأة:**

سبق أن عرفنا موقف الإسلام من عمل المرأة المؤدي إلى اختلاطها بالرجال، والخلوة بهم، وعرفنا أن الإسلام منع ذلك الاختلاط؛ لأنه بذلك يحمي المرأة من عبث الرجل، كما يحمي الرجل من إغوائها له. والجدير بالذكر أن الإسلام ليس وحده الدين

الذي قنّن ذلك وضيق روافده، وإليكم بعض النصوص الدالة على ذلك:

- **عمل المرأة في اليهودية:**

أوضحت التوراة خروج المرأة للعمل دون اختلاط بالرجال في أكثر من موضع، منها خروج (راعوث) –وهو اسم امرأة– للعمل بالحقل عندما ضاق بها الحال بعد عز، لتنفق على نفسها وحماتها"[٧١].

- **عمل المرأة في المسيحية:**

"والمسيحية أيضًا آمنت بعدم الاختلاط، إلا بشروط تؤدي إلى العفة واحترام المرأة لذاتها، فها هو بولس يأمر النساء باحترام أنفسهن وعدم الكلام في الكنيسة فقال: (ولكن إن كن يردن أن يتعلمن شيئًا فليسألن رجالهن في البيت؛ لأنه قبيح بالنساء أن يتكلمن في الكنيسة)[٧٢]. كما استنكر الإنجيل عمل النساء بتعليم الرجال حتى لا يؤدي إلى الاختلاط، فقال بولس: "لست أسمح للمرأة أن تتعلم ولا تتسلط على الرجل"[٧٣]. كما رفض الإنجيل ذهاب الرجال (القسس) لتعليم النساء في البيوت الأمورَ الدينية، وجعل ذلك للنساء مثلهن، والإسلام كباقي الأديان نظم هذه العلاقة"[٧٤].

وإذا كان علماء الغرب يروجون لفكرة حرية الاختلاط، ويريدون فرضها بالحديد والنار على المرأة العربية المسلمة، فليذهبوا إلى كتبهم المقدسة –بزعمهم– وليحذفوا منها تلك النصوص حتى لا يكونوا في وادٍ ونصوصهم في وادٍ آخرَ، ولسان حالهم قول القائل:

متى يبلغُ البنيانُ يوماً تمامه   إذا كنت تبنيه وغيرُك يهدم[٧٥]

النتائج والتوصيات:

يمكن أن نخلص من هذا البحث المختصر إلى عدة نتائج وتوصيات، هي:

أولا. أهم النتائج:

١. أن المرأة ليست كلأً مباحا؛ بل إن لها مكانة كبيرة في الإسلام.

٢. أن الإسلام لم يجعل المرأة حبيسة بيتها، بل رخص لها في الخروج للعمل وغير ذلك، شريطة الالتزام بالضوابط الشرعية.

٣. على الرجل ألا ينظر إلى المرأة بعين الشهوة فقط، بل عليها أن ينظر إليها على أنها إنسان محترَم مكرّم. وقد تفوق المرأة الرجل في بعض المجالات كما هو الواقع.

٤. أن الإسلام ليس بدعا من الأديان السابقة في حياطة المرأة من آفات البشر، فالأديان السابقة حاولت ذلك، ولكن بطــريقة تُفقد المرأة آدميــتها وتنتزع منها إرادتهــا، وتسلبها اختيارها.

ثانيا: أهم التوصيات:

١. إعادة قراءة النصوص الشرعية من آيات وأحاديث ومعرفة ما وراء النص من معانٍ

كانت خافية على جيل سبق من العلماء، كل ذلك في إطار الالتزام بالنص والوقوف عند قدسيته دون ليّ أعناق الأدلة لتوافق الأهواء.

٢. أن تُضمّ دراسات علم النفس إلى دراسة النصوص الشرعية، لتبدوَ الصورة الحقيقية للمرأة واضحة المعالم مكتملة الملامح والأركان.

هوامش البحث:

(١) مسند أحمد،ط١ دار الرسالة،تحقيق:شعيب الأرنؤوط وآخرون،١٤٢١هـ-٢٠٠١م،رقم (٢٦١٩٥)

(٢) سورة الإسراء، آية رقم (٧٠).

(٣) الطاهر بن عاشور: النحرير والتنوير"تحرير المعنى الديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد" ط الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤م، (١٦٥/١٥).

(٤) صحيح البخاري، ط ١ دار طوق النجاة، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، حديث رقم (٥٠٩٦).

(٥) د. علي محمد جريشة – محمد شريف الزيبق: أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، ط١ دار الاعتصام، ٣٩٧ هـ ١٩٧٧ م، ص٦٧ .

(٦) د. سعد الدين السيد صالح: البحث العلمي ومناهجه النظرية رؤية إسلامية، ط٣، مكتبة التابعين ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣ م، صـ ٣٢ .

(٧) ابن منظور: لسان العرب، مادة "ضبط"، ط٣ دار صادر– بيروت، ١٤١٤هـ (٣٤٠/٧، ٣٤١).

(٨) المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة (٥٣٣/١)

(٩) المصباح المنير للفيومي، ط المكتبة العلمية – بيروت (٥١٠/٢).

(١٠) تاج الدين السبكي: الأشباه والنظائر، ط١ دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١١هـ-١٩٩١م (١١/١).

(١١) المعجم الوسيط (٣٣٢/١).

(١٢) لسان العرب (١٥٦/١).

(١٣) لسان العرب (٢٧٧/١، ٢٧٨).

(١٤) المعجم الوسيط (١٣٨/١).

(١٥) صحيح البخاري، رقم (١٨٥٢).

(١٦) صحيح مسلم، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: فؤاد عبد الباقي، رقم (١٤٥٣)

(١٧) صحيح مسلم، رقم (١٦٢٣).

(١٨) صحيح مسلم، رقم (١٤٢٨).

(١٩) صحيح البخاري، رقم (٣١٥١).

(٢٠) صحيح البخاري، رقم (٤٨٨٦).

(٢١) صحيح البخاري، رقم (٥٠٦٣).

(٢٢) صحيح مسلم، رقم (١٨١٢).

(٢٣) للتوسع في ذلك، انظر موسوعة تحرير المرأة في عصر الرسالة،: عبد الحليم أبو شقة، ط ٦ دار القلم، الكويت، ١٤٢٢هـ. ٢٠٠٢م (١٦/١).

(٢٤) سورة القصص، (٢٣: ٢٦).

(٢٥) سورة الأحزاب، (٣٢).

([٢٦]) الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ط الدار التونسية للنشر– تونس ١٩٨٤ هـ (٩/٢٢).
([٢٧]) ابن العربي: أحكام القرآن، ط٣ دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م (٥٦٨/٣).
([٢٨]) محمود بن عمر الزمخشري: الكشاف، ط٣ دار الكتاب العربي– بيروت، ١٤٠٧ هـ (٥٣٧/٣).
([٢٩]) سورة الأحزاب، (٣٢).
([٣٠]) محمود الآلوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ط١ دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١٥ هـ (١٨٧/١١).
([٣١]) د. عبد الكريم زيدان: المفصل في أحكام المرأة المسلمة والبيت المسلم، ط١ مؤسسة الرسالة ١٤١هـ، بيروت ١٩٩٣م (٢٨٣/٣) .
([٣٢]) مغني المحتاج:الخطيب الشربيني،ط١ دار الكتب العلمية، بيروت،١٤١٥هـ-١٩٩٤م(٢١٠/٤)
([٣٣]) دقائق أولي النهى لشرح المنتهى المعروف بشرح منتهى الإرادات للبهوتي، ط١ عالم الكتب، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م (٦٢٧/٢).
([٣٤]) حاشية الصاوي على الشرح الصغير للدردير، ط دار المعارف بدون تاريخ (٢٥٢/١).
([٣٥]) الدر المختار ورد المحتاج: ابن عابدين،ط٢ دار الفكر، بيروت ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م (٤٠٦/١).
([٣٦]) إحياء علوم الدين: أبو حامد الغزالي، ط دار المعرفة، بيروت، (٢٨١/٢).
([٣٧]) المغني لابن قدامة (٤٢٢/١).
([٣٨]) دقائق أولي النهى لشرح المنتهى (شرح منتهى الإرادات للبهوتي)، مرجع سابق، (٢٠٥/١).
([٣٩]) سنن أبي داوود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط المكتبة العصرية، صيدا- بيروت رقم (٥٢٠٤). وقال الألباني صحيح.
([٤٠]) النووي: شرح المنهاج (١٤٩/١٤).
([٤١]) صحيح البخاري، رقم (٣٨٢١).
([٤٢]) (متبذلة) لابسة ثياب البذلة وهي المهنة أي تاركة لباس الزينة. (حاجة في الدنيا) أي ومنها زينة المرأة لزوجها وهو لا يأبه لذلك. (ذي حق) صاحب حق. وكانت هذه الزيارة وهذا الحوار قبل أن يفرض الحجاب على المسلمات]
([٤٣]) صحيح البخاري، رقم (١٩٦٨).
([٤٤]) فتح الباري: ابن حجر العسقلاني، ط دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩ (٢١٢/٤).
([٤٥]) صحيح البخاري، رقم (٣٨٢٥).
([٤٦]) صحيح البخاري، رقم (٦٦٤٥).
([٤٧]) صحيح البخاري، رقم (٥٦٥٢).
([٤٨]) صحيح البخاري، رقم (٣٨١٦).
([٤٩]) سورة النور، (٣٠، ٣١).
([٥٠]) أحكام القرآن (٣٧٧/٣).
([٥١]) صحيح البخاري، رقم (٢٤٦٥).
([٥٢]) صحيح البخاري، رقم (٢٧١١).
([٥٣]) أحكام القرآن لابن العربي، (٢٣٤/٤).
([٥٤]) صحيح البخاري، رقم (٣٠٠٦).
([٥٥]) سنن الترمذي، رقم (١١٧١) بتحقيق أحمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، مزيل بأحكام الألباني، وقال الألباني: صحيح.

([٥٦]) صحيح مسلم، رقم (٤٤٣).
([٥٧]) سورة النور، رقم (٣١).
([٥٨]) صحيح مسلم، رقم (٢١٢٨).
([٥٩]) سورة الأعراف، آية (٢٦).
([٦٠]) الشيخ/محمد الغزالي: قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، مرجع سابق، ص١٩٣.
([٦١]) د.محمد البلتاجي: مكانة المرأة في القرآن الكريم والسنة الصحيحة، ط مكتبة الشباب، ص٢٤٣، ٢٤٤ .
([٦٢]) أبو الأعلى المودودي: الحجاب، تعريب: محمد كاظم السباق، ط٢ دار الفكر. دمشق ١٩٦٤م، ١٣٨٤هـ، ص٣٧ .
(٦٣) صحيح البخاري: كتاب النكاح، باب لا يخلون رجل بامرأة إلا ذو محرم، والدخول على المغيبة، رقم (٥٢٣٢).
([٦٤]) انظر: د. مصطفى السباعي: المرأة بين الفقه والقانون،ط٧: دار الوراق للنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م، ص١٤٨.
([٦٥]) د.علي عبد الواحد وافي: حقوق النساء في الإسلام، ط دار نهضة مصر، ١٣٨٧هـ، ١٩٦٧م، ص٢٥ .
([٦٦]) سورة التوبة، آية ١٠٥ .
([٦٧]) صحيح مسلم، كتاب الطلاق، باب جواز خروج المعتدة البائن، رقم (٣٧٩٤) .
([٦٨]) انظر هامش صحيح مسلم، المرجع السابق .
([٦٩]) الشيخ/ السيد سابق:فقه السنة، ط٣ دار الكتاب العربي، بيروت– لبنان ١٣٩٧هـ–١٩٧٧م (١٧٠/٢)
([٧٠]) الشيخ/محمد زكي إبراهيم: معالم المجتمع النسائي في الإسلام، ط٣ العشيرة المحمدية، ٢٠٠١م، ص٢١ .
([٧١]) جاء في سفر (راعوث): (قالت لها نعمي حماتها يا بنتي ألا التمس لك راحة ليكون لك خير * ٢ فالان أليس بوعز ذا قرابة لنا الذي كنت مع فتياته ها هو يذري بيدر الشعير الليلة* ٣ فاغتسلي وتدهني والبسي ثيابك وانزلي إلى البيدر ولكن لا تعرفي عند الرجل حتى يفرغ من الاكل والشرب* ٤ ومتى اضطجع فاعلمي المكان الذي يضطجع فيه وادخلي واكشفي ناحية رجليه واضطجعي وهو يخبرك بما تعملين). انظر العهد القديم: سفر راعوث، الإصحاح الثالث، الفقرات (١: ٥).
([٧٢]) انظر رسالة بولس إلى أهل كورنثوس، الفقرات (١٤، ١٥) .
([٧٣]) انظر انظر رسالة بولس إلى أهل تيموثاوس، الفقرة (١٢).
([٧٤]) د. زكي علي السيد أبو عضة: الحجاب والختان والعفة بين الأديان والقوانين ودعاة التحرر، كتاب جامعي بدون طبعة، ص٦٧.
([٧٥]) البيت لبشار بن برد. انظر ديوان بشار بن برد (٩٥–١٦٧هـ)، ص ١٠٣١.

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.
٢. ابن العربي: أحكام القرآن، ط٣ دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
٣. ابن منظور: لسان العرب، ط دار صادر، بيروت.

٤. أبو الأعلى المودودي: الحجاب، تعريب: محمد كاظم السباق، ط٢ دار الفكر . دمشق.
٥. إحياء علوم الدين: أبو حامد الغزالي، ط دار المعرفة، بيروت.
٦. تاج الدين السبكي: الأشباه والنظائر، ط ١ دار الكتب العلمية، بيروت .
٧. حاشية الصاوي على الشرح الصغير للدردير، ط دار المعارف بدون تاريخ
٨. الدر المختار ورد المحتاج: ابن عابدين، ط٢ دار الفكر، بيروت.
٩. دقائق أولي النهى لشرح المنتهى المعروف بشرح منتهى الإرادات للبهوتي، ط١ عالم الكتب.
١٠. ديوان بشار بن برد.
١١. زكي علي السيد أبو عضة: الحجاب والختان والعفة بين الأديان والقوانين ودعاة التحرر، كتاب جامعي بدون طبع
١٢. سعد الدين السيد صالح: البحث العلمي ومناهجه النظرية رؤية إسلامية، ط٣، مكتبة التابعين
١٣. سنن أبي داوود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط المكتبة العصرية، صيدا .
١٤. سنن الترمذي، رقم (١١٧١) بتحقيق أحمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي،
١٥. السيد سابق: فقه السنة، ط٣ دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان
١٦. صحيح البخاري، ط ١ دار طوق النجاة، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر.
١٧. صحيح مسلم، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: فؤاد عبد الباقي.
١٨. الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ط الدار التونسية للنشر – تونس
١٩. الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير" ط الدار التونسية للنشر – تونس.
٢٠. عبد الكريم زيدان: المفصل في أحكام المرأة المسلمة والبيت المسلم، ط١ مؤسسة الرسالة ١٤١هـ، بيروت.
٢١. علي عبد الواحد وافي: حقوق النساء في الإسلام، ط دار نهضة مصر.
٢٢. علي محمد جريشة– محمد شريف الزيبق: أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، ط١ دار الاعتصام
٢٣. فتح الباري: ابن حجر العسقلاني، ط دار المعرفة – بيروت
٢٤. محمد البلتاجي: مكانة المرأة في القرآن الكريم والسنة الصحيحة، ط مكتبة الشباب
٢٥. محمد الغزالي: قضايا المرأة بين القاليد الراكدة والوافدة
٢٦. محمد زكي إبراهيم: معالم المجتمع النسائي في الإسلام، ط٣ العشيرة المحمدية.
٢٧. محمود الآلوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ط١ دار الكتب العلمية – بيروت.
٢٨. محمود بن عمر الزمخشري: الكشاف، ط ٣ دار الكتاب العربي – بيروت.
٢٩. مسند أحمد، ط ١ دار الرسالة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرون.
٣٠. المصباح المنير للفيومي. ط المكتبة العلمية – بيروت.
٣١. مصطفى السباعي: المرأة بين الفقه والقانون،ط٧: دار الوراق للنشر والتوزيع، بيروت.
٣٢. المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة
٣٣. مغني المحتاج: الخطيب الشربيني، ط١ دار الكتب العلمية/بيروت
٣٤. موسوعة تحرير المرأة في عصر الرسالة،: عبد الحليم أبو شقة، ط ٦ دار القلم، الكويت.

المقاصد القرآنية الاعتقادية في تفسير الجلالين

أ. عائشة خنيفس عوض الله الثبيتي*، د. المتولي بستان**،
د. سمير الحصري***

بسم الله الرحمن الرحيم

سلم البحث في ١٤٤٢/١/٣هـ اعتمد للنشر في ١٤٤٢/٢/٦هـ

ملخص البحث:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين. وبعد: برزت مشكلة هذا البحث فيما تناوله كل من الإمامين المفسرين لتفسير الجلالين من مقاصد قرآنية فكانت هذه المقاصد في حاجة إلى الإيضاح والاستجلاء، لذا هدف البحث إلى بيان مفهوم المقاصد القرآنية عامةً ثم بيان هذه المقاصد في باب الاعتقاد، والتشريع، والأخلاق، والقصص، والسياسة موظفاً المنهج الوصفي والمنهج الاستقرائي التحليلي، وكان من نتائج هذا البحث: أنه لم يرد تعريف للمقاصد الشرعية عند المتقدمين لكن تنوعت عبارات المتأخرين، وكذا تناول الإمام السيوطي رحمة الله كان أثرى للمقاصد الاعتقادية وأكثر من تناول الإمام المحلي رحمة الله، وكلاهما لم يصرحا بكلمة المقاصد التشريعية، والاقتصار في تفسير القصص على الكلمة ومعناها.

الكلمات الدلالية: المقاصد، القرآنية، الجليلين.

Abstract:

Quranic Purposes in the Interpretation of Al-Jalalain

The problem of this research emerged in each of the Imams explanations **(The Al- Jalalin's interpretation from Quranic purposes)** and these purposes needed explanation and clarification. Therefore, the aim of the research is to explain the concept of Quranic purposes in the field of belief, legislation, ethics, stories and politics, using the descriptive method and the inductive analytical approach. The research concluded that there was no definition for the legitimate purposes from the scholars' point of view, but the phrases of the latecomers diversified. As well as, AL-Suyuti Imam was more enriching for purposes of belief than Imam Al-Mahali, both of them didn't declare the word of legislative purposes, and focusing only on the word and its meaning in the interpreting stories.

Semantic utterances: Objectives, Quranic, Jalilin.

المقدمة:

الحمد لله وكفى، وصلى الله على عباده الذين اصطفى، وبعد: فإنَّ لكل واحد

* باحثة ماجستير بقسم القرآن الكريم وعلومه، كلية العلوم الإسلامية، جامعة المدينة العالمية.
** الأستاذ المشارك، قسم القرآن الكريم وعلومه، كلية العلوم الإسلامية، جامعة المدينة العالمية.
*** الأستاذ المساعد، بقسم القرآن الكريم وعلومه، كلية العلوم الإسلامية، جامعة المدينة العالمية.

من أهل التفسير على اختلاف المدرسة التفسيرية التي ينتمي لها منهجه المعتبر، وفكره المستقل، وتركيزه على بعض المقاصد القرآنية دون بعض، وفي تفسير مثل تفسير الجلالين الذي ساهم فيه عالمان جليلان، وهما جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى، والذي فسر من أول سورة البقرة وحتى آخر سورة الإسراء، وجلال الدين المحلي رحمه الله تعالى، والذي فسر من أول سورة الكهف وحتى سورة الناس؛ فكان لكل واحد منهما فكره وتركيزه المقاصدي في القرآن الكريم؛ من هنا كانت فكرة هذا البحث والذي بعنوان: "**المقاصد القرآنية الاعتقادية في تفسير الجلالين**" أمَّا عن هذه الدراسة فإنها تُحاوِل تسليط الضوء على المقاصد القرآنية؛ وذلك من خلال منهج علمي يَتَّضِح من خلال المحاور الآتية:

أسباب اختيار الموضوع:

- المساهمة في إثراء الجانب المقاصدي للتفسير.
- تسليط الضوء على مصطلح المقاصد القرآنية وبيان المراد من هذا المصطلح، وذلك من الناحية اللغوية والاصطلاحية.
- التعريف بكل من الإمامين الجليلين، جلال الدين السيوطي، وجلال الدين المحلي، وبيان مكانة تفسيرهما (تفسير الجلالين).
- العمل على دراسة بعض النماذج القرآنية التي تجلي المقاصد القرآنية لدى الإمامين في مختلف الفروع.
- خدمة جانب تدبر القرآن؛ فإنه لا يمكن تدبُّر القرآن وفهمه فهماً صحيحاً بمعزل عن فهم مقاصده وغاياته.
- بيان بعض النماذج القرآنية التي تجلي المقاصد القرآنية من خلال تفسير الإمامين الجلالين في مختلف الفروع.
- الكشف عن المقاصد القرآنية لدى كل إمام من الإمامين في باب الاعتقاد مع الموازنة بينهما في طريقة العرض والطرح والتناول.
- بيان المقاصد القرآنية لدى كل إمام من الإمامين في باب التشريع مع الموازنة بينهما في طريقة العرض والطرح والتناول.
- الكشف عن المقاصد القرآنية لدى كل إمام من الإمامين في باب الأخلاق مع الموازنة بينهما في طريقة العرض والطرح والتناول.
- إبراز المقاصد القرآنية لدى كل إمام من الإمامين في باب القصص القرآني مع الموازنة بينهما في طريقة العرض والطرح والتناول.

- إيضاح المقاصد القرآنية لدى كل إمام من الإمامين في باب السياسة القرآني مع الموازنة بينهما في طريقة العرض والطرح والتناول.
- بيان أهم المعالم الأساسية التي اتسم بها تفسير الجلالين في جانب المقاصد القرآنية، وما القدر الذي شغله هذا الجانب من هذا التفسير.
- الكشف عن منهج كل إمام من الإمامين في عرض المقاصد القرآنية، والطريقة الذي اتبعها كل إمام في تناوله.

أهمية البحث:

أمَّا عن أهمية البحث في هذا الموضوع، فتتضح من خلال ذكر النقاط الآتية:

- تعلُّق الموضوع بكتاب الله سبحانه وتعالى، الذي يشرُفُ الموضوع ويشرُفُ الباحثُ بتعلُّقِهِ به.
- تعلق الموضوع بدراسة جانب مهم من جوانب تفسير القرآن الكريم، وهو جانب المقاصد القرآنية التي عني بها المفسرون قديماً وحديثاً.
- خدمة تفسيرٍ متداولٍ ومتدارسٍ في المعاهد العلمية، وبين طلبة العلم الذين يتدارسون علم التدريس أو يُدَرِّسُونه، ألا وهو تفسير الجلالين؛ من خلال خدمة جانبٍ من الجوانب التي تعرَّض لها هذا التفسير.
- رغبةً منّي في خدمة الدراسات القرآنية من خلال تسليط الضوء على موضوع المقاصد القرآنية في تفسير منتشر بين المسلمين وهو تفسير الجلالين.
- إن الحكم على أي شيء بأنه حلال أو حرام هو إخبار عن الله تعالى بأنه يقضي في هذه المسألة بالحل أو الحرمة أو الوجوب أو النهي أو الإباحة، فمن أفتى بغير علم فقد ضلّ وأضلّ.
- بناءً على ما تقدّم؛ يستطيع الناظر التعرف على أهمية مبحث الأمر وأن العلم به من الأهمية بمكان بل ضرورة لكل مسلم عداك عمن ينسب إلى العلم الشرعي من فقه أو أصول فقه.

مشكلة البحث:

أما عن مشكلة هذه الدراسة فإنها تكمن فيما تناوله كل إمام من الإمامين المفسرين لتفسير الجلالين من مقاصد قرآنية، فكانت هذه المقاصد القرآنية في حاجة إلى الإيضاح والاستجلاء، وذلك من خلال منهج علمي توضحه المحاور الآتية.

- بيان مدى استخدام نظرية (المقاصد القرآنية) عند الجلالين في تفسيرهما.

– بيان مدى تأثيرها على ترجيحاتهما في تفسيرهما.
– بيان كيفية الترجيح بها حال تعارضها أو إشكالها مع ظاهر الآية القرآنية.
– توضيح جانب المقاصد القرآنية عندهما الذي لم يكن واضحاً مع شدة اختصارهما لتفسيرهما، وانتقاء عباراتٍ قصيرة في التعبير عن مرادهما في التفسير.

أسئلة البحث:

السؤال الرئيس الذي يسعى هذا البحث للإجابة عليه:

– كيف برزت المقاصد القرآنية من خلال كتاب تفسير الجلالين للإمامين الجلالين رحمهما الله؟، ويتفرع عن هذا السؤال الأسئلة التالية:

س١: ما المراد بمصطلح المقاصد القرآنية

س٢: ما القيمة العلمية لتفسير الجلالين؟

س٣: ما أهم المقاصد القرآنية في باب الاعتقاد والتشريع والأخلاق والقصص والسياسة؟

س٤: ما أهم الفوارق المنهجية الواقعة بين كلٍّ من جلال الدين السيوطي وجلال الدين المحلي في عرض المقاصد القرآنية؟

س٥: ما الأثر الناتج عن دراسة هذه المقاصد القرآنية لدى الإمامين؟

مصطلحات البحث:

سوف تعمل هذه الدراسة على بيان المصطلحات الآتية، وذلك من الناحيتين اللغوية والاصطلاحية.

– مصطلح المقاصد القرآنية لفظ مركب من جزأين مفردين أحدهما: المقاصد، والثاني: القرآنية.

التعريف اللغوي: المقاصد في اللغة جمع المقصد، وهو لفظ مشتق من القصد؛ الذي هو: طلب الشيء. تقول قصدته، وقصدت له، وقصدت إليه ([1]).

القصد: استقامة الطريق قصد يقصد قصدا، فهو قاصد، وقوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ ([2]) أي: على الله تبيين الطريق المستقيم والدعاء إليه بالحجج والبراهين الواضحة. وملخص كلام اللغويين أن مادة (قصد) في الاستعمال العربي تدل على معان مشتركه ومتعددة، إلا الغالب عند إطلاقها انصرافها إلى العزم على الشيء والتوجه نحوه.

التعريف الاصطلاحي: لم يرد تعريف للمقاصد الشرعية عند المتقدمين رحمهما الله، لكن تنوعت عبارات المتأخرين في تعريف المقاصد، ومن أجمعها ما عرّفت به بأنها الغايات التي وضعت الشريعة لأجل تحقيقها لمصلحة العباد. وقيل: "هي

المعاني والأهداف الملحوظة في جميع أحكامه أو معظمها، أو هي الغاية من الشريعة والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامه

وقد حاول كثير من الباحثين اختيار أحسن تعريف للمقاصد اصطلاحياً، وقد عرضوا تعبيرات الفقهاء السابقين والتعاريف المطروحة من المعاصرين وناقشوها من أجل هذا الاختيار والبحث عن الأفضل. ولا يقتصر الغرض الملموس على حسن الاختيار فحسب بل اتجهوا إلى تمييز كلمة "مقاصد" عن الألفاظ المتقاربة وتحديد ما يدخل من معانيها وما يخرج منها اجتناباً للالتباسات على القارئين وطلاب العلم المبتدئين والمتوسطين.

وفيما يلي بعض إشارات العلماء القدامى رحمهم الله –فيما يتعلق بالمقاصد– التي أثرت على تعريفات المعاصرين:

١- عرفها بعضهم: بأنَها المصلحة في جلب المنفعة ودفع المضرة، وليس المراد بذلك جلب منفعة ودفع مضرة مقاصد الخلق، وصلاح الخلق في تحصيل مقاصدهم، لكن نعني بالمصلحة المحافظة على مقصود الشارع، ومقصود الشارع من الخلق خمسة وهو: أن يحفظ عليهم دينهم، ونفسهم وعقلهم ونسلهم ومالهم... وكل ما يفوّت هذه الأصول فهو مفسدة ودفعها مصلحة.

٢- فقال غيرهم في تعريف مقاصد هذا الكتاب: الشريعة كلها مصالح: إما تدرأ مفاسد وتجلب مصالح، فإذا سمعت الله يقول ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ فتأمل وصيته بعد ندائه فلا تجد إلا خيرا يحثك عليه أو شراً يزجرك عنه أو جمعاً بين الحث والزجر.

٣- وقيل بأنها "الغايات المحمودة في مفعولاته ومأموراته سبحانه وتعالى التي تدل على حكمته البالغة".

فاختلاف عبارات المتقدمين والمعاصرين في الحديث عن مقاصد الشريعة، ويمكن إجمالها بأن: "المقاصد: المعاني الملحوظة في الأحكام الشرعية، والمترتبة عليها، سواء أكانت تلك المعاني حِكَماً جزئية أم مصالح كلية أم سمات إجمالية، وهي تتجمع ضمن هدف واحد هو تقرير عبودية الله ومصلحة الإنسان في الدارين"(٣).

فالتعريفات الواردة عن العلماء في جملتها تدور على كون المقاصد تمثل مراد الله في أحكامه وتشريعاته مما فيه مصلحة للمكلفين في المعاش والمعاد.

- تعريف القرآن:

التعريف اللغوي: ومعنى القرآن معنى "الجمع"(٤)، وسمي قرآناً، لأنه يجمع السور، فيضمها.

التعريف الاصطلاحي:" عرِّف بأنه كلام الله، الذي أنزل على نبيه محمد ﷺ، ونقل إلينا تواتراً؛ لنتعبد بتلاوته وأحكامه، وكان آية دالة على صدقه فيما ادعاه من الرسالة."(٥)

التعريف الإجرائي: هو كلام الله تعالى، المنزّل على رسوله وخاتم أنبيائه، محمّدٍ ﷺ المبدوء بسورة الفاتحة، المختومُ بسورة النّاس.

- **تعريف المقاصد القرآنية:**

المقاصد القرآنية: يقصد بها مراد الله عز وجل في تشريعاته والغايات التي نزل القرآن الكريم في تحقيقها مما فيه مصلحة العباد في المعاش والمعاد(٦). من ناحية الاعتقاد، والتشريعات، والأخلاق، والسياسة.

- **تعريف التفسير:**

التعريف اللغوي: "فسر: الفسر: البيان، فسر الشيء يفسرِه –بالكسر–ويفسُره –بالضم– فسرا، وفسره: أبانه، والتفسير مثله "(٧).

التعريف الاصطلاحي: هو "علم يعرف به فهم كتاب الله ﷻ المنزل على نبيه محمد ﷺ وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه"(٨) أو هو" علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية"(٩).

التعريف الإجرائي: هو الكشف عن معاني الآيات القرآنية، وما تتضمنه من أحكام وعقائد ومعاملات، وما تحتويه من قصص وأخبار، ثم وضعها في عبارات واضحة للمتلقي، ليسهل فهمها وتتضح مقاصدها.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى:

- بيان المراد بمصطلح المقاصد القرآنية.
- بيان الدور الفَعَّال الذي يقوم به تفسير الجلالين في عرض المقاصد القرآنية، باعتباره أشهر كتب التفسير بين أوساط العوام والمثقفين.
- بيان أهم المقاصد القرآنية في باب الاعتقاد والتشريع والأخلاق والقصص والسياسة.
- بيان أهم الفوارق المنهجية الواقعة بين كلٍّ من جلال الدين السيوطي رحمه الله، وجلال الدين المحلي رحمه الله في عرض المقاصد القرآنية.
- بيان الأثر الناتج عن دراسة هذه المقاصد القرآنية لدى الإمامين، وذلك على المستوى الفردي والمستوى المجتمعي.

- **مقاصد القرآن الاعتقادية عند الإمامين:**

المبحث الأول
في التعريف بالمقاصد الاعتقادية وأقسامها
المطلب الأول: المقصود بالمقاصد الاعتقادية لغة واصطلاحا

تقدم تعريف المقاصد في اللغة.

وأما **تعريف الاعتقاد في اللغة:** قال الخليل[١٠]: "عقد قلبه على شيء: لم ينزع عنه. واعتقد الشيءُ: صلب. واعتقد الإخاءُ والمودَّةُ بينهما: أي ثبت، والعقد مثل العهد، عاقدته عقدا مثل عاهدته عهدا".[١١] وقال الجوهري[١٢]: "عقدت الحبل والبيع والعهد فانعقد. وعقَد الرُّبُّ وغيره، أي غلظ، فهو عقيد. وأعقدته أنا وعقّدته تعقيدا. والعُقدة بالضمّ: موضع العقد، وهو ما عُقِد عليه، يقال: جبرت يده على عقدة، أي على عُثم، والعاقد: الناقة التي قد أقرَّت باللقاح".[١٣] وفي (مجمل اللغة): "العقد: عقد البناء والحبل والعهد والبيع وما أشبه ذلك. وأعقدت العسل، فهو عقيد ومعقد. واعتقد مالاً: اقتناه. واعتقد الشيء: صلب. والمعاقد: مواضع العقد من النظام. وعقد القلادة معروف. وعقد الرمل: ما تراكم منه. وناقة عاقد، إذا عقدت بذنبها للقاح فيعلم أنها لقحت. وعقد اللسان، إذا كانت فيه عقدة".[١٤] وقال أيضا: "عقد: العين والقاف والدال أصل واحد يدل على شدّ وشدة وثوق، وإليه ترجع فروع الباب كلها. من ذلك عقد البناء، والجمع أعقاد وعقود. قال الخليل: ولم أسمع له فعلا. ولو قيل عقّد تعقيدًا، أي: بنى عقدا لجاز. وعقدت الحبل أعقده عقدا، وقد انعقد، وتلك هي العقدة، والعقد: عقد اليمين، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ﴾[١٥] وعقدة النكاح وكل شيء: وجوبه وإبرامه، والعقدة في البيع: إيجابه. والعقدة: الضيعة، والجمع عُقد. وعقد قلبه على كذا فلا ينزع عنه. واعتقد الشيء: صلب. واعتقد الإخاء: ثبت.[١٦] وقال مصنف (المفردات): "العقد: الجمع بين أطراف الشيء، ويستعمل ذلك في الأجسام الصلبة كعقد الحبل وعقد البناء، ثم يستعار ذلك للمعاني نحو: عقد البيع والعهد وغيرهما، فيقال: عاقدته وعقدته وتعاقدنا وعقدت يمينه ومنه قيل: لفلان عقيدة"[١٧]، وكان في (لسان العرب) أوسع في تعريف المادة حيث قال: "عقد: العقدُ: نقيض الحل؛ عقده يعقده عقدا وتعقادا وعقده؛ ويقال: عقدت الحبل، فهو معقود، وكذلك العهد؛ ومنه عقدة النكاح؛ وانعقد عقد الحبل انعقادا. وموضع العقد من الحبل: معقد، وجمعه معاقد. وفي حديث الدعاء: (أسألك بمعاقد العزِّ مِن عرشِك)[١٨] أي: بالخصال التي استحق بها العرش العز أو بمواضع انعقادها منه، وحقيقة معناه: بعز عرشك؛ قال ابن الأثير: وأصحاب أبي حنيفة يكرهون هذا اللفظ من الدُّعاء[١٩]. وجبر عظمه

على عقدة إذا لم يستو. والعقدة: قلادة. والعقد: الخيط ينظم فيه الخرز، وجمعه عقود. وقد اعتقد الدرَّ والخرز وغيره إذا اتخذ منه عقدا، المعقادُ: خيطٌ يُنظم فيه خرزاتٌ وتعلق في عنق الصبي. وعقد التّاج فوق رأسه واعتقده: عصبه به؛ ومنه قول الفاروق: هلك أهل العقد.(٢٠) قيل: أهل الولايات على الأمصار، وقيل: هو من عقد الولاية للأمراء. وعقَد العهد واليمين يعقدهما عقدا وعقّدهما: أكدهما".(٢١) أوجز وحدد في (المصباح المنير): "اعتقدت كذا: عقدت عليه القلب والضمير، حتى قيل: العقيدة ما يدين به الإنسان، وله عقيدة حسنة: سالمة من الشك".(٢٢) قال في (القاموس): "عقد الحبل والبيع والعهد يعقده: شده، والعقد: الضَّمان، والعهد عقِد، كفرِح، فهو أعقد وعقد، وتشبُّث ظببة اللَّعوة ببُسْرة قضيبِ الثَّمْثم، أي: تشبُّث حياء الكلبة برأس قضيب الكلب"(٢٣) وفي (الكليات): "والعقد: إلزام على سبيل الإحكام وعقدت الحبل والمعهود فهو معقود".(٢٤) وقد تطور المعنى الدلالي للكلمة كما ترى: "عقد: عقد الحبل والبيع والعهد يعقده عقدا فانعقد: شده. والذي صرح به أئمَّة الاشتقاق: أن أصل العقد نقيض الحل، عقده يعقده عقدا وتعقادا، وعقَّده، وقد انعقد، وتعقَّد، ثم استعمل في أنواع العقود من البيوعات، والعقود وغيرها، والعقود وغيرها، ثم استعمل في التصميم والاعتقاد الجازم. وفي اللِّسان: ويقال عقدت الحبل فهو معقود، وكذلك العهد، ومنه عقدة النِّكاح، وانعقد الحبل انعقادا. وموضع عقده من الحبل: معقد، وجمعه: المعاقد. وعقد العهد، واليمين، يعقدهما عقدا وعقّدهما: أكّدهما".(٢٥) وفي المعجم الوسيط: "اعتقد الشّيء اشتدَّ وصلب يقال اعتقد الإخاء بينهما صدق وثبت، والحبل ونحوه عقده، والتاج فوق رأسه عقده والدر ونحوه، اتخذ منه عقدا وفلان الأمر صدقه وعقد عليه قلبه وضميره وضيعه وعقارا ومتاعا اقتناها. والعقيدة الحكم الذي لا يقبل الشّك فيه لدى معتقده وفي الدّين ما يقصد به الاعتقاد دون العمل كعقيدة وجود الله وبعثه الرُّسل والجمع عقائد المعتقد العقيدة."(٢٦)

ومن هذه النصوص اللغوية نلاحظ أن مدار كلمة (عقد) على الوثوق والثبات والصلابة في الشيء والربط والشدّ بقوة، ومنه الإحكام والإبرام، والتماسُك والمراصَّة، والإثبات، وجمع الشيء إلى بعضه، النية، ويطلق على العهد وتأكيد اليمين عَقْدٌ وما عقد الإنسان عليه قلبه جازما به فهو عقيدة، وقد توسع الباحث في إيراد المعني اللغوي للكلمة وذلك لكثرة المعاني والدلالات للمادة المعجمية.

وقد لُوحِظ تطور دلالة الكلمة مع الزمن ففي العصور التالية كما سبق من التعريفات تطورت دلالة الكلمة من المعنى اللغوي المجرد في أول الأمر إلى المعني

القلبي ثم إلى العقيدة الإسلامية المحددة على وجه الخصوص.

أما عن التعريف الاصطلاحي: بما أن كلمة (عقيدة) ليست لفظا قديما حيث صنفت الكتب فيها أول الأمر على معنى التوحيد فإن الكتب القديمة لم تذكر لها تعريفا دقيقا، ومبلغ العلم أن اللفظ لم يستعمل دالا على قضايا الإيمان والتوحيد إلا في القرن الخامس الهجري حيث سمّى الحافظ اللالكائي[٢٧] كتابه (شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة) ثم تلته كتب بعده بنفس اللفظ أو بلفظ (عقيدة) غير آخرين صنفوا مسائل العقيدة تحت مسميات التوحيد والإيمان والسنة والاتباع وأصول الدين، وإن كان المدلول واحدا، وبعض المتأخرين عرَّفوا اللفظ بما يدل على معنى التوحيد والإيمان إلى آخر القضايا التي تعالجها دراسة العقيدة... لكن اتسم بالعموم بحيث يشمل جميع مسائل الإيمان والتوحيد، واتسم أيضا بأنه لا يراعي المعنى الأكاديمي المحض والتفصيلي لهذه المسائل فقط، وإنما يراعي أيضا البعد التربوي والعملي لهذه القضايا.

- عرفه الأستاذ الدكتور إبراهيم البريكان أي: علم العقيدة بأنه: "العلم بالأحكام الشرعية العقدية المكتسبة من الأدلة اليقينية ورد الشبهات وقوادح الأدلة الخلافية"[٢٨]

- وقال الدكتور ناصر العقل: "العقيدة هي الإيمان الجازم بالله، وما يجب له في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وبكل ما جاءت به النصوص الصحيحة من أصول الدين وأمور الغيب وأخباره، وما أجمع عليه السلف الصالح، والتسليم لله تعالى في الحكم والأمر والقدر والشرع، ولرسوله ﷺ بالطاعة والتحكيم والاتباع[٢٩]. ويعني ذلك بدلالة الحال أن العلم يحث في هذه الأمور.

- وعرفه محمد خليل ملكاوي فقال: "والعقيدة شرعًا: هي ما يدين به الإنسان ربه وجمعها عقائد، والعقيدة الإسلامية مجموعة الأمور الدينية التي تجب على المسلم أن يصدق بها قلبه، وتطمئن إليها نفسه، وتكون يقينًا عنده لا يمازجه شك ولا يخالطه ريب، فإن كان فيها ريب أو شك كانت ظنًّا لا عقيدة، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾[٣٠] وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ﴾ وقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيه﴾[٣١]

فالعقيدة إذًا ليست أمورًا عملية، إنما هي الأمور الدينية العلمية التي يجب على المسلم اعتقادها في قلبه، لإخبار الله تعالى بها بكتابه أو بسنة رسوله ﷺ، يقول صاحب لسان العرب: "والعقيدة في الدين ما يقصد به الاعتقاد دون العمل كعقيدة

وجود الله وبعثه الرسل وجمعها عقائد"[٣٢] وزاد هذا المعنى كذلك إيضاحًا محمود خطاب[٣٣] فقال: "العقيدة هي مثل عليا يؤمن بها الإنسان فيضحي من أجلها بالأموال والنفس؛ لأنها عنده أغلى من الأموال والنفس".[٣٤]

– وقال الأستاذ الدكتور عثمان ضميرية: "ومن هذا المعنى اللغوي أُخذ **تعريف العقيدة في الاصطلاح الشرعي،** فقال الشيخ حسن البنا ﵀ في تعريف العقائد –بصيغة الجمع–: "هي الأمور التي يجب أن يصدِّق بها قلبك، وتطمئن إليها نفسك، وتكون يقينا عندك، لا يمازجه ريب ولا يخالطه شك"[٣٥] فهي إذن اعتقاد جازم مطابق للواقع، لا يقبل شكا ولا ظنا، فما لم يصل العلم بالشيء إلى درجة اليقين الجازم لا يسمى عقيدة. وإذا كان الاعتقاد غير مطابق للواقع والحق الثابت ولا يقوم على دليل، فهو ليس عقيدة صحيحة سليمة، وإنما هو عقيدة فاسدة، كاعتقاد النصارى بالتثليث وبألوهية عيسى ﵇ والناس في هذا الاعتقاد يتفاوتون، وهم في العقيدة على مراتب، كما أن آثار هذه العقيدة تختلف من شخص لآخر حسب ما يقوم به بنفسه منها، واستيقانه بها وفهمه لها وتفاعله معها"[٣٦]. ثم يتطرق الأستاذ إلى جانب مهم في التعريف فيقول: "والدراسة التحليلية للعقيدة تشير إلى أنها تعتمد على جوانب نفسية وجدانية وإرادية وعقلية في حياة الإنسان، وتتصل بها كلها اتصالا وثيقاً، بها تتكامل شخصية الفرد، وبها ينتفي التضارب والصراع بين قواه المتعددة. وحل مكان ذلك الوئام والانسجام، وتم قبول العقل ورضا النفس واطمئنان القلب، وذلك هو كمال الشخصية وكمال العقيدة أيضا".[٣٧]

ويتضح من هذه التعريفات أن العقيدة أشمل الألفاظ التي تجمع هذه المسائل وهذه العلوم العامة التي تحدد علاقة الإنسان بربه واعتقاده فيه.

– أما **المقاصد الاعتقادية:** فهي الأهداف الاعتقادية العامة التي قصد الشارع إلى توجيه التركيز نحوها، ولفت الأنظار إليها وتسليط الضوء عليها، وهي في التوحيد قضايا العبادة والتوحيد والغيبيات والإلهيات، ونحوها.

المبحث الثاني

المقاصد الاعتقادية عند الإمامين الجليلين والموازنة بينهما

إن أعظم المقاصد الاعتقادية كما قيل: الإيمان بالله والحشر والنشر أعظم المقاصد الاعتقادية وأجلها، لذا فإننا نعرض هذه المقاصد ونعرض إلى طريقة تناولها عن الإمامين، إلا أنه لابد من التنويه إلى شيء هام ضروري وهو أن التفسير يكاد يكون فك الإعجام عن الكلمات وتوضيح معناها الإجمالي، فإن تفسير الجلالين لم

يعرض لشيء كبير فيها، ولم يفصل قضايا جوهرية، وإنما أجمل الحديث في ذلك.

المطلب الأول

المقاصد الاعتقادية عند جلال الدين السيوطي رحمه الله

فقد عرض الإمام هنا إلى اول العقيدة وهو الإيمان بالغيب، قال: "﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ ٣﴾[٣٨] يصدقون (بالغيب) بما غاب عنهم من البعث والجنة والنار (ويقيمون الصلاة) أي يأتون بها بحقوقها (ومما رزقناهم) أعطيناهم (ينفقون) في طاعة الله"[٣٩]

ثم تعرض لأمور ومعنى العقيدة إجمالا قال تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦﴾[٤٠] على الدخول فيه (قد تبين الرشد من الغي) أي ظهر بالآيات البينات أن الإيمان رشد والكفر غي نزلت فيمن كان له من الأنصار أولاد أراد أن يكرههم على الإسلام (فمن يكفر بالطاغوت) الشيطان أو الأصنام وهو يطلق على المفرد والجمع (ويؤمن بالله فقد استمسك) تمسك (بالعروة الوثقى) بالعقد المحكم (لا انفصام) انقطاع (لها والله سميع) لما يقال (عليم) بما يفعل"[٤١]

ثم يعرض لقضية أساسية في العقيدة وهو أركان الإيمان، قال الإمام رحمه الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ٦٢﴾[٤٢] بِالْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْل (وَالَّذِينَ هَادُوا) هُمْ الْيَهُود (وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ) طَائِفَة مِنْ الْيَهُود أَوْ النَّصَارَى (مَنْ آمَنَ) مِنْهُمْ (بِاَللَّهِ وَالْيَوْم الْآخِر) فِي زَمَن نَبِيّنَا (وَعَمِلَ صَالِحًا) بِشَرِيعَتِهِ (فَلَهُمْ أَجْرهمْ) أَيْ ثَوَاب أَعْمَالهمْ (عِنْدَ ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) رُوعِيَ فِي ضَمِير آمَنَ وَعَمِلَ لَفْظ مَنْ وفيما بعده معناه"[٤٣] وقال في ذلك رحمه الله " ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ١٧٧﴾[٤٤] فِي الصَّلَاة (قِبَل الْمَشْرِق وَالْمَغْرِب) نَزَلَ رَدًّا عَلَى الْيَهُود والنصارى حين زَعَمُوا ذَلِكَ (وَلَكِنَّ الْبِرّ) أَيْ ذَا الْبِرّ وَقُرِئَ بِفَتْحِ الْبَاء أَيْ الْبَارّ (مَنْ آمَنَ بِاَللَّهِ وَالْيَوْم الْآخِر وَالْمَلَائِكَة وَالْكِتَاب) أَيْ الْكُتُب (وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَال عَلَى) مَعَ (حُبّه) لَهُ (ذوي القربى) القرابة (واليتامى والمساكين وبن السَّبِيل) الْمُسَافِر (وَالسَّائِلِينَ) الطَّالِبِينَ (وَفِي) فَكّ (الرِّقَاب) الْمُكَاتَبِينَ

وَالْأَسْرَى (وَأَقَامَ الصَّلَاة وَآتَى الزَّكَاة) الْمَفْرُوضَة وَمَا قَبْله فِي التَّطَوُّع (وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إذَا عَاهَدُوا) اللَّه أَوْ النَّاس (وَالصَّابِرِينَ) نُصِبَ عَلَى الْمَدْح (فِي الْبَأْسَاء) شِدَّة الْفَقْر (وَالضَّرَّاء) الْمَرَض (وَحِين الْبَأْس) وَقْت شِدَّة الْقِتَال فِي سَبِيل اللَّه (أُولَئِكَ) الْمَوْصُوفُونَ بِمَا ذُكِرَ (الَّذِينَ صَدَقُوا) فِي إيمَانهمْ أَوْ ادِّعَاء الْبِرّ (وَأُولَئِكَ هُمْ المتقون) الله"[٤٥]

وتحدث أيضا في معنى التوحيد ودلائله من الآيات حول الإنسان في الكون، قال ﷺ: "﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾﴾[٤٦] على الإيمان فاختلفوا بأن آمن بعض وكفر بعض (فبعث الله النبيين) إليهم (مبشرين) من آمن بالجنة (ومنذرين) من كفر بالنار (وأنزل معهم الكتاب) بمعنى الكتب (بالحق) متعلق ب: أنزل، (ليحكم) به (بين الناس فيما اختلفوا فيه) من الدين (وما اختلف فيه) أي الدين (إلا الذين أوتوه) أي الكتاب فآمن بعض وكفر بعض (من بعد ما جاءتهم البينات) الحجج الظاهرة على التوحيد ومن متعلقة ب (اختلف) وهي وما بعدها مقدم على الاستثناء في المعنى (بغيا) من الكافرين (بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من) للبيان (الحق بإذنه) بإرادته (والله يهدي من يشاء) هدايته (إلى صراط مستقيم) طريق الحق"[٤٧]

﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾﴾[٤٨] المرضي (عند الله) هو (الإسلام) أي الشرع المبعوث به الرسل المبني على التوحيد وفي قراءة بفتح أن بدل من أنه إلخ بدل اشتمال (وما اختلف الذين أوتوا الكتاب) اليهود والنصارى في الدين بأن وحد بعض وكفر بعض (إلا من بعد ما جاءهم العلم) بالتوحيد (بغيا) من الكافرين (بينهم ومن يكفر بآيات الله) (فإن الله سريع الحساب) أي المجازاة له"[٤٩]

وعن إبراهيم صاحب الحنيفية السمحة تحدث في تفسير الآيات فقال ﷺ: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَـٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾[٥٠] أحقهم (بإبراهيم للذين اتبعوه) في زمانه (وهذا النبي) محمد لموافقته له في أكثر شرعه (والذين آمنوا) من أمته فهم الذين ينبغي أن يقولوا نحن على دينه لا أنتم (والله ولي المؤمنين) ناصرهم وحافظهم"[٥١]

وعن طاعة الرسول ﷺ وهي من دعائم ومقاصد الاعتقاد، قال رحمه الله

تعالى: "﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾[٥٢] أي المنافقين (الذين يؤذون النبي) بعيبه وبنقل حديثه (ويقولون) إذا نهوا عن ذلك لئلا يبلغه (هو أذن) أي يسمع كل قيل ويقبله فإذا حلفنا له أنا لم نقل صدقنا (قل) هو (أذن) مستمع (خير لكم) لا مستمع شر (يؤمن بالله ويؤمن) يصدق (للمؤمنين) فيما أخبروه به لا لغيرهم واللام زائدة للفرق بين إيمان التسليم وغيره (ورحمة) بالرفع عطفا على أذن والجر عطفا على خير (للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم) "[٥٣]

وفي جملة الاعتقاد قال رحمه الله تعالى: "﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾[٥٤] بين الله لخلقه الدلائل والآيات (أنه لا إله) أي لا معبود في الوجود بحق (إلا هو و) شهد بذلك (الملائكة) بالإقرار (وأولوا العلم) من الأنبياء والمؤمنين بالاعتقاد واللفظ (قائما) بتدبير مصنوعاته ونصبه على الحال والعامل فيها معنى الجملة أي تفرد (بالقسط) بالعدل (لا إله إلا هو) كرره تأكيدا (العزيز) في ملكه (الحكيم) في صنعه"[٥٥]

وختم في الربوبية التي جاءت الرسل لتبني عليها الألوهية: ﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾[٥٦] طائفة (من) أولاد (قومه) أي فرعون (على خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم) يصرفهم عن دينه بتعذيبه (وإن فرعون لعال) متكبر (في الأرض) أرض مصر (وإنه لمن المسرفين) المتجاوزين الحد بادعاء الربوبية"[٥٧]

المطلب الثاني

المقاصد الاعتقادية عند جلال الدين المحلي رحمه الله

وكما عرضنا تناول المقاصد العقدية عند السيوطي رحمه الله نتناول ذلك عند المحلي رحمه الله، كان الجزء الثاني من القرآن والذي تناوله المحلي تقريبا نفس الموضوعات التي تنولت في الجزء الأول مثل الغيبيات، قال الإمام رحمه الله: "﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ ﴾[٥٨] يخافونه (بالغيب) في غيبتهم عن أعين الناس فيطيعونه سرا فيكون علانية أولى (لهم مغفرة وأجر كبير) أي الجنة"[٥٩]

ولم يتناول كلمة عقيدة وأشياء باعتبار عدم وجود الآيات التي تتحدث عن العقيدة، قال الإمام رحمه الله: "﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ﴾[٦٠] أي غير

المحصنين لرجمهما بالسنة وأل فيما ذكر موصولة وهو مبتدأ ولشبهه بالشرط دخلت الفاء في خبره وهو (فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) ضربة يقال جلده ضرب جلده ويزاد على ذلك بالسنة تغريب عام والرقيق على النصف مما ذكر (ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله) أي حكمه بأن تتركوا شيئا من حدهما (إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) أي يوم البعث في هذا تحريض على ما قبل الشرط وهو جوابه أو دال على جوابه (وليشهد عذابهما) الجلد (طائفة من المؤمنين) قيل ثلاثة وقيل أربعة عدد شهود الزنى"(٦١)

وعن طاعة الرسول ﷺ تحدث الإمام رحمه الله: "﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١﴾(٦٢) بكسر الهمزة وضمها (حسنة) اقتداء به في القتال والثبات في مواطنه (لمن) بدل من لكم (كان يرجو الله) يخافه (واليوم الآخر وذكر الله كثيرا) بخلاف من ليس كذلك"(٦٣)

وعن التوحيد تحدث الإمام رحمه الله وتفسير الصراط المستقيم ﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤۡمِنُواْ بِهِۦ فَتُخۡبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٤﴾(٦٤) التوحيد والقرآن (أنه) أي القرآن (الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت) تطمئن (له قلوبهم وإن الله لهاد الذين آمنوا إلى صراط) طريق (مستقيم) أي دين الإسلام"(٦٥) وقال أيضا رحمه الله: "﴿أَمۡ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةُۢۚ بَلۡ جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ وَأَكۡثَرُهُمۡ لِلۡحَقِّ كَٰرِهُونَ ٧٠﴾(٦٦) الاستفهام للتقرير بالحق من صدق النبي ومجيء الرسل للأمم الماضية ومعرفة رسولهم بالصدق والأمانة وأن لا جنون به (بل) للانتقال (جاءهم بالحق) أي القرآن المشتمل على التوحيد وشرائع الإسلام (وأكثرهم للحق كارهون)"(٦٧)

ثم الولاء والبراء لله ورسوله والمؤمنين وهو من أخص خصائص العقيدة ﴿إِنَّهُمۡ لَن يُغۡنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۖ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ١٩﴾(٦٨) يدفعوا (عنك من الله) من عذابه (شيئا وإن الظالمين) الكافرين (بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين"(٦٩)

وقال الإمام أيضا رحمه الله: "(ذلك) نصر المؤمنين وقهر الكافرين (بأن الله مولى) ولي وناصر ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ ١١﴾(٧٠)"(٧١)،

وتحدث إجمالا عن معنى الربوبية فقال رحمه الله: "﴿فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٞ ٤٠﴾(٧٢) طرحناهم (في اليم) البحر فغرقوا (وهو) أي فرعون (مليم) آت بما يلام عليه من تكذيب الرسل ودعوى الربوبية"(٧٣)

المطلب الثالث

الموازنة بين المقاصد الاعتقادية عند كل من الإمامين

وفي الموازنة بين الإمامين في تناول المقاصد الاعتقادية نرى ما يأتي:

١- تناول الإمام السيوطي كان أثرى وأكثر من الإمام المحلي، وربما كان ذلك لاعتبار أن الأول تناول الجزء الأول من القرآن وهو أكثر تفصيلا في شرح وعرض الآيات.

٢- الإمام السيوطي رحمه الله أكثر من مواضع المقاصد، وتلك عادة في الإمام الإسهاب في عرض المواقف والقضايا.

٣- التعرض بالجملة لمواضع المقاصد كان أقل مما ينبغي بالنسبة إلى شخص الشيخين الكريمين، وربما يكون النية في تأليف الكتاب هو بسط معاني الكلمات، وهو يعني عدم وجود شرح كاف.

٤- التعرض كان مرتبطا بمواضع الآيات والقرآن بالعموم تعرض لذلك في عموميات التوحيد والعقيدة، وفسرت السنة فروع ذلك.

٥- تختلف التعبيرات في التأويل، ولكن لقلة الكلمات غير ظاهر الفرق بين التفسيرين.

٦- في الجزء الأول الذي أكمله السيوطي قال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾ أي الأرض وما فيها (جميعا) لتنتفعوا به وتعتبروا (ثم استوى) بعد خلق الأرض أي قصد (إلى السماء فسواهن) الضمير يرجع إلى السماء لأنها في معنى الجملة الآيلة إليه أي صيرها كما في آية أخرى (فقضاهن) (سبع سماوات وهو بكل شيء عليم) مجملا ؟ ومفصلا ؟ أفلا تعتبرون أن القادر على خلق ذلك ابتداء ؟ وهو أعظم منكم قادر على إعادتكم"[٧٤] وهو مشعر بشيء من التأويل.

في الجزء الثاني الذي قام به المحلي رحمه الله: "﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾﴾ أولها الأحد وآخرها الجمعة (ثم استوى على العرش) هو في اللغة سرير الملك استواء يليق به (ما لكم) يا كفار مكة (من دونه) أي غيره (من ولي) اسم ما بزيادة من أي ناصر (ولا شفيع) يدفع عذابه عنكم (أفلا تتذكرون) هذا فتؤمنون[٧٥] وهو انضباط في المعنى؛ حيث ذكر: يليق بع، وهو اعتقاد أهل السنة.

قال المحلي رحمه الله: "(ويبقى وجه ربك) ذاته (ذو الجلال) العظمة (والإكرام) للمؤمنين بأنعمه عليهم"[٧٦] وليس الوجه هو الذات، وهو مشعر بالتأويل؛ إذ الوجه كما هو يليق به بلا تشبيه.[٧٧]

النتائج والتوصيات:

من النتائج التي توصل إليها هذا البحث:

- أن تفسير الجلالين زخر بكثير من المقاصد الاعتقادية، وقد أجمل من قال فيه: "تفسير الجلالين تفسير معتبر، ومعتمد عند أهل العلم وهو كتاب قديم، وعليه حواشي، وعليه خدمات لأهل العلم، وتفسير الجديد التفسير الميسر هذا يصلح لعامة الناس، والملاحظات عليه يسيرة إن وجدت، بخلاف تفسير الجلالين الذي يحتاج إلى شرح وبيان، لفظ متين، وعلى طريقته ومنهجه، وفيه أيضاً أخطاء وأوهام في العقيدة وغيرها هو بحاجة إلى تنبيه، لك مباحث مثل ترجمة القرآن لغير العربية، معروف أنه ترجمته الحرفية الذي قرره أهل العلم أنها لا تجوز، وأنها لا تمكن، وأما ترجمة معانيه إلى لغات العلم فأجازها أهل العلم، وفعلوها، وترجماته إلى جميع اللغات مطبوعة وموجودة ومتداولة".(٧٨)

التوصيات:

أوصي الباحثين بدراسة مصنفات الإمامين الجليلين في شتى العلوم؛ لكثرة فوائدهما.

هوامش البحث:

---

(١) انظر: ابن منظور، جمال الدين ابن منظور.لسان العرب،ط٣.ج٣. (بيروت.دار صادر،ت ١٤١٤ هـ)، (ص،٣٥٣قصد).

(٢) سورة النحل، آية: ٩.

(٣) الخادمي. نور الدين بن المختار.الاجتهاد المقاصدي حجيته ضوابطه مجالاته، ط١. ج٢. (قطر. رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية. ١٤١٩-١٩٩٨ م)،.ص ٥٢-٥٣.

(٤) ابن منظور،لسان العرب. ط٣، ج١، ص١٢٨، (قرأ).

(٥) القطان.خليل مناع.تاريخ التشريع الإسلامي.ط٢٦.(الناشر: مكتبة وهبه.ت. د)، ص٤٠.

(٦) انظر ما كتبه الطاهر ابن عاشور في مقاصد الشريعة الإسلامية (ص٣٠٦-٣٠٧).

(٧) انظر: ابن منظور، لسان العرب. ط٣، ج٥، ص٥٥، (فسر).

(٨) الزركشي.عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر. البرهان في علوم القرآن.تحقيق:محمد أبو الفضل.ط١، ج١.(بيروت.دار المعرفة.ت١٣٧٦هـ)،ص ١٣.

(٩) الزرقاني.محمد عبد العظيم. مناهل العرفان في علوم القرآن،ط ٢. ج١. (دمشق. مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.ت. د). ص٤٢٣.

(١٠) الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي اليحمدي، أبو عبد الرحمن: من أئمة اللغة والأدب، وواضع علم العروض، أخذه من الموسيقى وكان عارفا بها. وهو أستاذ سيبويه النحوي، من كتبه: العين، معاني الحروف، توفي سنة ١٧٠ هـ.

(١١) الفراهيدي.الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري.العين، المحقق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي. ط. د،ج١ ت. د، دار ومكتبة الهلال ص١٤٠.

(١٢) إسماعيل بن حماد الجوهري، أبو نصر: أول من حاول (الطيران) ومات في سبيله. لغويّ، من الأئمة، أشهر كتبه الصحاح وله كتاب في العروض. توفي سنة ٣٩٣ هـ.
(١٣) الفارابي.إسماعيل بن حماد الجوهري. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية.ط٤، ج٢، ت١٤٠٧هـ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار.بيروت، دار العلم للملايين، ص٥١١.
(١٤) ابن فارس.أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين.معجم مقاييس اللغة.ط٢، ج١،ت١٤٠٦هـ، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان. بيروت، مؤسسة الرسالة. ص ٦٢٠-٦٢١.
(١٥) المائدة: ٨٩.
(١٦) ابن فارس.أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي أبو الحسين.معجم مقاييس اللغة.ط. د.ج٤.ت١٣٩٩هـ، المحقق: عبد السلام محمد هارون.بيروت، دار الفكر. ص ٨٦-٨٧.
(١٧) الأصفهاني.لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف. المفردات في غريب القرآن.ط١، ج١،ت١٤١٢هـ.المحقق: صفوان عدنان الداودي، دمشق. دار القلم، ص٥٧٦-٥٧٧.
(١٨) قال الشيخ الألباني ﷺ "أقول: لكن الأثر المشار إليه باطل لا يصح، رواه ابن الجوزي في "الموضوعات" وقال: (هذا حديث موضوع بلا شك)، وأقره الحافظ الزيلعي في «نصب الراية" (٢٧٣) فلا يحتج به انظر":آل نعمان شادي بت محمد ين سالم. موسوعة العلامة الإمام مجدد العصر محمد ناصر الدين،ط١،ج٣،ت١٤٣١هـ. صنعاء، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة، ص٦٠٩-٦١٠.
(١٩) انظر:الشيباني.مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد ابن الكريم. النهاية في غريب الحديث والأثر ط. د،ج٣،ت١٣٩٩هـ،تحقيق: طاهر أحمد الزاوى و محمود محمد الطناحي. بيروت. المكتبة العلمية. ص٣٢٧٠ -٢٧١٠.
(٢٠) التركي.عبد الله بن عبد المحسن التركي.مسند أحمد.ط١،ت١٤٢١هـ،المحقق: شعيب الأرنؤوط. عادل مرشد، وآخرون بيروت، مؤسسة الرسالة الطبعة.رقم الحديث (٢١٢٦٤).
(٢١) ابن منطور.محمد بن علي أبو الفضل جمال الدين.لسان العرب،ط٣،ج٣،ت١٤١٤هـ، بيروت.دار صادر.ص٢٩٦-٣٠٠.
(٢٢) أبو العباس الفيومي. أحمد بن محمد بن علي الفيومي.المصباح المنير في غريب الشرح الكبير.ط. د،ج١،ت. د، بيروت. المكتبة العلمية.ص ٤٢١.
(٢٣) الفيروزآبادي. مجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب.القاموس المحيط.ط٨،ج١،ت١٤٢٦هـ، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي. بيروت. مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ص ٣٠٠ -٣٠١.
(٢٤) أبو البقاء الحنفي.أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي،.الكليات.ط. د،ج٨،ت. د،،المحقق: عدنان درويش. محمد المصري. بيروت، مؤسسة الرسالة.ص٦٤١.
(٢٥) انظر:الزبيدي. محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني. أبو الفيض. الملقب بمرتضى. انظر تاج العروس من جواهر القاموس،ط. د،ج٨،ت. د.المحقق: مجموعة من المحققين.بيروت. دار الهداية. ص ٣٩٤.
(٢٦) إبراهيم مصطفى. أحمد الزيات. حامد عبد القادر. محمد النجار، المعجم الوسيط. ط. د.ج٢.ت. د، دار الدعوة. ص ٦١٤.
(٢٧) هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازيّ، أبو القاسم اللالكائي: حافظ للحديث، من فقهاء

الشافعية. من أهل طبرستان. له: شرح السنّة وحجج أصول أهل السنة والجماعة وأسماء رجال الصحيحين وكرامات أولياء الله. توفي سنة ٤١٨ هـ.

(٢٨) البريكان. إبراهيم بن محمد. المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية على مذهب أهل السنة والجماعة. ط. د.ت١٤٢٣هـ، الرياض. طبعة دار ابن القيم.ص ١٣.

(٢٩) العقل. ناصر بن عبد الكريم. مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة. ط ٢،ج١،ت. د، الرياض. دار الوطن للنشر. ص ٦.

(٣٠) سورة الحجرات:آيه ١٥.

(٣١) سورة آل عمران:آيه ٩.

(٣٢) سبق في التعريف اللغوي.

(٣٣) يعني اللواء الرّكن محمود شيت خطابْ في كتابه بين العقيدة والقيادة.

(٣٤) ملكاوي. محمد أحمد محمد عبد القادر خليل. عقيدة التوحيد في القرآن الكريم.ط١، ج١،ت١٤٠٥هـ، مكتبة دار الزمان. ص ٢٠.

(٣٥) نقلا عن رسائل الإمام حسن البنا.باب عقيدتنا.ط. د،ت،د، طبعة الدار الإسلامية،ص٢٦٧.

(٣٦) ضميرية، عثمان جمعة.مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية،ط ٢،ج١،ت١٤١٧ه،تحقيق: عبد الله بن عبد الكريم العبادي. الرياض. مكتبة السوادي للتوزيع. ص ١٢١.

(٣٧) انظر:ضميرية.عثمان جمعة.مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية.ط٢،ج ١،ت ١٤١٧هـ، ص١٢١-١٢٢.

(٣٨) سوره البقرة:آيه ٣.

(٣٩) المحلي. جلال الدين محمد بن أحمد.السيوطي.جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. تفسير الجلالين الميسر،ط١ ج ١،ت١٣٠٢هـ.القاهرة.المطبعة البهية. ص٣.

(٤٠) البقرة: ٢٥٦.

(٤١) المحلي.جلال الدين محمد بن أحمد.و السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر.تفسير الجلالين الميسر.ط١ ج١.ت١٣٠٢هالقاهرة. المطبعة البهية، ص٥٦.

(٤٢) سورةالبقرة:آيه ٦٢.

(٤٣) المحلي. جلال الدين محمد بن أحمد المحلي. السيوطي.جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. تفسير الجلالين الميسر.ط ١،ج١.ت١٣٠٢هـ. القاهرة. المطبعة الهية. ص١٤.

(٤٤)سورة البقرة: آيه ١٧٧.

(٤٥) المحلي. جلال الدين محمد بن أحمد. السيوطي.جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر.تفسير الجلالين الميسر.ط١،ج١،ت١٣٠٢، القاهرة. مطبعة البهية.ص٣٦.

(٤٦) سورة البقرة: آيه ٢١٣ ٠

(٤٧) المحلي.جلال الدين محمد بن أحمد. السيوطي.جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر،تفسير الجلالين الميسر.ط١،ج١،ت١٣٠٢هـ، القاهرة. مطبعة البهية.ص٤٤.

(٤٨) سورة آل عمران: آية ١٩

(٤٩) الحلي. جلال الدين محمد بن أحمد. السيوطي. جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر.تفسير الجلالين الميسر.ط ١،ج ١،ت١٣٠٢هـ، القاهرة. مطبعة البهية.ص٦٨.

(٥٠) سورةآل عمران: آية ٦٨.

(٥١) المرجع السابق. ص٧٥.

(٥٢) سورة التوبة: آية ١٣٢.

(٥٣) المحلي. جلال الدين محمد بن أحمد. السيوطي. جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، تفسير الجلالين الميسر .ط١،ج١،ت١٣٠٢هـ .القاهرة.مطبعة البهية، ص ٢٥١.
(٥٤) سورة آل عمران: آية ١٨.
(٥٥) المحلي، جلال الدين محمد. السيوطي.جلال الدين عبد الرحمن.تفسير الجلالين الميسر. ط١،ج١،ت١٣٠٢هـ. القاهرة. مطبعة البهية.ص٦٧.
(٥٦) سورة يونس: آية ٨٣.
(٥٧) المرجع السابق.ج١.ص ٢٧٩.
(٥٨) سورة الملك: آية ١٢.
(٥٩) الحلي. جلال الدين محمد بن أحمد. السيوطي.جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. تفسير الجلالين الميسر .ط١.ج١، ت١٣٠٢هـ'القاهرة. مطبعة البهية.ص٧٥٥.
(٦٠) آية النور: آية ٢.
(٦١) المرجع السابق.ج١،ص٤٥٧.
(٦٢) سورة الأحزاب:آية ٢١.
(٦٣) الحلي. جلال الدين محمد بن أحمد.السيوطي.وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر.تفسير الجلالين الميسر ط١،ج١،ت١٣٠٢هالقاهرة. مطبعة البهية.ص٥٥٢.
(٦٤) سورة الحج: آية٥٤.
(٦٥) الحلي. جلال الدين محمد بن أحمد.السيوطي.جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر.تفسير الجلالين الميسر ،ط١،ج١،ت١٣٠٢هـ،ص٤٤١.
(٦٦) سورةالمؤمنون: آية ٧٠.
(٦٧) المرجع السابق.ج١. ص٤٥٢.
(٦٨) سورة الجاثية: آية١٩.
(٦٩) المحلي. جلال الدين محمد بن أحمد.السيوطي.جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر.تفسير الجلالين الميسر .ط١ ج١،ت١٣٠٢هـ. القاهرة.مطبعة البهية.ص٦٦٢
(٧٠) سورة محمد: آية ١١.
(٧١) الحلي. جلال الدين محمد بن أحمد.السيوطي. جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. تفسير الجلالين الميسر ط١،ج١،ت١٣٠٢هـ.ص ٦٧٤.
(٧٢) سورة الذاريات: آية ٤٠.
(٧٣) المرجع السابق.ح١،ص ٦٩٥.
(٧٤) المحلي. جلال الدين محمد بن أحمد.السيوطي. جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، تفسير الجلالين الميسر .ط١ ج١،ت١٣٠٢هـ.القاهرة. مطبعة البهية.ص٨.
(٧٥) المحلي. جلال الدين محمد بن أحمد.السيوطي. جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر.تفسير الجلالين الميسر .ط١ ج١،ت١٣٠٢هـ.ص٥٤٥.
(٧٦) المرجع السابق.ج١.ص٤٥.
(٧٧) شمس الدين.أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي. لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، ط٢، ج١،ت١٤٠٢هـ، دمشق. مؤسسة الخافقين. ص٢٢٧.
(٧٨) الخضيري، عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن حمد.التعليق على تفسير الجلالين. ط١،ج١.ت١٤١٩هـ، ص١٧.

المصادر والمراجع

١.أمين، بكري الشيخ. (١٣٩٩). التعبير الفني في القرآن. الطبعة الأولي. مصر دار الشروق.

٢.البخاري.محمد بن إسماعيل الجعفي. د. ت. صحيح البخاري. تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر.د.ط. مصر.دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي.

٣.البخاري.محمد بن إسماعيل الجعفي أبو عبد الله البخاري. (١٤٢٢). كتاب الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري. المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر. الطبعة الأولي. مصر. دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي).

٤.البدوي. يوسف أحمد محمد. (٢٠٠٠). مقاصد الشريعة عند ابن تيمية. الطبعة الأولي. الأردن. دار النفائس.

٥.البريكان.إبراهيم محمد. (١٤٢٣). المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية على مذهب أهل السنة والجماعة. الرياض. د. ط. الرياض. دار ابن القيم.

٦.البغدادي. علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري أبو الحسن. د. ت. فسير الماوردي = النكت والعيون. المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم. الطبعة الأولي. بيروت. دار الكتب العلمية.

٧.البغدادي.إسماعيل باشا. (١٩٥١). أسماء المؤلفين وآثار المصنفين. د. ط. (استانبول. طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية استانبول. وأعادت طبعه: دار إحياء التراث العربي بيروت).

٨. البغدادي.إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم. د. ت. إيضاح المكنون في الذيل على كشف الضنون.. تحقيق:محمد شرف الدين كشف الظنون. ط. د. (بيروت: دار إحياء التراث العربي).

٩.البغدادي.عبد القادر بن عمر. (١٤١٨). خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب. تحقيق:عبد السلام هارون. ط. د. (د. م:مكتبة الخانجي).

١٠. البيطار.عبد الرزاق. (١٤١٣هـ). حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر. تحقيق:محمد بهجة البيطار. د. ط. (بيروت: دار صادر بيروت).

١١. التونسي. الطاهر بن عاشورالتونسي. (١٤٢٥). مقاصد الشريعة الإسلامية. المحقق: محمد الحبيب ابن الخوجة. الطبعة الأولي. (قطر:وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية).

١٢. التونسي.محمد الطاهر بن محمدالطاهر بن عاشور. (١٩٨٤). التحرير والتنوير. د. ط. (تونس:الدار التونسية للنشر).

١٣. الثعلبي.سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الآمدي أبي الحسن. د. ت. المحقق: عبد الرزاق عفيفي. الإحكام في أصول الأحكام. د. ط. (بيروت: المكتب الإسلامي).

١٤. ابن الأثير، لمجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري. (١٣٩٩). النهاية في غريب الحديث والأثر. تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي. د. ط. (بيروت: المكتبة العلمية).

١٥. الجرجاني.علي بن محمد بن علي الزين الشريف. (١٤٠٣). التعريفات. المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء. د. ط. (بيروت: دار الكتب العلمية).

١٦. الجمحي. محمد بن سلام بن عبيد الله. د. ت. طبقات فحول الشعراء. تحقيق: محمود محمد

شاكر. الطبعة الأولي. (جدة: دار المدني).
١٧. الجوزي.جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (١٤٢٢). زاد المسير في علم التفسير. المحقق: عبد الرزاق المهدي. الطبعة الأولي. (بيروت: دار الكتاب العربي).
١٨. الحاج.ياسمين خالد. (٢٠٠٤) القصة في القرآن الكريم خصائصها الفنية والموضوعية. د. ط. رسالة ماجستير. جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية. كلية الدراسات العليا. (أم درمان: السودان).
١٩. الحاجي.خليفة. (١٩٤١). كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. بغداد. مكتبة المثنى. د. ط. (لبنان: وصورتها دار إحياء التراث العربي).
٢٠. الحاجي.خليفة. (٢٠١٠). سلم الوصول إلى طبقات الفحول. د. ط. (إستانبول: مكتبة إرسيكا).
٢١. الحراني.أحمد بن عبد الحليم بن تيمية. (١٤١٩). السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية. الطبعه الثالثة. (بيروت: دار المعرفة).
٢٢. الحسني. عبد الحي بن فخر الدين. (١٤٢٠). الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام المسمى (بنزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر). د. ط. (بيروت: دار ابن حزم)
٢٣. الحضرمي. محمد بن إبراهيم بن محمد. (١٤١٣). النابغة الذبياني في ديوانه. حققه: علي الهروط. الطبعة الأولي. (بيروت: جامعة مؤتة).
٢٤. الحضكي.محمد بن أحمد. (١٤٢٧). طبقات الحضيكي.د.ط. (الدار البيضاء:مطبعة النجاح الجديدة).
٢٥. الحلبي.محمد بدر الدين الحلبي. (١٣٢٤). التعليم والإرشاد. د. ط. (مصر: مطبعة السعادة).
٢٦. الحموي. أحمد بن محمد بن علي الفيومي أبو العباس الحموي. د. ت. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير. د. ط. (بيروت: المكتبة العلمية).
٢٧. الخادمي. نور الدين بن مختار. (١٤٢١). علم المقاصد الشرعية. الطبعة الأولي (الرياض: مكتبة العبيكان).
٢٨. الخادمي.نور الدين بن مختار الخادمي. (١٤١٩). الاجتهاد المقاصدي حجيته ضوابطه مجالاته. د. ط. (قطر: رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية).
٢٩. الخان.صديق حسن. (١٤٢٣). أبجد العلوم. الطبعة الأولي. (بيروت: دار ابن حزم).
٣٠. الخان.صديق حسن خان. (١٤٢٨). التاج المكلل من جواه مآثر الطراز الآخر والأول. د. ط. (قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية).
٣١. الخراز.خالد بن جمعة بن عثمان الخراز. (١٤٣٠). موسوعة الأخلاق. د. ط. (الكويت: مكتبة أهل الأثر للنشر والتوزيع).
٣٢. الخرساني.أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي الخُسْرَوْجِردي. ١٤٢٤هـ. السنن الكبرى. المحقق: محمد عبد القادر عطا. الطبعة الثانية. (بيروت: دار الكتب العلمية).
٣٣. خلف الله وآخرون. (١٩٨٨). القرآن نظرة عصرية جديدة. الطبعة الأولي. (القاهرة:المؤسسة العربية للدراسات والنشر).
٣٤. الخيمي.صلاح محمد. (١٤٠٣). فهارس علوم القرآن الكريم لمخطوطات دار الكتب الظاهرية. د. ط. (دمشق: مجمع اللغه العربيه).
٣٥. الجصاص.أحمد بن علي أبي بكر الرازي الحنفي. (١٤٠٥). أحكام القرآن. تحقيق: محمد صادق القمحاوي. الطبعة الثانية. (بيروت:دار إحياء التراث العربي).

٣٦. الداوودي.محمد بن علي شمس الدين. (١٤٠٣).طبقات المفسرين. الطبعة الأولي. (الرياض: مكتبة العلوم والحكم السعودية).
٣٧. الدوودي.شمس الدين. (١٤٠٣) طبقات المفسرين. الطبعة الأولي. (بيروت: دار الكتب العلمية).
٣٨. الدينوي.عبد الله بن مسلم بن قتيبة أبي محمد. (١٩٧٨). غريب القرآن. المحقق: أحمد صقر. د. ط. (بيروت: دار الكتب العلمية (مصورة عن الطبعة المصرية).
٣٩. الذهبي.شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان. (١٤٠٥). سير أعلام النبلاء، الطبعة الأولي. (بيروت: مؤسسة الرسالة).
٤٠. الذهبي.محمد حسين الذهبي. (٢٠٠٠). التفسير والمفسرون. الطبعة الثالثة. (القاهرة: مكتبة وهبة).
٤١. ذوقان، عبيدات، عبد الرحمن عداس.كايد عبد الحق. (١٤١٨). البحث العلمي مفهومة وأدواته وأساليبه. الطبعة السادسة. (عمان. دار الفكر للطباعة والنشر).
٤٢. الرازي.أحمد بن فارس بن زكريا القزويني أبو الحسن. (١٣٩٩). معجم مقاييس اللغة. المحقق: عبد السلام محمد هارون. د. ط. (بيروت: دار الفكر).
٤٣. البرمكي. أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان. (١٤١٢). وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. المحقق: إحسان عباس – الطبعة الثانية. (بيروت: دار صادر).
٤٤. الربيعة.عبد العزيز. (١٤٣٥). علم مقاصد الشارع. د. ط. (الرياض: دار حافظ).
٤٥. الرضا.فؤاد علي. (١٤٠٤) علوم القرآن. د. ط. (بيروت: دار اقرأ).
٤٦. الأرنؤوط، شعيب. و عادل مرشد، وآخرون. (١٤٢١). إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي. مسند أحمد. الطبعة الأولي. (بيروت: مؤسسة الرسالة).
٤٧. الريسوني. أحمد الريسوني. (١٤١٢). نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي. د. ط. (مصر: الدار العالمية للكتاب الإسلامي).
٤٨. الزبيدي. محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني أبو الفيض. د. ت. تاج العروس من جواهر القاموس. المحقق: مجموعة من المحققين. الطبعة الثالثة. (بيروت:دار الهداية).
٤٩. الزجاج.إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق. (١٩٨٨).. معاني القرآن وإعرابه. المحقق: عبد الجليل عبده شلبي. د. ط. (بيروت: عالم الكتب).
٥٠. الزحيلي.وهبة بن مصطفى. (١٤١٨). التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهاج.. الطبعة الثانية. (دمشق: دار الفكر المعاصر).
٥١. الأزدي.محمد بن الحسن دريد الأزدي أبو بكر.(١٩٨٧). جمهرة اللغة لابن دريد. تحقيق:رمزي منير بعلبكي. د. ط. (بيروت:دار العلم للملايين).
٥٢. الزرقاني. محمد عبد العظيم. د.ت. مناهل العرفان في علوم القرآن. الطبعة الثانية. (دمشق:مطبعة عيسى البابي).
٥٣. الزركشي. عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بهادر. (١٣٧٦). البرهان في علوم القرآن. تحقيق:محمد أبو الفضل. الطبعة الأولي. (بيروت:دار المعرفة).
٥٤. السبكي.تاج الدين. (١٤٢٤). جمع الجوامع. د. ط. (بيروت: دار الكتب العلمية).
٥٥. سجلماسي، ابن زيدان. (١٤٢٩)إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس. الطبعة الأولي. (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية).

٥٦. السخاوي.شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد. د.ت. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع. د.ط. (بيروت:منشورات دار مكتبة الحياة)..
٥٧. السخاوي.شمس الدين. (١٤١٩). الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر. الطبعة الأولي. (بيروت: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع).
٥٨. سعيد.عبد الستار فتح الله. (١٩٩٢). المنهاج القرآني في التشريع. رسالة دكتوراه من الأزهر الشريف. د. ط. (القاهرة. مكتبة الحديث).
٥٩. سليمان الجمل. (١٣٠٣). الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية. د. ط. (مصر: المطبعة العامرة).
٦٠. السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين. (١٣٨٤). بغية الوعاة.د. ط. (لبنان.:المكتبة العصرية).
٦١. الشاطبي.إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي. (١٤١٧). الموافقات. المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان. الطبعة الأولي. (بيروت: دار ابن عفان).
٦٢. الشافعي. منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد أبو المظفر المروزي السمعاني التميمي الحنفي. (١٤١٨). تفسير القرآن. المحقق. ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم. الطبعة الثالثة. (الرياض: دار الوطن).
٦٣. شمس الدين.محمد بن محمد بن محمد أمير الحاج أبي عبد الله. (١٤٠٣). التقرير والتحبير. د. ط. (بيروت: دار الكتب العلمية).
٦٤. شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (١٤٠٢). لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية. الطبعة الثانية. (دمشق: مؤسسة الخافقين ومكتبتها).
٦٥. الشوكاني.محمد بن علي. د. ت. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع. د. ط. (بيروت: دار المعرفة بيروت).
٦٦. الأصفهاني.الحسين بن محمد أبي القاسم الراغب.(١٤١٢). المفردات في غريب القرآن. المحقق: صفوان عدنان الداودي. د. ط. (دمشق: دار القلم).
٦٧. ضميرية.عثمان جمعة.وعبد الله بن عبد الكريم العبادي.(١٤١٧). مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية. الطبعة الثانية. (الرياض: مكتبة السوادي للتوزيع).
٦٨. الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي. (١٤٢٠). جامع البيان في تأويل آي القرآن. المحقق: أحمد محمد شاكر. الطبعة الأولي. (بيروت: مؤسسة الرسالة).
٦٩. الطوسي. لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي (١٤١٣). المستصفي. تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي. الطبعة الأولي. (بيروت: دار الكتب العلمية).
٧٠. الطوسي.محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي أبو حامد. (١٤٠٦). جواهر القرآن. ط. د. بيروت دار إحياء العلوم بيروت.
٧١. ابن طولون. شمس الدين. (١٤١٨). مفاكهة الخلان في حوادث الزمان. الطبعة الثانية. (بيروت: دار الكتب العلمية).
٧٢. ابن عبد البر. يوسف بن عبد الله. (١٩٦٧). التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد. تحقيق: مصطفى العلوي، ومحمد البكري. الطبعة الثانية. (المغرب: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية).
٧٣. عبد السلام ابن سوده. (١٩٩٧). إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع. د. ط. (المغرب: دار الغرب الإسلامي).

٧٤. عبد ربه.السيد عبد الحافظ. د.ت.بحوث في قصص القرآن.د.ط.(بيروت:دار الكتاب اللبناني).
٧٥. العرجون. محمد الصادق. (١٩٨٩). القرآن الكريم هدايته وإعجازه في أقوال المفسرين. الطبعة الثانية. (بيروت:الدار الشامية للطباعة والنشر).
٧٦. العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران. د. ت. الفروق اللغوية. حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم. الطبعة الأولي. (القاهرة: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع).
٧٧. العقل.ناصر بن عبد الكريم. (١٤١٢). مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة. الطبعة الأولي. (الرياض:دار الوطن للنشر).
٧٨. العكري.عبد الحي أحمد بن محمد ابن العماد الحنبلي. (١٤٠٦). شذرات الذهب في أخبار من ذهب، حققه: محمود الأرناؤوط. خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط. الطبعة الأولي. (دمشق: دار ابن كثير).
٧٩. علاونة، أحمد. (١٤١٨). ذيل الأعلام. الطبعة الأولي. (جدة: دار المنارة للنشر والتوزيع).
٨٠. علي. لعلي عبد الخالق. (١٤٠٨). الفن القصصي طبيعته عناصره مصادره. الطبعة الأولى. (قطر:دار قطري بن الفجاءة).
٨١. العيدروس. محي الدين عبد القادر. (١٤٠٥). النور السافر عن أخبار القرن العاشر. الطبعة الأولي. (بيروت: دار الكتب العلمية).
٨٢. العيني.محمود بن أحمد بن موسي بن أحمد بن حسين. (١٤٢٠). البناية شرح الهداية. الطبعة الأولي. (بيروت:دار الكتب العلمية).
٨٣. الغزي. شمس الدين ابن الغزي. (١٤١١). ديوان الإسلام. د. ط. (بيروت: دار الكتب العلمية).
٨٤. الغزي. نجم الدين محمد بن محمد. (١٤١٨). الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة. المحقق: خليل المنصور. الطبعة الأولي. (بيروت: دار الكتب العلمية).
٨٥. الفارابي.أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري. (١٤٠٧). الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. الطبعة الرابعة. (بيروت: دار العلم للملايين).
٨٦. فارس. الحسين احمد. (٢٠٠١). مقاييس اللغة. الطبعه الثانية. (بيروت:دار الفكر).
٨٧. فاسي. علال. مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها. (١٩٩٣). دار الغرب الإسلامي، الطبعة الخامسة. (بيروت: دار القلم).
٨٨. فتح. محمد بن علي بن وهب ابن دقيق العيد تقي الدين. (١٤٠٧). أحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام. تحقيق: محمد الميساوي. الطبعة الاولي. (الأردن: دار النفائس).
٨٩. الفراء.زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي. د. ت. معاني القرآن. د. ط المحقق: أحمد يوسف النجاتي. محمد علي النجار. عبد الفتاح إسماعيل الشلبي. (مصر: دار المصرية للتأليف والترجمة).
٩٠. الفيروزآبادي، لمجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب. (١٤٢٦). القاموس المحيط تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة. الطبعة الثامنه. (بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع).
٩١. قاسم.عبد العزيز بن إبراهيم ابن القاسم. د. ت. الدليل إلي المتون العلمية. الطبعة الأولي. (الرياض: دار الصميعي).
٩٢. قباوة. فخر الدين. (٢٠٠٨). المفصل في تفسير القرآن الكريم المشهور بتفسير الجلالين.

الطبعة الأولي. (بيروت: مكتبة لبنان ناشرون).
٩٣. ابن قدامة،لأبي محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة. (١٤٢٣). روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على المذهب الإمام أحمدبن حنبل. الطبعة الثالثة. (بيروت: مؤسسة الريّان للطباعة والنشر والتوزيع).
٩٤. القزويني.أحمد بن فارس بن زكريا الرازي أبو الحسين ابن فارس. (١٤٠٦). مجمل اللغة دراسة. تحقيق. زهير عبد المحسن سلطان. د. ط.. (بيروت:مؤسسة الرسالة).
٩٥. قطان.خليل مناع. ت. د. تاريخ التشريع الإسلامي. الطبعة ٢٦. (بيروت:مكتبة وهبة).
٩٦. قطب.سيد. النقد الأدبي أصوله ومنهجه. (١٩٨٣). الطبعة الخامسة. (مصر: دار الشروق).
٩٧. القيرواني.أبو محمد مكي بن أبي طالب. (٢٠٠٨). تفسير الطبري الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه. المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي- جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي. الطبعة الأولى. (الشارقة: مجموعة بحوث الكتاب والسنة).
٩٨. ابن القيم الجوزية. محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن الجوزية. (١٤١٦). مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين. المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي. الطبعة الثانيه. (بيروت: دار الكتاب العربي).
٩٩. كحاله. عمر. د. ت. معجم المؤلفين. د. ط. (بيروت: مكتبة المثنى).
١٠٠. الكفوي. أيوب بن موسى الحسيني القريمي أبو البقاء الحنفي. د. ت. الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية). المحقق: عدنان درويش و محمد المصري. د. ط. (بيروت: مؤسسة الرسالة).
١٠١. ابن كثير. أبي الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري الدمشقي. (١٤٢٠). تفسير القرآن العظيم. تحقيق: سامي بن محمد سلامة. الطبعة الثانية.(الرياض:دار طيبة للنشر والتوزيع).
١٠٢. الماوردي.علي بن محمد بن محمد بن حبيب أبو الحسن البصري الشهير البغدادي. (١٤٢٧). الأحكام السلطانية. تحقيق:أحمد جاد. الطبعة الثانية. (دار الحديث: القاهرة).
١٠٣. المحاربي. أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي. (١٤٢٢).. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد. الطبعة الأولي. (بيروت: دار الكتب العلمية).
١٠٤. محفوظ،محمد. (١٩٩٤). تراجم المؤلفين التونسيين. الطبعة الثانية. (بيروت: دار الغرب الإسلامي بيروت).
١٠٥. المحلي، جلال الدين محمد بن أحمد، والسيوطي.جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. (٢٠٠٣). تفسير الجلالين الميسر. الطبعة الثالثة. (بيروت: دار الفكر).
١٠٦. ابن الشطي.محمد جميل. (١٤٠٦). مختصر طبقات الحنابلة. د. ط. (دمشق:دار الكتاب العربي).
١٠٧. محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني أبو عبد الرحمن. (١٤١٢). سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيىء في الأمة. الطبعة الثالثة. (الرياض: دار المعارف).
١٠٨. البغوي، محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء الشافعي البغوي.. (١٤١٧). معالم التنزيل في تفسير القرآن. المحقق: عبد الرزاق المهدي. د. ط. (بيروت: دار إحياء التراث).
١٠٩. مخدوم. مصطفي بن كرامة الله. (١٤٢٠). قواعد الوسائل في الشريعة الإسلامية دراسة

أصولية في ضوء المقاصد الشرعية. الطبعة الأولي. (الرياض:دار إشبيليا).

١١٠. مخلوف. محمد. (١٤٢٤). شجرة النور الزكية في طبقات المالكية. الطبعة الأولي. (بيروت: دار الكتب العلمية).

١١١. الآمدي. أبو القاسم الحسن بن بشر. (١٤١١). المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم.المحقق: الأستاذ الدكتور ف. كرنكو.د. ط. (بيروت: دار الجيل).

١١٢. المرادي،أبو الفضل. (١٤٠٨). سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر الطبعة الثالثة. (بيروت: دار البشائر الإسلامية).

١١٣. المرسي. أبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده. (١٤٢١). المحكم والمحيط الأعظم. المحقق: عبد الحميد هنداوي. الطبعة الأولي. (بيروت: دار الكتب العلمية).

١١٤. الملطي. زين الدين. (١٤٢٢). نيل الأمل في ذيل الدول. الطبعة الأولي. (بيروت. المكتبة العصرية للطباعة والنشر).

١١٥. الملكاوي. محمد أحمد محمد عبد القادر خليل. (١٤٠٥).. عقيدة التوحيد في القرآن الكريم. الطبعة الأولي. (دمشق: مكتبة دار الزمان).

١١٦. نصاري.لزكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا.و زين الدين أبي يحيى السنيكي. د. ت. غاية الوصول في شرح لب الأصول. الطبعة الثالثة. (مصر: دار الكتب العربية الكبرى)

١١٧. نصر، محمود بن حمزة. وأبو القاسم برهان الدين الكرماني. د. ت. غرائب التفسير وعجائب التأويل. د. ط. (جدة: دار القبلة للثقافة الإسلامية).

١١٨. نعمان.شادي بن محمد بن سالم. (١٤٣١). موسوعة العلامة الإمام مجدد العصر محمد ناصر الدين. د. ط. (صنعاء: مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة).

١١٩. النووي. شرف الدين. (١٤٢٥). منهاج الطالبين وعمدة المفتين في الفقه. الطبعة الأولي. (بيروت: دار الفكر).

١٢٠. النيسابوري.لأبي الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني. د. ط. مجمع الأمثال المحقق: محمد محيى الدين عبد الحميد. د. ت. (بيروت: دار المعرفة).

١٢١. النيسابوري، مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري أبو الحسن. (١٤١٢). المسند الصحيح المختصرمن السنن بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله علية وسلم. تحقيق: حسين سليم أسد الداراني. الطبعة الأولي. (الرياض: دار المغني للنشر والتوزيع).

١٢٢. هلال،محمد عيسى. (١٩٧٣). النقد الأدبي الحديث. الطبعة الثالثة. (بيروت: دار الثقافة).

١٢٣. يعقوب، إميل بديع يعقوب، وبسام بركة، ومي شيخاني. د. ت. قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية. د. ط. (بيروت:طبعة دار العلم للملايين).

١٢٤. اليوبي. محمد بن سعد بن أحمد بن مسعود. (١٤١٨). مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية. الطبعة الأولي. (دار الهجرة: المملكة العربية السعودية).

جَنَى الخُرْفَةِ فِي إبْطَالِ القَوْلِ بِالصَّرْفَةِ

د. عرفة بن طنطاوي*

بسم الله الرحمن الرحيم

سلم البحث في ١٤٤٢/١/١٣هـ اعتمد للنشر في ١٤٤٢/٢/١٥هـ

ملخص البحث:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه، وبعد: فهذا بحث لطيف مختصر، سعي فيه الباحث في حدود قدرة البشر للذب عن حياض الدين، والدفاع عن القرآن الكريم- كلام رب العالمين، ووحيه المبين-، المعجز بلفظه وأسلوبه، الذي تحدَّى به اللهُ الإنسَ والجنَّ أن يأتوا بمثله فعجزوا مجتمعين، وقد وسمه بـ "جَنَى الخُرْفَةِ فِي إبْطَالِ القَوَلِ بِالصَّرْفَةِ"(١). وتناول فيه الباحث دراسة "القول بالصَّرْفة" الذي انطلقت الشرارة الأولى بالقول بها من المدرسة العقلانية الأولى-المعتزلة، والذين استقوا فكرتها من الفلسفة الهندية التي دعا لها "براهما" في كتاب: "الفيدا". وقد عقد الباحثُ بحثَهُ في فصلين اثنين: أما الفصل الأول: فقد تعرَّض فيه الباحثُ لبيان مفهومِ الصَّرْفة في اللغة والاصطلاح ليجلِّي للقارئ معناها ويبين له فحوها. ثم عرَّج الباحثُ بعدها على بيان المعنى العام المقصود بالصَّرْفة- إجمالًا وتفصيلًا- عند القائلين بها، فضمَّن بذلك إيضاح المقصود العام للصَّرْفة من جهتين: من جهة:المعنى اللغوي والاصطلاحي-، ومن جهة: مقصد القائلين بالصَّرْفة وماذا يعنون بها، حتى تتضحَ الصورة ويتجلَّى معناها لدى القارئ الكريم. وأما الفصل الثاني: فقد تعرَّض فيه الباحثُ لعرض القولِ بالصَّرْفةِ ومناقشته- وتفنيده، فبين فيه المصدر الأول لفكرة القولِ بالصَّرْفة، ثم عرَّج على وفودها ومصدر تلقِّيها والترويج لها، ثم صدَّر ما يراه وزيَّله بأقوال العلماء الذين أثبتوا تلقي "النَّظام" لفكرة القول بالصَّرْفة. ولقد قدَّم الباحثُ تعريفًا موجزًا عرَّف فيه بـ"المعتزلة" ونشأتها وعقيدتها ومنهجها وأبرز فرقها ورؤوسهم، ثم تناول بيان أبرز أقوال القائلين بالصَّرْفة، سواء كانوا من المعتزلة أو من غيرهم، فبين وجلَّى أمرَ أول من قال بالصَّرْفَةِ من المعتزلة- ألا وهو "النظّام"-، ثم ذكر من تابعه على هذا القول من أفراخ المعتزلة، ثم بيَّن بعد ذلك من قال بالصَّرْفة من الأشاعرة وغيرهم، ثم أفرد مبحثًا خاصة بالقائلين بالصَّرْفَةِ من الشيعة الإمامية، ثم ختم هذا المبحث الهام بخلاصة القول بالصَّرْفَةِ. ثم ختم الباحث هذا الفصل بردِّ شُبهةِ القولِ بالصَّرْفَةِ وبيان دلائل بطلانها بالحجج الواضحات الدامغات، مقرونة بالأدلة الشَّرعية

* أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد، بالجامعة الإسلامية والمعهد العالي للأئمة والخطباء- بمينيسوتا، والجامعة الإسلامية- ببروكسل.

النقلية، ومصحوبة بالبراهين العقلية المرعية، وزيَّل ذلك بأقوال العلماء الذين فنَّدوها وردُّوها بالحجة والبيان وواضح وساطع البرهان، ثم ختم بحثه بأهم النتائج التي توصلت إليها تلك الدراسة المختصرة.

Research Summary

Praise be to Allah, prayer and peace be upon the Messenger of Allah and allies

Thereafter: This is an essay on "PICKING UP THE FRUITS IN NULLIFYING THE SAYING (of) AVERTION", and it is a pleasant, brief study, in which the researcher sought within the limits of human ability to defend the Islamic religion, and the Holy Qur'an - the word of the Lord of the worlds, and its clear revelation - that is miraculous with the method, which Allah challenged by Mankind and the Jinn to bring something like it, and they were together helpless. In it, the researcher dealt with the study of "The expression of averting" which the first expression was said the first rationalist school - Mu'tazila, and those who derived its idea from the Indian philosophy called for by Brahma in the book: "The Veda". The researcher conducted his research in two chapters: As for the first chapter, in it, the researcher presented an explanation of the concept of Averting in language and idiom in order to clarify and make to the reader the meaning clear.Then the researcher turned to a statement of the general meaning intended to INVERTION - in general and in detail - according to those who said it, so he included in this clarification of the general purpose of INVERTING from two sides: On the one hand: the linguistic and idiomatic meaning - and on the other hand: the purpose of those who say INVERTING and what they mean by it, so that the image becomes clear and its meaning becomes clear to the noble reader. With regards to the second chapter: In it, the researcher was exposed to presenting and discussing the saying in INVERTING and refuting it. In it, he showed the first source of the idea of INVERSION, then he came across its delegations and the source of its reception and promotion. Then he issued what he saw and dissolved it with the sayings of scholars who have proven that the "system" has received the idea of INVERSION.

The researcher gave a brief definition in which he defined the Mu'tazila, its origin, creed, and methodology, its most prominent groups and their heads, then addressed the most prominent sayings of those who say the INVERTING, whether they were from the Mu'tazila or others. Those who followed him on this saying were from among the Mu'tazila chicks, then he clarified after that who said INVERTING from the Ash'ari and others, then he devoted a study to those who say INVERTING among the Imami Shiites, then he concluded this important study with a summary of the saying of morphology. Then the researcher concluded this chapter by rejecting the suspicion of the saying in INVERSION and stating the evidence of its invalidity with the clear arguments and stamps, coupled with the legal and transitional evidence, and accompanied by the established rational proofs, and this was removed by the sayings of the scholars who refuted it and responded with the argument and the statement and a clear and bright proof, then he concluded his research with the most important results that the study reached .

دِيْباجةُ البحث:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ (الكهف:١). فبهر إعجازه الذاتي عقول أولي الألباب والنهى، وسلب ببلاغته فهوم أولي الفهم والأبصار فعلموا أن إعجازه ليس له منتهى، لأنه ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (فصلت: من آية: ٤٢). وذلك لِما حوته آياته من إعجاز وفصاحة وبيان، فهدى الله برحمته به من اصطفاه من عباده وفضله، وأضل عنه أهل الشقاء بقسطه وعدله، فأقر أهل الإيمان بإعجازه الظاهر للعيان، وصرف الله أهل الشقاء عن الإقرار بإعجازه، وقد قالوا بإمكان العرب أن يأتوا بمثله لولا أنْ صرفهم عن ذلك الملك الديان، فأخرسهم الله بقوله: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (الإسراء: ٨٨). فكانت تلك الآية من الحجج الدامغة وساطع البرهان. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له في ملك ولا معقب له في أمره، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان. أما بعد. فهذا بحث لطيف مختصر، جمعه كاتبُهُ دفاعًا عن حياض كلام رب البشر، وقد وسمه بـ "جَنَى الخُرْفَةِ في إبْطَالِ القولِ بالصَّرْفة" راجيًا أن يجد بغيته فيه كل معتبر.

وقد ضمَّنه خطة بحث مكونة من فصلين، وكل فصل مكون من مباحث، ويندرج تحت كل مبحث عدة مطالب، وقد بين فيه الباحث ما يلي: أهمية موضوع البحث. أهم الدراسات السابقة وأبرزها. أسباب ودواعي اختيار موضوع البحث. مشكلة البحث وأهدافه. منهجية البحث. خاتمة البحث، ببيان أهم نتائجه.

وخطة البحث مكونة من فصلين على النحو التالي:

الفصل الأول: بيان مفهوم الصَّرْفة، وفيه مبحثان.

المبحث الأول: مفهوم الصَّرْفة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم الصَّرْفة في اللغة.

المطلب الثاني: مفهوم الصَّرْفة في الاصطلاح.

المبحث الثاني: بيان المعنى العام المقصود بالصَّرْفة- إجمالًا وتفصيلًا-وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بيان معاني الصَّرْفة إجمالًا

المطلب الثاني: مقاصد للقائلين بالصَّرْفة تفصيلًا

الفصل الثاني: القول بالصَّرْفة، (عرض- ومناقشة- وتفنيد)، وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: مصدر القول بالصَّرْفة، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: المصدر الأول لفكرة القول بالصَّرْفة

المطلب الثاني: وفود القول بالصَّرْفة، ومصدر تلقيها والترويج لها
المطلب الثالث: أقوال العلماء في إثبات تلقي النَّظام لفكرة القول بالصَّرْفة
المبحث الثاني: أبرز أقوال القائلين بالصَّرْفة من المعتزلة وغيرهم، وفيه خمسة مطالب:
المطلب الأول: أول من قال بالصَّرْفَةِ من المعتزلة
المطلب الثاني: القائلون بالصَّرْفَةِ من المعتزلة غير النظّام
المطلب الثالث: القائلون بالصَّرْفَةِ من غير المعتزلة، من الأشاعرة وغيرهم.
المطلب الرابع: القائلون بالصَّرْفَةِ من الشيعة الإمامية
المطلب الخامس: خلاصة القول بالصَّرْفَةِ
المبحث الثالث: ردُّ شُبهةِ القولِ بالصَّرْفَةِ وبيان بطلانها، وفيه ثلاثة مطالب:
المطلب الأول: الرد على القائلين بالصَّرْفَةِ وبيان دلائل بطلانها
المطلب الثاني: أقوال العلماء في رد القول بالصَّرْفَةِ وبيان بطلانها
المطلب الثالث: أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

منهجية البحث

أولًا: أهمية موضوع البحث، ونختصره في النقاط التالية:

١- إنما تكمن أهمية هذا البحث في شرف متعلقة، ألا وهو "القرآن الكريم"، لأن شرف العلم من شرف المعلوم.

٢- وإنما ترجع أهمية بحث "القول بالصَّرْفة" لتعلقه بقضية عقدية عند أهل السنة والجماعة، ألا وهي قضية إعجاز القرآن المبنية على قضية وقوع التحدي بالقرآن.

٣- وقوع خلاف قديم في نشأة القول بالصَّرْفة ومصدرها الرئيس، ما بين الفلسفة الهندية عند" براهما" والمأخوذة من كتاب "الفيدا"، وما بين "النظّام" من المعتزلة.

٤- وقوع خلاف واسع في قبول "القول بالصَّرْفة" ورفضه، مما يحتاج لمثل هذه الدراسة والفصل فيها بالحجج الدامغة والبراهين الساطعة على رفضه ورده وبيان بطلانه.

٥- وقوع خلاف وتردد عند القائلين بالصَّرْفة أنفسهم، فمنهم القائل بأن الصرفة كانت بسلب قدرة العرب على الإتيان بمثل القرآن، ومنهم القائل بأن الله سلبهم العلوم التي يمكنهم الإتيان بمثلها، ومنهم القائل بأن الله صرفهم عن الإتيان بمثلها وسلب إرادتهم فلم يخطر لهم ببال أن يأتوا بمثله.

ثانيًا: أهم الدراسات السابقة وأبرزها

لقد صنف أهل العلم قديمًا وحديثًا في مبحث "القول بالصَّرْفة"، وهم في ذلك ما بين مؤيد، ومعارض، ومن هذه المصنفات ما أُفْرِد له بالتصنيف، ومنها ما هو

موجود في ثنايا بعض تلك الكتب، وإن كثيرًا من المتأخرين من يعزوا لتلك المصنفات التي قال مصنفوها بـ "القول بالصَّرْفة "، ولاسيما فيما له تعلقه بموضوع الصَّرْفة ككتب الإعجاز، وما كُتِب كذلك في علم البلاغة لتعلقه بنفس الموضوع.

ومن أبرز ما صُنِفَ في ذلك في حدود بحثنا الضيق ما يلي:

أ- دراسات الرافضة:

١- كتاب: "أوائل المقالات" للشيخ المفيد، وهو أبو عبد الله، محمد بن محمد بن النعمان، البغدادي العكبري، رئيس المذهب الشيعي الإمامي في وقته: (ت: ٣٣٨هـ).

٢- كتاب: "الموضح من جهة إعجاز القرآن"، لعلي بن الحسين المعروف بالشريف المرتضى(على بن الحسين بن موسى بن محمد) (ت:٣٥٥هـ) نقله عنه الطوسي(نصير الدين محمد بن محمد بن الحسن) (ت: ٣٨٥: هـ)، وقد صرح بذلك السبحاني في "الإلهيات".

٣- شرح كتاب: "جمل العلم والعمل" للطوسي: نصر الدين محمد بن محمد بن الحسن(ت: ٣٨٥هـ)، وأصل الكتاب للشريف المرتضى، والشرح للطوسي، ولكن المرتضى تراجع عن القول بالصرفة صراحة في كتاب (الاقتصاد).

٤- كتاب: "سر الفصاحة"، لابن سنان الخفاجي (ت: ٤٦٦هـ) عبد الله بن محمد بن سعيد الخفاجي الشاعر الأديب الشيعي في كتابه الشهير، وكتابه يُعد من الكتب المعدودة في البلاغة، وقد ألفه على طريقة الأدباء.

٥- حقيقة القول بالصَّرْفة في الإعجاز القرآني، محمد هادي معرفة(من معاصري الرافضة)، وهو محمد هادي بن علي بن الميرزا محمد علي معرفة(١٩٣٠م- كربلاء- ٢٠٠٦م- قم)، مؤسّسة النّشر الإسلامي، التّابعة لجماعة المدرّسين بقم،ط١٤٢٨،٦هـ.

ب- دراسات عامة لعموم الباحثين المعاصرين:

١- الصَّرْفة دلالتها لدى القائلين بها وردود المعارضين لها د. سامي عطا الجيتاوي- منشور عن دنيا الوطن، بتاريخ: ٢٠٠٨/٥/١٧م.

٢- القول بالصَّرْفة في إعجاز القرآن الكريم، إبراهيم بن منصور التركي، بحث منشور على الشبكة بصيغة: (بي دي إف) (د. ت)..

٣-المتهمون بالصَّرْفة (دراسة تحليلية نقدية) محسن الخالدي، قسم أصول الدين، كلية الشريعة، جامعة النجاح الوطنية،، نابلس، فلسطين.، ٢٠١٠/٣/٢٢م.

٤- الصَّرْفة "معانيها والقائلون بها: دراسة استقرائية نقدية"، د. عبد الله بن سالم بن حمد الهنائي، قسم العلوم الإسلامية -كلية التربية- جامعة السلطان قابوس- سلطنة

عمان،٢٠١٩م.

٥-القول بالصَّرْفة في إعجاز القرآن-عرض ونقد- د. عبد الرحمن بن معاضة الشهري، ط٢، ١٤٣٢هـ، دار ابن الجوزي-الدمام- المملكة العربية السعودية.

٦- الصَّرْفة ونشأتها بين مؤيد ومعارض، محمد فقهاء، كتاب الألوكة: ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م. عدد الأجزاء١. (د. ت).

ج- مصنفات تضمنت وتناولت مبحث القول بالصَّرْفة

١- المعجزة الكبرى-القرآن- أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ)- دار الفكر العربي بالقاهرة، عدد الأجزاء١. (د. ت)

٢- إعجاز القرآن، مصطفى صادق الرافعي، طبع المقتطف سنة ١٩٢٨م

٣- إعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة، منير سلطان، الناشر: منشأة المعارف – الإسكندرية، الطبعة: الثالثة /١٩٨٦م، سلسلة، كتب الدراسات القرآنية. عدد الأجزاء١.

٤- الإعجاز البياني: د. محمد محمد أبو موسى، ط٢. مكتبة وهبة: ١٤١٨هـ.

٥- فكرة إعجاز القرآن منذ البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر مع نقد وتعليق، نعيم الحمصي: نسخة بصيغة: (بي دي إف) (د. ت).

ثالثًا: أسباب ودواعي اختيار موضوع البحث

إن التخبط في موضوع "القول بالصَّرْفة" ورد القول بأن إعجاز القرآن ليس بإعجاز ذاتي، إنما هو إعجاز خارجي ناشئ عن "الصَّرْفة"، هو السبب الرئيس في اختيار موضوع البحث ومدارسته ومناقشته.

ويتركز ذلك الاختيار لسببين رئيسين:

السبب الأول: الانتصار لكتاب الله تعالى والذب عن حياضه.

السبب الثاني: معرفة كنه وحقيقة "القول بالصَّرْفة" ومصدرها وردها بالحجة والبرهان، وبيان دلائل الكتاب والسنة وكلام أئمة أهل السنة على الإعجاز الذاتي للقرآن.

رابعًا: مشكلة البحث وأهدافه

إن تسرب فكرة "القول بالصرفة" عن طريق الفلسفة الهندية القديمة واستقاء تلك الفكرة من كتاب الفيدا، وتسلل تلك الفكرة للمدرسة العقلانية الأولى "المعتزلة" ثم نشرها بين المسلمين وحدوث رواج كبير لها فتلقفتها عقول أهل الإعجاب بكل جديد، من هنا نشأ الخلاف بين العلماء قديمًا وحديثًا حول قبول "القول بالصَّرْفة" أو ردِّها، ومن هنا كان لزامًا من عرض تلك الفكرة وبيان نشأتها وأسباب انتشارها ورواجها، وعرض أقول العلماء القائلين بها والرادِّين لها ومناقشتها وبيان حجج كل فريق، والرد

عليها بالأدلة النقلية والعقلية وما يمليه العقل والنظر الصحيح المبني على أصول الشريعة وعموم الأدلة الشرعية، ثم ختم البحث بالقول الصحيح، ألا وهو رد "القول بالصَّرْفة".

خامسًا: منهجية البحث:

١- إن الإحاطة بكل ما دونه القائلون بالصرفة والرادِّين لها أمر يصعب جمع شمله وقد بعثر في مصنفات شتى، بل هو شبيه بالمحال، لذا فقد سُلِط الضوء هنا على أبرز تلك المصنفات وعلى أشهر أقوال العلماء فيها.

٢- ولقد عرف الباحث الصَّرْفة وبين مصدرها وزيل ذلك بأقوال العلماء قديمًا وحديثًا.

٣- عرض الباحث لأشهر الأقوال الواردة في "الصَّرْفة" وعزاها لقائليها في مصادرها الأصلية –في الأغلب والأعم-، ثم قام بمناقشتها ومدارستها –عرضًا، ونقدًا، وتحليلًا، وترجيحًا.

ولذا فإن الباحث قد سلك مناهج عدة في تناول بحثه منها أبينها ما يلي:

أ- المنهج الاستقرائي: وذلك باستقراء ما سطره أئمة البلاغة وما دونوه عن إعجاز القرن الكريم، وتتبع أقوال القائلين بـ "القول بالصَّرْفة" في مظانها، ثم عقد مقارنة بين أقوال أئمة أهل السنة النافين لـ"القول بالصَّرْفة"، وبين أقوال المعتزلة ومن سلك سبيلهم من الرافضة، وبعض الأشاعرة ومن نحى نحوهم في الانتصار لل "القول بالصَّرْفة".

ب- المنهج النقدي: فبعد عرض الباحث لأقوال القائلين بـ "القول بالصَّرْفة"، نقدها وفندها بواضح الأدلة وساطع البراهين.

ج- المنهج التحليلي: فقد قام الباحث بتحليل تلك الأقوال ومناقشتها ورد الأمور إلى نصابها بالردود المقنعة والأجوبة المسكتة.

٤- انتصر الباحث للقول الحق في موضوع البحث ألا وهو رد "القول بالصَّرْفة". وبطلانه

سادسًا: خاتمة البحث، وبيان أهم النتائج التي توصلت لها تلك الدراسة المختصرة.

تمهيد: في وقفة مع مناقشة القول بالصَّرْفة:

نقول: إن البشر عجزوا ما استطاعوا أن يعارضوا هذا القرآن، ولكن هذا العجز ليس كما يقول المعتزلة إن الله صرفهم عن معارضته، وهذه عقيدة مشهورة قال بها المعتزلة يقال لها الصَّرْفة، يقولون إن الله –عز وجل- صرف الناس عن معارضة القرآن فعجزوا، صرف هممهم ودواعيهم فما استطاعوا، لأنه سبحانه صرفهم فزعموا أن الإعجاز إنما هو أن الله صرفهم لا أن القرآن معجز بنفسه. ولهذا اشتغل علماء

السنة منذ أن ظهرت هذه البدعة وهذه العقيدة الفاسدة الباطلة بالرد عليها، لأن عقيدة الصَّرْفة عقيدة باطلة ونحن نقول كما قال أهل السنة القرآن لفظًا ومعنى هو دليل الإعجاز وهو دليل التحدي. فالقول بهذه العقيدة عقيدة الصَّرْفة يعني أن القرآن في ذاته ليس فيه فضيلة في الامتياز ليس فيه فضيلة في التفوق، ولا شك أن هذا باطل بنصوص القرآن، لأن الله –عز وجل– أخبر في نصوص كثيرة من القرآن أنه تحدى العرب أن يأتوا بمثله ثم بإجماع الأمة على أن الإعجاز ذاتيٌ في القرآن غير منفك عنه بإجماعهم، لا كما تقول المعتزلة أن الإعجاز إنما هو في بالصَّرْفة، أي أن الله صرفهم فعجزوا، لا أن القرآن معجز بنفسه، إنما جعلوا الإعجاز في قدرة الله، فرجعت إلى صفة القدرة، التي هي أن الله بقدرته صرفهم فعجزوا عن أن يأتوا بمثله، وهذا من أبطل الباطل ترده النصوص الكثيرة. (٢)، ولقد سلك العلماء في بيان وجوه إعجاز القرآن مسالك عديدة، واتجهوا في البحث عنها وجهات مختلفة، وقرر جمهورهم أن القرآن الكريم معجز بذاته، لا لسبب خارج عنه، بينما قرر القائلون الصَّرْفة أن الاعجاز أمر خارج عن ذات القرآن، فكان هذا البحث لبيان مضمون القول الصَّرْفة، ودلالتها، وحجج القائلين بها وردود المعارضين لها. (٣) ولا شك في أن القول بالصَّرْفة قولٌ باطلٌ وفاسدٌ ويرد هذا القول الفاسد التحدي الوارد في غير ما موضع من كتاب الله ولاسيما قوله تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (٨٨)﴾ (الإسراء: ٨٨).

يقول الطبري: "يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِلَّذِينَ قَالُوا لَكَ: إِنَّا نَأْتِي بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ: لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ، لَا يَأْتُونَ أَبَدًا بِمِثْلِهِ، وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَوْنًا وَظَهْرًا. وَذُكِرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِسَبَبِ قَوْمٍ مِنَ الْيَهُودِ جَادَلُوهُ فِي الْقُرْآنِ، وَسَأَلُوهُ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ غَيْرِهِ شَاهِدَةٍ لَهُ عَلَى نُبُوَّتِهِ، لِأَنَّ مِثْلَ هَذَا الْقُرْآنِ بِهِمْ قُدْرَةٌ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِهِ".(٤) ولاشك في دلالة الآية على أن عجزهم قائم مع بقاء قدرتهم، ولو سلبوا تلك القدرة لم يبق هناك أي فائدة لاجتماعهم.

الفصل الأول
بيان مفهوم الصرْفة
المبحث الأول: مفهوم الصّرْفة
المطلب الأول
مفهوم الصّرفة في اللغة

فمن المناسب بمكان بيان معنى ومفهوم الصَّرْفة فى اللغة ودلالتها.

الصَّرْفة لغة: على وزن فَعلَة، بفتح الفاء واللام وسكون العين– رد الشيء عن

وجهه، يقال: صَرَفَهُ يَصْرِفهُ، صَرفًا، فانصرف، وصارف نفسه عن الشيء: صرفها عنه، قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ (التوبة: ١٢٧) فقوله:- (ثم انصرفوا...) أي: رجعوا عن المكان الذي استمعوا منه، وقيل:- انصرفوا عن العمل بشيء مما سمعوا، وقوله تعالى: ﴿صرف الله قلوبهم.. ﴾ أي: أضلهم الله مجازاة على فعلهم، وصرفت الرجل عني فانصرف).(٥) أي: صرف الله عن الخير والتوفيق والإيمان بالله ورسوله قلوبَ هؤلاء المنافقين(٦). ويأتي الصرف بمعاني أخرى كالتوبة والتطوع والقيمة والعدل والمثل والميل والنافلة(٧). فـ"أصلُ الصرفةِ من الفعلِ صرفَ، والصرفُ لغة هو ردُّ الشيءِ عن وجهِه".(٨) ويقول الخليل بن أحمد الفراهيدي: "الصَّرْفُ فَضْلُ الدِّرْهَم في القيمة وجَوْدةُ الفِضَّة وبيع الذَّهَبِ بالفضَّةِ ومنه الصَّيْرَفِيُّ لتَصريفه أحدهما بالآخَر".(٩). وقال الراغب الأصفهاني: "الصَّرْفُ: ردّ الشيء من حالة إلى حالة، أو إبداله بغيره، يقال: صَرَفْتُهُ فَانْصَرَفَ. قال تعالى: ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٢]، وقال تعالى: ﴿أَلا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾ (هود: ٨)، وقوله: ﴿ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ (التوبة: ١٢٧)، فيجوز أن يكون دعاء عليهم، وأن يكون ذلك إشارة إلى ما فعله بهم، وقوله تعالى: ﴿فَما تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلا نَصْرًا﴾ (الفرقان: ١٩)، أي: لا يقدرون أن يَصْرِفُوا عن أنفسهم العذاب، أو أن يصرفوا أنفسهم عن النّار. وقيل: أن يصرفوا الأمر من حالة إلى حالة في التّغيير، ومنه قول العرب: (لا يُقبل منه صَرْفٌ ولا عدل)، وقوله: ﴿وَإِذْ صَرَفْنا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِ﴾ [الأحقاف: ٢٩]، أي: أقبلنا بهم إليك وإلى الاستماع منك، والتَّصْرِيفُ كالصّرف إلّا في التّكثير، وأكثر ما يقال في صرف الشيء من حالة إلى حالة، ومن أمر إلى أمر. وتَصْرِيفُ الرّياح هو صرفها من حال إلى حال.(١٠). ويقول ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: "صرف الصاد والراء والفاء معظم بابه يدل على رجع الشيء، من ذلك صرفت القوم صرفًا وانصرفوا إذا رجعتهم فرجعوا".(١١) وقيل إن الصَّرْفة: "هي كوكب نير، وسمي هذا الكوكب بالصرفة لانصراف الحر عند طلوعه مع الفجر من المشرق وانصراف البرد إذا غرب مع الشمس، ويقال الصرفة ناب الدهر لأنها تفتر عن فصل الزمانين".(١٢). قال ابن قتيبة الدينوري: (ت:٢٧٦هـ)، "وسميت الصَّرْفَة لانصراف البرد وإقبال الحر(١٣) وقد جعلها العرب في أسجاعهم، كقولهم: إذا طلعت الصَّرْفة بكرت الخُرْفة وكثرت الطُّرْفة وهانت للضيف الكُلْفَة(١٤) وكقولهم أيضًا إذا طَلِعَت الصَّرْفَة احتَالَ كلُّ ذي حِرْفَة وقيل اخْتَالَ كلُّ ذِي خُرْفَة وجَفَرَ كلُّ ذي نُطْفَة وامْتِيزَ عن المياه زُلْفَة (١٥). وَالْعَرَبُ تَقُولُ: الصَّرْفَةُ نابُ الدَّهْرِ لأَنها تفْتَرُّ عَنِ الْبَرْدِ أَو عَنِ

الحَرّ فِي الْحَالَتَيْنِ؛ قَالَ ابْنُ كُناسةَ: سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لانْصراف الْبَرْدِ وَإِقْبَالِ الْحَرِّ، وَقَالَ ابْنُ بَرِّيٍّ: صَوَابُهُ أَن يُقَالَ سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لانْصراف الحرِّ وَإِقْبَالِ الْبَرْدِ. والصَّرْفةُ: خرَزَةٌ من الخرَز التي تُذْكر فِي الأُخَذِ(١٦)، قَالَ ابْنُ سِيدَهْ(١٧): يُسْتَعْطَفُ بِهَا الرِّجَالُ يُصْرَفون بِهَا عَنْ مَذاهِبهم وَوُجُوهِهِمْ.

والخلاصة مما جاء أنفًا من معاني يعود إلى معنى التبدل والتحول وانتقال شيء إلى شيء، أو من حال إلى حال. ([18]).

المطلب الثاني: مفهوم الصّرْفة في الاصطلاح

وبعد بيان مفهوم الصرفة في اللغة وبيان مدلولاتها، فمن المناسب كذلك بيان معناها في الاصطلاح ليكتمل معناها ويتضح فحواها ومبناها.

والصَّرْفة فى الاصطلاح تعنى:

١- **أن الله صرف همم العرب عن معارضة القرآن**، وسلب عقولهم عنها، وكانت فى مقدورهم، لكن عاقهم عنها أمر خارجي، فصار معجزة كسائر المعجزات، ولو لم يصرفهم عن ذلك لجاءوا بمثله.)([19])

٢- **وقيل تعني**: صرف الهمم عن المعارضة (٢٠).

٣- **وقيل تعني**: صرف اللهِ همَ العرب عن معارضة القرآن (٢١).

وهي كلها بمعنى واحد ألا وهو أن الصَّرْفة تعني: أن معارضة العرب للقرآن كانت ممكنة وهي بمقدورهم، غير أن الله تعالى صرف هممهم عنها بقدرته. ولا شك أن القول بالصَّرْفة كلام وباطل كما أسلفنا، ويلزم منه أن القرآن الكريم ليس بمعجز في حد ذاته، ويأتي معنا بيان ذلك في محل بحثه بشيء من التفصيل والإيضاح والبيان.

المبحث الثاني

بيان المعنى العام المقصود بالصّرفة -إجمالًا وتفصيلًا-

المطلب الأول: بيان معاني الصّرْفة إجمالا

والصَّرْفة لها عند أصحابها معنيان:

المعنى الأول: أنَّ الله صرف العرب عن معارضة القرآن مع قدرتِهم عليها فكانَ هذا الصرفُ خارِقًا للعادة.

المعنى الثاني: أن الله سلبهم العلوم التي يحتاجُ إليها في المعارضة ليجيئوا بمثل القرآن".([22])

وفى نحو ذلك يقول ابن سنان الخفاجى الشيعى: (ت: ٤٦٦هـ): "إذا عدنا إلى التحقيق وجدنا إعجاز القرآن: صرف العرب عن معارضته، بأن سلبوا العلوم التي بها كانوا يتمكنون من المعارضة، وقت مرامهم ذلك".([23])

وبشيء من الإيضاح والبيان نبين المقصود بالصَّرْفة والتي تدور مادتها حول

إثبات التحدي بالقرآن بالحيلولة بينه وبين العرب في أن يأتوا بمثله.

وفي بيان معنى هذا الوجه من بالصَّرْفة يقول الرّماني: "أمّا الصَّرْفة فهي صرف الهمم عن المعارضة، وعلى ذلك كان يعتمد بعض أَهل العلم فى أنّ القرآن معجز من جهة صرف الهمم عن المعارضة، وذلك خارج عن العادة، كخروج سائر المعجزات الّتي دلّت على النبوة، وهذا عندنا أحد وجوه الإعجاز الّتي يظهر منها للعقول..."(٢٤)

المطلب الثاني: مقاصد للقائلين بـالصّرْفة تفصيلًا

وقد اختلف القائلون بالصَّرْفة في بيان حقيقة ما يقصدونه بها، فقالوا: إن الله سبحانه لأجل إثبات التحدي، حال بين فصحاء العرب وبلغائهم، وبين الإتيان بمثل القرآن **بأحد الأمور الثلاثة التالية:**

المقصد الأول: صرف دواعيهم وهممهم عن القيام بالمعارضة، فكلما هموا بها وجدوا فى أنفسهم صارفًا ودافعًا يصرفهم عن منازلته فى حلبة المعارضة، ولم يكن ذلك لعدم قدرتهم عن الانصداع لهذا الأمر، بل إن المقتضى فيهم كان تامًا، غير أن الدواعي والهمم صارت مصروفة عن الالتفات لهذا الأمر، بصرف الله قلوبهم عنه، ولولا ذلك لأتوا بمثله.

المقصد الثاني: إن الله سبحانه سلبهم العلوم التي كانت العرب مالكة لها ومتجهزة بها، وكانت كافية للإتيان بما يشاكل القرآن، ولولا هذا السلب لأتوا بمثله.. وممن تبنى هذا القول الشريف المرتضى الشيعي الرافضي(ت:٤٦٣هـ)، وهو المتهم بوضع كتاب(نهج البلاغة) المنسوب لأمير المؤمنين على بن أبي طالب ﷺ، حيث يقول: "اللهَ تعالى سلبهُمُ العلومَ التي يُحتاجُ إليها في مُعارضَةِ القرآنِ والإتيانِ بمثلِهِ".(٢٥) وقد تابع الشريف المرتضي على هذا القول ابنُ سنان الخفاجي: (ت: ٤٦٦هـ)، وقد مر معنا آنفًا قوله فى الصَّرْفة.

المقصد الثالث: إنهم كانوا قادرين على المعارضة، ومجهزين بالعلوم اللازمة لها، ولكن الله منعهم بالإلجاء على جهة القسر من المعارضة، مع كونهم قادرين، فتقهقروا في حلبة المعارضة، لغلبة القوة الإلهية على قواهم. (٢٦) وسنبين أن الصَّرْفة بكل صورها غير مقبولة، لأنها تسلب الإعجاز الذاتي للقرآن، وأنها وِهمُ ذهب إليه خيال القائلين بها دون سند أو دليل.

وفي نحو ما سبق يجمل القرطبي القول فيقول: "إن بعض أصحاب الصَّرْفة زعموا أن العرب صرفوا عن القدرة على القرآن ولو تعرضوا له لعجزوا عنه،

وأن البعض الآخر زعموا أن العرب صرفوا عن التعرض للقرآن مع كونه في مقدورهم، ولو تعرضوا له لجاز أن يقدروا عليه، بمعنى أنهم لم يأتوا بمثله سابقًا، غير أنه لا يخرج عن حدود قدرتهم لولا أنه حيل بينهم وبين ممارسة ذلك الاقتدار".([٢٧])

الفصل الثاني

القول بالصّرْفة [عرض- ومناقشة- وتفنيد]

المبحث الأول: مصدر القول بالصّرْفة

المطلب الأول

المصدر الأول لفكرة القول بالصّرْفة

لقد أجمعت الأمة سلفًا وخلفًا على أن القرآن معجز بذاته، وأن إعجازه بذاته لا بسبب خارج عنه، وقد بذلوا مهجهم في بيان أوجه إعجازه. ومن ذهب إلى القول بالصَّرْفة أراد بذلك أن "إعجاز القرآن أمرًا خارجًا عنه". ويعزى القول بالصَّرْفة عند الباحثين إلى أنه من التيارات التي وفدت علينا من الخارج... وأن بعض فلاسفة المسلمين، وقفوا على أقوال البراهمة في كتابهم –الفيدا– (٢٨)،(٢٩) وهو يشتمل على مجموعة من الأشعار والآداب ليس في كلام الناس ما يماثلها –في زعمهم–، ويقول جمهور علمائهم:– إن البشر يعجزون عن أن يأتوا بمثله..، لأن –براهما– (٣٠) صرفهم عن أن يأتوا بمثلها.. وقد لاقى هذا الرأي انتقاضًا من أحد الباحثين. محتجًا بأن البراهمة لم يقولوا مثل أشعار الفيدا احترامًا لها، وليس بمقتضى التكوين، ثم إن كلام البراهمة فى الفيدا كان محل سخرية العقل الإسلامى، فلا مستنصر لهذا الرأي([٣١])، وكل هذا لا ينكر وجود التأثر، فالتأثر برأي لا يوجب نقله كاملًا، كما أن السخرية بالبراهما قد تؤدي إلى تنزيل الصرف على القرآن، وإن كان من وجه مختلف لأنه الكتاب المعجز حقًا.([٣٢]) وفي نحو ذلك يقول أبو الريحان البيروني (ت:٤٣٠هـ) في كتابه –ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة– ما نصه: "إن خاصتهم يقولون إن في مقدورهم أن يأتوا بأمثالها، ولكنهم ممنوعون عن ذلك احترامًا لها، ولم يبين– البيروني وجه المنع، أهو منع تكليفي يسبقه الإيمان بهذه الكتب، وتكون دلائل وجوب الإيمان من نواح أخرى..؟ أم هو منع تكويني.. بمعنى: أن –براهما– صرفهم بمقتضى التكوين عن أن يأتوا بمثلها..؟ وهذا الأخير هو الظاهر، لأنه هو الذي يتفق مع قول جمهور علمائهم، وما اشتهروا به من أن القول بالصرفة نبع في واديهم...

المطلب الثاني: وفود القول بالصّرْفة، ومصدر تلقيها والترويج لها

وقد وفدت إلينا هذه الفكرة عندما ترجمة الفلسفة الهندية في عهد –أبي جعفر المنصور (وهو الخليفة الثاني من خلفاء بني العباس ت:١٥٦هـ)، فتلقف الذين يحبون

كل وافد من الأفكار، ويركنون إلى الاستغراب في أقوالهم، هذه الفكرة الغريبة الوافدة، واعتنقوا هذا القول وطبقوه على القرآن، وإن كان لا ينطبق، فقال قائلهم: إن العرب اذ عجزوا عن أن يأتوا بمثل القرآن، ما كان عجزهم لأمر ذاتي من ألفاظه، ومعانيه، ونسجه ونظمه، بل كان لأن الله تعالى صرفهم عن أن يأتوا بمثله..."(٣٣) فلا غرابة في انتقال قول –البراهمة– في كتابهم المقدس –الفيدا– إلى بعض المسلمين، عن طريق الذين يتلقفون كل وافد من الأفكار، وهي ليست أول وآخر فكرة انتقلت من الفكر البراهمي إلينا، يعرف ذلك كل من وقف على حقيقة ذلك الفكر. إن رواج فكرة –الصَّرْفة– يؤدي إلى أن القرآن الكريم ليس في درجة من الفصاحة والبلاغة تمنع محاكاته، وتعجز القدر البشرية عن أن تأتي بمثله، فالإعجاز القرآني عند القائلين –بالصَّرْفة– ليس من صفات القرآن الذاتية، وبالتالي ما دامت بلاغة القرآن لا تزيد على بلاغة سائر الناس، فمؤدى كلامهم: أن يكون القرآن من جنس... كلام البشر(٣٤).

وحول كيفية انتقال القول بالصرفة إلى رحاب المسلمين يوضح ويجلي ذلك الرافعي حيث يقول:(٣٥) "لما نجَمَت آراء المعتزلة بعد أن أقبل جماعة من شياطينها على دراسة كتب الفلسفة مما وقع إليهم عن اليونان وغيرهم نبغت لهم شؤون أخرى من الكلام، فمزجوا بين تلك الفلسفة على كونها نظرًا صرفًا، وبين الدين على كونه يقينًا محضًا... فذهب شيطانُ المتكلمين أبو إسحاق إبراهيم النَّظام(٣٦) إلى أن الإعجاز كان بالصَّرْفة، وهي أن الله صرف العرب عن معارضة القرآن مع قدرتهم عليها فكان هذا الصرف خارقًا للمادة (٣٧).

وقد تكلم عدد من الباحثين حول قضية نشأة القول بالصرفة وذكروا أقوالًا مفادها أنه لا علاقة بالبراهمة بهذا القول، ولا يوجد أحد من القدامى أشار أو نبه على ذلك الأمر. ومما ذكر في ذلك قول أحد الباحثين:"...ويبدو الرأي الثاني –أي أن هذا القول من بيئة العرب قولًا خالصًا لا من غيرهم– في نظري هو الأقرب للصواب، نظرًا لعدم ورود أي إشارة من العلماء القدامى الذين تحدّثوا عن هذه القضية تشير لا من قريب ولا من بعيد إلى كون الفكرة مستقاة من البراهمة أو من غيرهم".(٣٨).

المطلب الثالث: أقوال العلماء في إثبات تلقي النَّظام لفكرة القول بالصرفة

ويبدوا أن أصحاب هذا الرأي لم يقفوا على ما ذكره بعض المتقدمين، ونسوق بعض أقوالهم ليتبين ويتضح بالبرهان الساطع منشأ القول بالصَّرْفة ومصدر تلقيه الأول كان من البراهمة، وأن أصحاب هذا الرأي قد أصابوا الحق فيه ومن هذه الأقوال

١- قول أبي منصور البغدادي (ت:١٠٣٧هـ) حيث يقول عن النَّظام: "وأعجب – أي النَّظام- بقول البراهمة بإبطال النبوات ولم يجسر على إظهار هذا القول خوفًا من السيف فأنكر إعجاز القرآن في نظمه وأنكر ما روى في معجزات نبينا ﷺ"([٣٩])

٢- قول أبي المظفر الإسفراييني (٤٠) حيث يقول عن النَّظام: "كَانَ يصحب ملحدة الفلاسفة (٤١) وقال عنه أيضًا: وَمن فضائحه –النَّظام- قَوْله فِي الْقُرْآن أَنه لَا معْجزَة فِي نظمه وَكَانَ يُنكر سَائِر المعجزات مثل انشقاق الْقَمَر وَأَن كَانَ قد نطق بِهِ الْقُرْآن([٤٢]) فِي قَوْله ﴿اقْتَرَبت السَّاعَة وَانْشَقَّ الْقَمَر﴾(القمر:١) وَكَذَلِكَ كَانَ يُنكر تَسْبِيح الْحَصَى فِي يَده ونبوع المَاء من بَين أَصَابِعه وَكَانَ فِي الْبَاطِن يمِيل إِلَى مَذْهَب البراهمة الَّذين يُنكرُونَ جَمِيع الْأَنْبِيَاء فَتكلم بِهَذَيْنِ المذهبين اللَّذين يبطل أَحدهمَا حدث الْعَالم وَالْآخر يبطل ثُبُوت النُّبُوَّة وَكَانَ لَا يقدر على إِظْهَار مَا كَانَ يضمره من الْإِلْحَاد(٤٣).

٣- قول عضد الدين الإيجي ([٤٤]) حيث يقول عن النَّظام:"... النَّظام وهو من شياطين القدرية طالع كتب الفلاسفة وخلط كلامهم بكلام المعتزلة([٤٥]) وتابع عنه وعن أتباعه بتأثرهم في الفلاسفة وأنه مال في بعض المسائل إلى قول الطبيعيين، إلى أن قال: وقالوا نظم القرآن ليس بمعجز إنما المعجز إخباره بالغيب من الأمور السالفة والآتية، وصرف الله العرب عن الاهتمام بمعارضته حتى لو خلاهم لأمكنهم الإتيان بمثله بل بأفصح منه([٤٦]).

"وبعد هذه النقول يتبين لنا أصل موضوع الصَّرْفة، ومن ثم يتبين لنا كذلك أول من قال بها ممن ينتسب للمسلمين وروجها، فمصدرها البراهمة وأخذها النَّظام، والقدماء نسبوها له بشكل مستفيض، وعلى زعم أن النَّظام لم يقل بهذا لم يرد ولو نص واحد ينسب للنَّظام لا له ولا لتلامذته ولا لمخالفيه يقول بعكس ما نسب إليه من القول بالصَّرْفة، فلو وجد لسطر كما سطرت أقواله الأخرى، وكما ينقل عن الكثير من الأئمة أقوالهم، ولو كانت متعددة حتى ولو في المسألة الواحدة، فهناك الكثير من أراء ومسائل لعلماء نقلت إلينا آرائهم في المسألة الواحدة ربما أكثر من خمسة أراء، فإذا لم يوجد يبقى الرأي المنسوب إليه منصوب على قدميه، حتى يأتينا ما يخالفه أو يناقضه، أو ما يرده، وإلى ذلك الوقت سيبقى ما نسب إليه منسوب".([٤٧])

المبحث الثاني

أبرز أقوال القائلين بالصرفة من المعتزلة وغيرهم

وبين يدي هذا المبحث الهام جدير بنا أن نعرف بالمعتزلة ومنهجهم في

خطوات مختصرة جدًا على النحو التالي:

أولًا: التعريف بالمعتزلة: المعتزلة فرقة إسلامية نشأت في أواخر العصر الأموي وازدهرت في العصر العباسي، وقد اعتمدت على العقل المجرد في فهم العقيدة الإسلامية لتأثرها ببعض الفلسفات المستوردة مما أدى إلى انحرافها عن عقيدة أهل السنة والجماعة. وقد أطلق عليها أسماء مختلفة منها: المعتزلة والقدرية والعدلية وأهل العدل والتوحيد والمقتصدة والوعيدية. ([٤٨])

ثانيًا: منهجها: "وهي فرقة عقلانية كلامية فلسفية، تتكون من طوائف من أهل الكلام، الذين خلطوا بين الشرعيات والفلسفة والعقليات في كثير من مسائل العقيدة، وقد خرجت المعتزلة عن السنة والجماعة في مصادر التلقي ومناهج الاستدلال ومنهج تقرير العقيدة وفي أصول الاعتقاد".(٤٩)

ثالثًا: نشأتها: الواقع أن نشأة الاعتزال كانت ثمرة تطور تاريخي لمبادئ فكرية وعقدية وليدة النظر العقلي المجرد في النصوص الدينية، وقد نتج ذلك عن التأثر بالفلسفة اليونانية والهندية والعقائد اليهودية والنصرانية؛ فقبل بروز المعتزلة كفرقة فكرية على يد واصل بن عطاء كان هناك جدل ديني فكري بدأ بمقولات جدلية كانت هي الأسس الأولى للفكر المعتزلي، على أن هناك رواية ترجع الفكر المعتزلي في نفي الصفات إلى أصول يهودية فلسفية؛ فالجعد بن درهم أخذ فكره عن أبان بن سمعان، وأخذها أبان عن طالوت وأخذها طالوت عن خاله لبيد بن الأعصم اليهودي(٥٠). وقيل أيضًا: إن مناقشات الجهم بن صفوان مع فرقة السمنية(٥١) قد أدت إلى تشكيكه في دينه، وابتداعه لنفي الصفات، كما أن فكر يوحنا الدمشقي وأقواله تُعدُّ موردًا من موارد الفكر الاعتزالي؛ إذ إنه كان يقول بالأصلح، ونفي الصفات(٥٢) الأزلية وحرية الإرادة الإنسانية(٥٣).

رابعًا: بروزها: وقد برزت المعتزلة بعد ذلك كفرقة فكرية على يد واصل بن عطاء الذي كان تلميذًا للحسن البصري، وذلك عندما دخل رجل على الحسن البصري فقال: يا إمام الدين، لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفِّرون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم كفر يخرج به عن الملة، وهم وعيدية الخوارج، وجماعة يرجئون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم لا تضر مع الإيمان، بل العمل على مذهبهم ليس ركنًا من الإيمان، ولا يضر مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة، وهم مرجئة الأمة، فكيف تحكم لنا في ذلك اعتقادًا؟ فتفكر الحسن في ذلك وقبل أن يجيب قال واصل بن عطاء([٥٤]): أنا لا أقول إن صاحب الكبيرة مؤمن مطلقًا ولا كافر مطلقًا، بل هو في

منزلة بين المنزلتين، لا مؤمن ولا كافر. ثم قام واعتزل إلى أسطوانة من أسطوانات المسجد، يقرر ما أجاب على جماعة من أصحاب الحسن، فقال الحسن: اعتزل عنا واصل؛ فسمي هو وأصحابه معتزلة(٥٥). ولأجل هذا سمَّاهم المسلمون معتزلة لاعتزالهم قول الأمة بأسرها(٥٦). وكان علماء التابعين في ذلك العصر مع أكثر الأمة يقولون: إن صاحب الكبيرة من أمة الإسلام مؤمن؛ لما فيه من معرفته بالرسل والكتب المنزلة من الله تعالى، ولمعرفته بأن ما جاء من عند الله حق، ولكنه فاسق بكبيرته، وفسقه لا ينفي عنه اسم الإيمان والإسلام، وعلى هذا القول مضى سلف الأمة من الصحابة وأعلام التابعين.([٥٧])

.**خامسًا: انتشارها:** ولقد "انتشرت حركة الاعتزال في أنحاء الممالك الإسلامية واستقطبت شخصيات بارزة، أمثال: واصل بن عطاء، وعمرو بن عبيد، وأبي الهذيل العلاف، وإبراهيم النَّظام وغيرهم، وقد كان لهذه الشخصيات تأثير بعيد المدى في مختلف ميادين الحياة العقلية، فنظرية المعرفة عندهم كانت تستند على العقل، كونهم أطلقوا العنان للعقل في البحث في جميع المسائل من غير أن يحده أي حد، وجعلوا له الحق في أن يبحث في السماء، وفي الأرض، وفي ذات الله تعالى، وفي الإنسان، وفيما دق وجل." ([٥٨])

سادسًا: انقسامها: لقد انقسمت المعتزلة إلى فرق شتى، تسمى كل منها باسم زعيمها، ومن أبرز تلك الفرق:

أ- الواصلية: (أصحاب واصل بن عطاء المخزومي- مولاهم-) (ت: ١٣١هـ)

ب- النَّظامية: (أصحاب إبراهيم بن سيار النَّظام). (ت: ١٨٥هـ)

ج- الجاحظية: (أصحاب الجاحظ) أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب بن فزارة الليثي الكناني البصري (ت: ٢٥٥ هـ)

سابعًا: أصوله مذهبها: ورغم عن هذا الانقسام، إلا أن ثمة أصول خمسة ظلت تجمع فرق المعتزلة ألا وهي: التوحيد، العدل، الوعد، الوعيد، المنزلة بين المنزلتين، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وفي نحو ذلك يقول الخياط أحد كبرائهم في كتابه "الانتصار": "ليس يستحق أحد منهم اسم الاعتزال حتى يجمع القول بالأصول الخمسة: التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإذا كملت في الإنسان هذه الخصال الخمس، فهو معتزلي".([٥٩])

ثامنًا: أبرز أسباب توسع أفكارها عن الأصول الخمسة: إن المعتزلة كغيرها من الفرق بدأت بأفكار ومعتقدات مختصرة ومحدودة ومحصورة في أصولهم الخمسة التي

ذكرها الحياط آنفًا. ولكن تعمقهم وتوسعهم في بحثها والتنقيب عن شرح معانيها، فتفرع عن بحثهم وتنقيبهم هذا مسائل فرعية عدة منبثقة عن تلك الأصول الخمسة وعن غيرها أيضًا، وكان ذلك لأسباب عدة لعل من أبرزها.

أ- أنهم يتقيدوا بنصوص وحيي التنزيل "الكتاب والسنة"، واعتمدوا على العقل وبالغوا في ذلك حتى قدموه على النقل، مما كان له أعظم وأبلغ الأثر في وقوع الخلاف والاحتدام فيما بينهم البعض.

ب- أنهم انفتحوا على مطالعة ومدارسة كتب الفلسفة اليونانية، فقد استمدوا أفكارها منها ومزجوها وخلطوها بالعقيدة الإسلام الصحيحة المنبثقة من الوحي المنزل، فتشعبت بهم الأهواء بسبب سوء المصدر الفلسفي اليوناني وعدم لزومهم وتقيدهم بنصوص الكتاب والسنة، فنتج عن ذلك اختلاف في الآراء، وزاد بينهم الجدل العقيم، واشتد بينهم الحوار والتنازع والانقسام إلى فرق شتى أوصلها بعضهم إلى نيف وعشرين فرقة، وأصبح لكل فرقة منها رؤساؤها وآراؤها وأفكارها الخاصة بها.

وهذا أمر لا غرابة فيه، فالسنة تجمع والبدعة تفرق، فأهل الحق سُمُوا بـ "أهل السنة والجماعة" بسبب لزومهم السنة واجتماعهم عليها، وأهل الباطل سُمُوا بـ " أهل البدعة والاختلاف" بسبب تفرقهم وتنازعهم. نسأل الله تعالى الثبات على الإسلام والسنة والجماعة حتى نلقاه سبحانه، وحتى نرد حوض المعصوم ﷺ ونشرب منه شربة هنيئة لا نظمأ بعدها أبدًا يوم يقول لأهل البدع سحقًا سحقًا، فقد ثبت في الصحيحين من حديث سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ الساعدي رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "إِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ مَنْ مَرَّ عَلَيَّ شَرِبَ، وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا، لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي، ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ، فَأَقُولُ: إِنَّهُمْ مِنِّي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: سُحْقًا، سُحْقًا، لِمَنْ غَيَّرَ بَعْدِي".([٦٠]). يقول الإمام الشاطبي: (ت: ٧٩٠هـ) "ولقوله: (قد بدلوا بعدك)، ولو كان الكفر: لقال: "قد كفروا بعدك"، وأقرب ما يحمل عليه: تبديل السنة، وهو واقع على أهل البدع ومن قال: إنه النفاق: فذلك غير خارج عن مقصودنا؛ لأن أهل النفاق إنما أخذوا الشريعة تقيةً، لا تعبدًا، فوضعوها غير مواضعها، وهو عين الابتداع، ويجري هذا المجرى كل من اتخذ السنَّة والعمل بها حيلةً وذريعةً إلى نيل حطام الدنيا، لا على التعبد بها لله تعالى؛ لأنه تبديل لها، وإخراج لها عن وضعها الشرعي".([٦١])، قال النووي معلقًا على الحديث: (ت:٦٧٦هـ) "هذا مما اختلف العلماء في المراد به على أقوال:... والثالث: أن المراد به أصحاب المعاصي والكبائر الذين ماتوا على التوحيد، وأصحاب البدع الذين لم يخرجوا ببدعتهم

عن الإسلام".([٦٢])، قال القرطبي: (ت:٦٧١هـ) "قال علماؤنا رحمة الله عليهم أجمعين: فكلُّ مَن ارتد عن دين الله، أو أحدث فيه ما لا يرضاه الله، ولم يأذن به الله: فهو من المطرودين عن الحوض، المبعدين عنه، وأشدهم طردًا: مَن خالف جماعة المسلمين، وفارق سبيلهم، كالخوارج على اختلاف فرقها، والروافض على تباين ضلالها، والمعتزلة على أصناف أهوائها، فهؤلاء كلهم مبدِّلون، وكذلك الظلمة المسرفون في الجور، والظلم، وتطميس الحق، وقتل أهله، وإذلالهم، والمعلنون بالكبائر، المستخفون بالمعاصي، وجماعة أهل الزيغ، والأهواء والبدع".([٦٣])

المطلب الأول: أول من قال بالصَّرْفَةِ من المعتزلة

كان إبراهيم النَّظام الذي هو أحد رؤوس هؤلاء المعتزلة، هو أول من قال بالصَّرْفَةِ منهم وفي ذلك يقول عنه محمد أبو زهرة: "فهو أول من جاهر به، وأعلنه ودعا إليه، ولاحى عنه، كأنه مسألة من مسائل علم الكلام، ونقول إنه أول من جهر به، ولا نقول إنه أول من فكر فيه، أو أول من ابتدأ القول به، لأن الأفكار لا يعرف ابتداؤها وهي تتكون في خلاياها، بل لا تعرف إلا بعد أن تظهر، ويجاهر بها. جاهر بها، وكان ذا فصح وبيان وحجة وبرهان، وإن لم يكن مستقيم الفكر، بل إنه يظن الظن فيحسبه يقينًا، ثم يبني عليه ويقايس، ويصحح القياس والتنظير بين الأشياء، بينما الأصل ذاته يحتاج إلى قياس صحيح". ([٦٤]).

يقول عنه تلميذهُ الجاحظ: (ت: ٢٥٥هـ) "وَإنما كان عيبُهُ الذي لا يفارقه سوءَ ظنِّهِ وجَودةَ قياسِهِ عَلَى العارض والخاطر،.. كان يظنُّ ثمَّ يقيس عليه وينسى أنَّ بدءَ أمرِهِ كان ظَنًّا فإذا أتقنَ ذلك وأيقنَ جَزَم عليهِ".([٦٥]) "ولم يكن رد الجاحظ على شيخه رد المجادل المحاور، ولكنه كان بالعمل، فقد كان أول من كتب في إعجاز القرآن من الناحية البيانية؛ ليكون الرد على الصرفة ببيان الإعجاز الذاتي". ([٦٦])

وليتجلى الأمر بصورة أوضح، فقد "كان النَّظام –إبراهيم بن سيار بن هانئ النظام من الموالي، وإليه تنتسب الفرقة النظامية([٦٧]) –أول من اقترن اسم الصَّرْفَةِ باسمه، واشتهر أنه أول المنادين بها، وقيل له –النَّظام– لأنه كان ينظم الخرز في سوق البصرة، تتلمذ على خاله أبي الهذيل العلاف في الاعتزال، ثم انفرد عنه وكون مذهبًا خاصًا به، مات في ريعان شبابه (سنة٢٣١ للهجرة)عن ست وثلاثين عامًا، وكان أستاذ –الجاحظ– ([٦٨])، ترجم له أبو منصور البغدادي –في كتابه– الفرق بين الفرق– عند ذكره الفرقة النظامية فقال:(عاشر النَّظام في شبابه قومًا من الثنوية([٦٩]) وقومًا من السمنية ([٧٠]) القائلين بتكافؤ الأدلة، وخالط قومًا من ملاحدة الفلاسفة، ثم

دون مذاهب الثنوية، وبدع الفلاسفة، وشبه الملاحدة في دين الإسلام، وأعجب بقول البراهمة بإبطال النبوات، ولم يجسر على إظهار هذا القول خوفًا من السيف، فأنكر إعجاز القرآن في نظمه، وأنكر ما روي في معجزات نبينا ﷺ من انشقاق القمر، وتسبيح الحصى في يده، ونبع الماء من بين أصابعه، ليتوصل بإنكار معجزات نبينا ﷺ إلى إنكار نبوته، ثم أنه استثقل أحكام شريعة الإسلام في فروعها، ولم يجسر على إظهار رفعها، فأبطل الطرق الدالة عليها، فأنكر لأجل ذلك حجية الإجماع، وحجية القياس في الفروع الشرعية، وأنكر الحجة من الأخبار التي توجب العلم الضروري ثم إنه ذكر الصحابة بما يقرؤها غدًا في صحيفة مخازيه، وطعن في فتاوى أعلام الصحابة ﷺ ثم قال:والفضيحة الخامسة عشرة من فضائحه- أي النَّظام-: أن نظم القرآن وحسن تأليف كلماته، ليست بمعجزة للنبي ﷺ، ولا دالة على صدقه في دعواه النبوة، وإنما وجه الدلالة منه على صدقه، ما فيه من الإخبار بالغيوب، فأما نظم القرآن وحسن تأليف آياته، فان العباد قادرون على مثله، وعلى ما هو أحسن منه في النظم والتأليف"([٧١]). وقد تبنت الفرقة -النَّظامية- بالإضافة إلى ما تقدم من مخالفات لجماعة المسلمين، آراء شاذة في العقائد منها: أن الله لا يقدر أن يفعل بعباده في الدنيا ما لا صلاح فيه، ولا أن يزيد وينقص من عقاب وثواب، والتواتر يحتمل الكذب، وأوجبوا النص على الإمام، وثبوت الإمامة لعلي رضي الله عنه لكن عمر رضي الله عنه كتمه..([٧٢]).

وقال الشهرستاني في الملل والنحل: (ت:٥٤٨هـ): "والنظَّامية: أصحاب ابراهيم بن سيار بن هانئ النظَّام.، وإبراهيم النظَّام قد طالع كثيرًا من كتب الفلاسفة، وخلط كلامهم بكلام المعتزلة، وانفرد عن أصحابه بمسائل منها: قوله في إعجاز القرآن أنه من حيث إخباره عن الأمور الماضية والآتية، ومن جهة صرف الدواعي عن المعارضة، ومنع العرب من الاهتمام به جبرًا وتعجيزًا، حتى لو خلاهم لكانوا قادرين على أن يأتوا بسورة من مثله، بلاغة، وفصاحة، ونظمًا..."([٧٣]) ففي رأي النَّظام إذن: أن الله صرف أوهام العرب عن معارضة القرآن، فانصرفوا عن ذلك، وتعذرت عليهم المعارضة، لا لأن القرآن في حد ذاته خارج عن طوق البشر، أو خارقًا لمقدرتهم، ومألوف عادتهم، فهو في ذلك لا يتفوق على البليغ الفصيح من كلام العرب، ولا تكاد تكون له مزية أو فضل في ذلك، ولو ترك لهم المجال، وأفسح أمامهم الطريق، لأتوا بمثل القرآن فصاحة، وبلاغة، وحسن نظم، وتأليف...(٧٤)

المطلب الثاني: القائلون بالصرفة من المعتزلة غير "النظّام"

ليس القول بالصرفة مقصورًا على النظّام كما يظنه البعض بل لقد سلك هذا الطريق أقوام كُثُر سواء من المعتزلة أو من غيرهم كذلك. وإن كان النظّام أبرز من قال بالصرفة من المعتزلة، فقد تابعه عليه كذلك أقوام وكان من أبرز هؤلاء كل من:

١- **عيسى بن صبح المكنى بأبي موسى المُزدار** (ت: ٢٢٦هـ): كان معروفًا بالناسك وقد تلمذ لبشر بن المعتمر وأخذ العلم عنه وتزهد ويسمى راهب المعتزلة.(٧٥)، وقد تلمذ له أيضًا الجعفران، **وهما:**

أ- جعفر بن حرب الثقفي المعتزلي العابد أبو الفضل: (ت: ٢٣٤هـ) من نساك القوم وله تصانيف.

ب- وجعفر بن مبشر الهمداني المعتزلي البغدادي أبو محمد: (ت: ٢٣٦هـ) الفقيه البليغ كان مع بدعته يوصف بزهد وتأله وعفة.

وكان الجعفران سيدا معتزلة بغداد في عصرهما، ومضربا المثل في العلم والعمل عندهم. كما تتلمذ له أيضًا أبو زفر وهو من مصنفي المعتزلة، ومحمد بن سويد المعتزلي... وصحبه (أبو جعفر) محمد بن عبد الله الإسكافي وعيسى بن الهيثم وجعفر بن حرب الأشج. وحكى الكعبي عن الجعفرين أنهما قالا: إن الله تعالى خلق القرآن(٧٦) في اللوح المحفوظ ولا يجوز أن ينقل إذ يستحيل أن يكون الشيء الواحد في مكانين في حالة واحدة وما نقرؤه فهو حكاية عن المكتوب الأول في اللوح المحفوظ وذلك فعلنا وخلقنا.(٧٧). وقد تولى المُزدار رئاسة المعتزلة ببغداد (٧٨). وقال في القرآن: إن الناس قادرون على مثل القرآن فصاحة ونظمًا وبلاغة، وهو الذي بالغ في القول بخلق القرآن وكفر من قال بقدمه. (٧٩) وهو الذي نُسِبَ إليه القول بأن: (الناس قادرون على أن يأتوا بمثل هذا القرآن وبما هو أفصح منه).(٨٠)

٢-**عباد بن سليمان الصخري: معتزلي من أهل البصرة** من تلامذة هشام بن عمرو القوطي.(٨١)

٣- **القاضي هشام بن عمرو القوطي:** بصري، عدّه القاضي في نهاية الطبقة السادسة من المعتزلة كان يحظى باحترام المأمون.(٨٢)

٤- **أبو إسحاق النصيبي:** من الطبقة الحادية عشرة من المعتزلة وكان يشك في النبوات كلّها. (٨٣)

٥- "**الجاحظ**" **أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب البصري المعتزلي** (٨٤). ولقد فنَّد (الجاحظُ) دعوى أستاذه (النظّام) في كتابٍ مفقودٍ سماهُ "الاحتجاج لنظم القرآن". قال في مقدمته: "فلم أدع فيه مسألةً لرافضي ولا لحديثي، ولا لحشوي ولا لكافر مباد، ولا لمنافق مقموع، ولا لأصحاب النظّام، ولمن نجم بعد النظّام ممن يزعم أن القرآن حق، وليس تأليفه بحجة، وأنه تنزيل، وليس ببرهان ولا دلالة". (٨٥)

ورجّح (الرافعي) أن الجاحظ تابع طائفته المعتزلة في القول بالصَّرْفة، وإن

كان له رأيٌ في أن القرآن في الدرجة العليا من الفصاحة. يقول عنه: "لم يسلم... من القول بالصَّرْفة، وإن كان قد أخفاها وأومأ إليها من عُرض". واستدل بقوله في كتاب "الحيوان": "ومثل ذلك ما رفع من أوهام العَرب وصرف نفوسهم عن المعارَضَة للقرآن بَعْدَ أنْ تحدَّاهم الرَّسولُ بنظْمه".([٨٦])

وقال محمود محمد شاكر: "إن الجاحظ يقول بالصَّرْفة مثل شيخه (النظّام)، وأنه هو الذي أظهر هذا القول وأشاعه، لكنه أضاف إليها الإعجاز بالنظم. ولما رأى الجاحظ التناقض بين قوليه كاد أن يتراجع".([٨٧]). وقد نفى أحد الباحثين المعاصرين عن الجاحظ هذا الانتساب لمذهب الصرفة بتفريقه بين مراد الجاحظ ومراد شيخه([٨٨]) والحقيقة: لقد وقع الجاحظ في التناقض والاضطراب لقوله بالصرفة- وإن اختلف مفهومه لها عن مفهوم أستاذه النظّام.

قال مصطفى صادق الرافعي:" أما الجاحظ فان رأيه في الإعجاز كرأي أهل العربية، وهو أن القرآن في الدرجة العليا من البلاغة التي لم يعهد مثلها، غير أن الرجل كثير الاضطراب، فان هؤلاء المتكلمين كأنما كانوا في منخل، ولذلك لم يسلم هو أيضًا من القول بالصَّرْفة... ثم قال (الرافعي) مبررًا قول الجاحظ بالصرفة: وقد يكون استرسل بهذه العبارة لما في نفسه من أمر أستاذه النظّام، وهو شيء ينزل على حكم الملابسة، ويعتري أكثر الناس إلا من تنبه له أو نبه عليه، أو يكون هو ناقلًا ولا يدري...". ([٨٩])

وما قاله الرافعي عن الجاحظ هو القول العدل فيه الذي يشهد له كلام الجاحظ نفسه.

٦- "**الرماني**" **علي بن عيسى أبو الحسن الرماني المعتزلي**.([٩٠]) والصَّرْفة عنده تشبه الصَّرْفة عند الجاحظ، فهي لا تقدح في بلاغة القرآن وحسن تأليفه، وإن كان الجاحظ فيه ما فيه من التناقض والاضطراب. وقد ذكر الرماني أن القرآن في أعلى مراتب البيان، ولا يدانيه شيء من كلام فصحاء العرب وبلاغييهم، وصَّرْفة الرماني -كما هو الشأن عند الجاحظ- من فعل الله بالقوم، فهي إذن شيء خارج عن إرادتهم، ووقع عليهم بقدرة الله وتدبيره.. .يقول الرماني: "وأما الصَّرْفة فهي صرف الهمم عن المعارضة، وعلى ذلك كان يعتمد بعض أهل العلم في أن القرآن معجز من جهة صرف الهمم عن المعارضة، وذلك خارج عن العادة، كخروج سائر المعجزات التي دلت على النبوة، وهذا عندنا أحد وجوه الإعجاز.."(٩١)

وقول الرماني لا يحتاج إلى زيادة بيان، إذ إنه يقول بالصَّرْفة ويرى أنها أحد

وجوه الإعجاز عند المعتزلة.

٧- **القاضي عبد الجبار:** القاضي أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار بن أحمد بن الخليل بن عبد الله الأسد آبادي المعتزلي.(٩٢) وبسبب المعتقدات الفاسدة التي يعتقدها النظّام ويتبناها ويقول بها فقد كفره جمع من العلماء هو وفرقته، حتى إن بعض المعتزلة أنفسهم قد كفره كذلك.

موقف القاضي عبد الجبار وقوله في الصَّرْفة:

القاضي عبد الجبار: "خالف جميع من تقدموه ممن تحدثوا عنها، ولم يرض عن تفسيراتهم، وأعطى القضية بعدًا أعمق، وفهما أنضج فقد أبعد مفهوم الجبرية الذي ساد في حديث -النظّام -والجاحظ- والرماني- عنها، لأنها كانت عندهم جميعا شيئًا خارجًا عن إرادة القوم، مجبورين عليه جبرًا".(٩٣) وقدم بين يدي ذلك أدلة منها:

أولًا: لو كانوا ممنوعين من الإتيان بكلام فصيح، أو قول بليغ، لكان ذلك لا يختص بكلام دون كلام، وأنه لو حصل ذلك في ألسنتهم، لما أمكنهم الكلام المعتاد، ولكن القوم ظلوا يتكلمون ويأتون بالقول الفني الممتاز، ولم ينحدر مستوى بيانهم أو يهبط، ولكنه كان -على علوه- لا يرقى إلى مستوى القرآن.

ثانيًا: ولو ثبت هذا المنع لكان في حد ذاته هو المعجز وليس القرآن، فان من سلك هذا المسلك في القرآن، يلزمه أن لا يجعل له مزية ألبتة.

ثالثًا: ولو ثبت هذا المنع بأية صورة من صوره لبطل بعض القرآن، ولما كان صحيحًا قوله تعالى:- ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (٨٨)﴾ (الإسراء: ٨٨)

رابعًا: القول بالصَّرْفة يتعارض مع الآية السابقة، لأنه لا يقال في الجماعة إذا امتنع عليها الشيء: إن بعضها يكون ظهيرًا لبعض، لأن المعاونة والمظاهرة، إنما تمكن مع القدرة، ولا تصح مع العجز والمنع)(٩٤).

وبعد أن قدم -القاضي عبد الجبار- هذه الأدلة التي نقض بها مفهوم من تقدموه عن -الصَّرْفة-، توصل القاضي إلى مفهوم جديد للصَّرْفة، وهو في هذه المرة يرتبط بالقوم أنفسه، وليس شيئًا خارجًا عنهم، أو مفروضًا عليهم فرضًا، وهذا المفهوم: هو إن دواعيهم انصرفت عن المعارضة لعلمهم بأنها غير ممكنة على ما دللنا عليه، ولولا علمهم بذلك لم تكن لتنصرف دواعيهم، لأنا نجعل انصراف دواعيهم تابعًا لمعرفتهم بأنها متعذرة عليهم.. (٩٥). فهي صرفة تشبه اليأس الذي يعتري الإنسان من أمر ما حاوله عدة مرات، وكان يمنى كل مرة بالإخفاق الذريع، فإذا بعزيمته تتثبط،

وهمته تنهار، وذلك كان شأن القوم مع القرآن، فلم يكن تركهم للمعارضة لأمر خارجي، وانما لإحساسهم باليأس، وتيقنهم من العجز عن الإتيان بمثل القرآن **يقول القاضي عبد الجبار**: "واعلم أن الخلاف في هذا الباب أنا نقول: إن دواعيهم انصرفت عن المعارضة لعلمهم أنها غير ممكنة، ولولا علمهم بذلك لم تكن لتتصرف دواعيهم، لأنا نجعل انصراف دواعيهم تابعًا لمعرفتهم بأنها متعذرة، وهم يقولون: ان دواعيهم انصرفت مع التأتي، ولأجل انصراف دواعيهم، لم يأتوا بالمعارضة مع كونها ممكنة، فهذا موضع الخلاف.."(٩٦). ثم ينهي -القاضي عبد الجبار- حديثه عن مفهومه للصَّرْفة فيقول: "فالصحيح ما قلناه، من أنهم علموا بالعادات تعذر مثله، فصار علمهم صرفًا عن المعارضة.." (٩٧).

فالصَّرْفة بهذا المفهوم الجديد عند القاضي عبد الجبار، ليست تلك الصَّرْفة التي عند -النظّام- أو -الجاحظ-، والتي تعني: القهر والجبر، وإنما هي صَّرْفة ذاتية، فهم أدركوا بالفطرة أن أسلوب القرآن في علوه وسموه، وروعة نظمه وبيانه، لا يمكن مجاراته ومعارضته، فانصرفوا ذاتيًا بلا قهر أو جبر من قوة خارجية عن المعارضة، اقتناعًا منهم ويقينًا بالعجز، فالأمر في الحقيقة: انصراف.وليس صرفة(٩٨) وبذلك يكون القاضي عبد الجبار أقل القوم وأضعفهم تعسفًا في قضية القول بالصَّرْفة.

المطلب الثالث: القائلون بالصرفة من غير المعتزلة، من الأشاعرة وغيرهم

أولًا: الأشاعرة: أما الأشاعرة: فَجُلّهم إنّما يقبل بنظرية الصَّرْفة إماّ كوجه ثانوي من أوجه الإعجاز فهو عندهم تابع للوجه الأوّل، والأهمّ وهو إعجاز القرآن بنظمه وذاته، وإمّا يقولون بها من باب المجادلة والمنافحة عن الحق لا غير.

ثانيًا: ما ينسب إلى أبي الحسن الأشعري(ت: ٣٢٤هـ): يقول الشهرستاني: محمد بن عبد الكريم (ت:٥٤٨هـ) أثناء حديثه عن أبي الحسن الأشعري:"والقرآن عنده معجز من حيث البلاغة، والنظم، والفصاحة، إذ خير العرب بين السيف وبين المعارضة، فاختاروا أشد القسمين اختيار عجز عن المقابلة، ومن أصحابه من اعتقد أن الإعجاز في القرآن من جهة صرف الدواعي، وهو المنع من المعتاد". (٩٩)

ثالثًا: ما يُنسب للقاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت: ٥٤٤ هـ): قال محمد بن أحمد السفاريني: (ت: ١١٨٩هـ): "وفي شفاء أبي الفضل القاضي عياض بعض ميل للقول بالصرفة، فإنه قال: وذهب الشيخ أبو الحسن (الأشعري) إلى أنه مما يمكن أن يدخل مثله تحت مقدور البشر، ويقدرهم الله عليه، ولكنه لم يكن هذا، ولا يكون، فمنعهم الله هذا، وعجزهم عنه". (١٠٠). ولاشك في وضوح قول القاضي عياض

بالصرفة، فالمنع والتعجيز بمعنى أنه سبحانه صرفهم عنه بمنعهم وتعجيزهم عن الإتيان بمثله.

رابعًا: الفخر الرازي (ت: ٦٠٦هـ): أطلق القول بالصَّرْفة في بعض مواضع تفسيره كقوله عند تعرضه لآية التحدي في سورة البقرة: حيث يقول: الطريق الثاني، أن نقول: "القرآن لا يخلو إما أن يقال: إنه كان بالغًا في الفصاحة إلى حد الإعجاز، أو لم يكن كذلك، فإن كان الأول: ثبت أنه معجز، وإن كان الثاني: كانت المعارضة على هذا التقدير ممكنة، فعدم إتيانهم بالمعارضة، مع كون المعارضة ممكنة، ومع توفر دواعيهم على الإتيان بها، أمر خارق للعادة، فكان ذلك معجزًا، فثبت أن القرآن معجز على جميع الوجوه، وهذا الطريق عندنا أقرب إلى الصواب". وفي مواضع أخرى قيدها بالسور القصار حيث يقول: "فإن قيل: قوله ﴿فأتوا بسورة من مثله﴾ يتناول سورة الكوثر، وسورة العصر، وسورة ﴿قل يا أيها الكافرون﴾، ونحن نعلم بالضرورة أن الإتيان بمثله، أو بما يقرب منه ممكن، فإن قلتم: إن الإتيان بأمثال هذه السور خارج عن مقدور البشر، كان ذلك مكابرة، والإقدام على هذه المكابرات مما يطرق التهمة إلى الدين، قلنا: فلهذا السبب اخترنا الطريق الثاني، وقلنا: إن بلغت هذه السورة في الفصاحة إلى حد الإعجاز، فقد حصل المقصود، وإن لم يكن الأمر كذلك، كان امتناعهم عن المعارضة –مع شدة دواعيهم إلى توهين أمره –معجزًا، فعلى هذين التقديرين يحصل المعجز.([١٠١])

خامسًا: الحافظ ابن كثير الدمشقي (ت:٧٧٤هـ): أقرّها على سبيل المجادلة والمنافحة على الحق لا غير حيث يقول: "وقد قرر بعض المتكلمين الإعجاز بطريق يشمل قول أهل السنة، وقول المعتزلة في الصَّرْفة، فقال: إن كان القرآن معجزًا في نفسه لا يستطيع البشر الإتيان بمثله، ولا في قواهم معارضته، فقد حصل المدعى وهو المطلوب، وإن كان في إمكانهم معارضته بمثله، ولم يفعلوا مع شدة عداوتهم له، كان ذلك دليلًا على أنه من عند الله، لصرفه إياهم عن معارضته مع قدرتهم على ذلك، وهذه الطريقة –وإن لم تكن مرضية لأن القرآن في نفسه معجز لا يستطيع البشر معارضته كما قررنا– إلا أنها تصلح على سبيل التنزل، والمجادلة، والمنافحة عن الحق، وبهذه الطريقة أجاب الرازي في تفسيره عن سؤاله في السور القصار، كالعصر، وإنا أعطيناك الكوثر".([١٠٢])، فابن كثير هنا يقرر أن القرآن معجز بذاته، وفي ذلك رد للصَّرْفة، وهو بذلك يقررها فقط على سبيل التنزل والمجادل عن الحق والمنافحة عنه كما قرر آنفًا، وفي نحو ذلك يقول عند تفسيره لآية التحدي في سورة الإسراء: فـ" لو

اجتمعت الإنس والجن كلهم، واتفقوا على أن يأتوا بمثل ما أنزله على رسوله، لما أطاقوا ذلك ولما استطاعوه، ولو تعاونوا وتساعدوا وتظافروا، فإن هذا أمر لا يستطاع، وكيف يشبه كلام المخلوقين كلام الخالق، الذي لا نظير له ولا مثال له، ولا عديل له!".([١٠٣])

سادسًا: أبو إسحاق الإسفراييني (ت: ٤١٨هـ): فقد عدّها وجهًا من أوجه الإعجاز حيث قال في شرحه للمواقف: "وقيل: إعجازه بالصَّرْفة، على معنى أن العرب كانت قادرة على كلام مثل القرآن قبل البعثة، لكن الله صرفهم عن معارضته، واختلف في كيفية الصرف، (فقال الأستاذ) أبو إسحاق منا، (والنظّام) من المعتزلة، (صرفهم الله عنها مع قدرتهم) عليها، وذلك بأن صرف دواعيهم إليها، مع كونهم مجبولين عليها، خصوصًا عند توفر الأسباب الداعية في حقهم، كالتقريع بالعجز، والاستنزال عن الرياسات، والتكليف بالانقياد، فهذا الصرف خارق للعادة، فيكون معجزًا ". (١٠٤)

سابعًا: الراغب الأصبهاني (ت: ٤٢٥هـ) حيث يقول:"اعلم أن إعجاز القرآن ذكر من وجهين: **أحدهما:** إعجاز يتعلق بنفسه. **والثاني:** بصرف الناس عن معارضته" ثم يتبع ذلك بقوله: "فلما دعا الله أهل البلاغة والخطابة، الذين يهيمون في كل واد من المعاني –بسلاطة لسانهم– إلى معارضة القرآن، وعجزوا عن الإتيان بمثله، ولم يقصدوا لمعارضته، فلم يخف على ذوي البلاغة أن صارفًا إلهيًّا صرفهم عن ذلك، وأي إعجاز أعظم من أن يكون كافة البلغاء عجزوا في الظاهر عن معارضة مصروفة فى الباطن عنها".(١٠٥)

ثامنًا: أبو الحسن الماوردي (ت: ٤٥٠هـ) قال فى أعلام النبوة: "الوجه العشرون من أوجه إعجازه: الصَّرْفة عن معارضته، واختلف من قال بها: هل صرفوا عن القدرة على معارضته مع دخوله فى مقدورهم..؟ على قولين: أحدهما:– إنهم صرفوا عن القدرة، ولو قدروا لعارضوا. والقول الثانى:– إنهم صرفوا عن المعارضة مع دخوله فى مقدورهم. والصرفة إعجاز على القولين معًا....". ثم يقول: "فإذا ثبت إعجاز القرآن من هذه الوجوه كلها، صح أن يكون كل واحد منها معجزًا، فإذا جمع القرآن سائرها كان إعجازه أقهر، وحجاجه أظهر، وصار كفلق البحر، وإحياء الموتى، لأن مدار الحجة فى المعجزة إيجاد ما لا يستطيع الخلق مثله"([١٠٦]) ومثل ذلك يقوله فى تفسيره النكت والعيون: "فأما إعجاز القرآن الذي عجزت به العرب عن الإتيان بمثله، فقد اختلف العلماء فيه على ثمانية أوجه، إلى أن يقول: والثامن: أن إعجازه هو الصَّرْفة، وهو أن الله تعالى صرف هممهم عن معارضته، مع تحديهم أن يأتوا بسورة من مثله،

فلم تحركهم أنفة التحدي، فصبروا على نقص العجز، فلم يعارضوه، وهم فصحاء العرب، مع توفر دواعيهم على إبطاله، وبذل نفوسهم في قتاله، فصار بذلك معجزًا لخروجه عن العادة كخروج سائر المعجزات عنها.

واختلف من قال بهذه الصَّرْفة على وجهين:أحدهما: أنهم صرفوا عن القدرة عليه، ولو تعرضوا لعجزوا عنه. **والثاني:** أنهم صرفوا عن التعرض له، مع كونه في قدرتهم، ولو تعرضوا له لجاز أن يقدروا عليه فهذه ثمانية أوجه، يصح أن يكون كل واحد منها إعجازًا، فإذا جمعها القرآن، وليس اختصاص أحدها بأن يكون معجزًا بأولى من غيره، صار إعجازه من الأوجه الثمانية، فكان أبلغ في الإعجاز، وأبدع في الفصاحة والإيجاز".([١٠٧])

تاسعًا: أبو المعالي الجويني المعروف بإمام الحرمين (ت: ٤٧٨هـ) **يقول في العقيدة النظامية:** "وقد أكثر الناس في وجه إعجاز القرآن، وتقطعوا فيه أيادي سبأ، وصار معظم الناس إلى أن القرآن تميز على صنوف الكلام بمزية البلاغة والجزالة، خارج عن المعتاد في ذلك، ثم زعم زاعمون: أن إعجازه في شرف جزالته، وذهب آخرون: إلى أن إعجازه في الجزالة الفائقة، وأسلوبه الخارج عن أساليب النظم والنثر، والخطب، والأراجيز، ثم يقول: من رام أن يثبت إعجاز القرآن بأنه في جزالته خارق للعادات، مجاوز لفصاحة اللدد البلغاء، واللسن الفصحاء، فقد حاد عن مدرك الحق، ثم يقرر ويقول: فتبين قطعًا أن الخلق ممنوعون عن مثل ما هو من مقدورهم، وذلك أبلغ عندنا من خرق العوائد بالأفعال البديعة في أنفسها، ومن هدي إلى هذا المسلك فقد رشد إلى الحق المنير، وانعكس كل مطعن ذكره الطاعنون عضدًا وتأييدًا. إلى أن يقول: فإذا لم تجر المعارضة، لم يبق لامتناعها، مع توفر الدواعي عليها محمل إلا صرف الله الخلق، فكيف يهتدي إلى إعجاز القرآن، من يحاول أن يثبت خروجه عن العادة في الجزالة، وشفاء الصدور في الحكم؟ فإن مثله من مقدورات الخلق، ولكنهم مصدودون ممنوعون بصرف الله إياهم".([١٠٨])

عاشرًا: أبو حامد الغزالي (ت:٥٠٥هـ) **والذي يقول في باب المحاجاة:** "فإن قيل: لعل العرب اشتغلت بالمحاربة والقتال فلم تعرج على معارضة القرآن، ولو قصدت لقدرت عليه، أو منعتها العوائق عن الاشتغال به، والجواب: إن ما ذكروه هوس، فإن دفع تحدي المتحدي بنظم كلام أهون من الدفع بالسيف، مهما جرى على العرب من المسلمين بالأسر والقتل والسبي، وشن الغارات، ثم ما ذكروه غير دافع غرضنا، فإن انصرافهم عن المعارضة لم يكن إلا بصرف من الله تعالى، والصرف عن المقدور

المعتاد من أعظم المعجزات".([109])

حادي عشر: ابن حزم الأندلسي الظاهري:(ت: ٤٥٦هـ): وممن قال بالصَّرْفة أيضًا الفقيه ابن حزم الأندلسي الظاهري، وكلامه في بالصَّرْفة مضطرب، فهو تارة يقول بها، وتارة يقول بغيرها فهو مضطرب في تلك المسألة، وتمشيًا مع القاعدة الأصولية "المثبت مقدم على النافي" فننقل كلام ابن حزم في القول بالصَّرْفة حيث إنه يرى أن القرآنَ ليس مُعْجِزًا في ذاتِهِ، بل لِأنَّ اللهَ صرفَ العربَ عن الإتيانِ بمثلِهِ، ويقول بعد إيرادهِ عدةَ آياتٍ من كتابِ الله عز وجل: "......فكان هذا كله إذ قاله غير الله عز وجل غير معجز بلا خلاف إذ لم يقل أحد من أهل الإسلام أن كلام غير الله تعالى معجز لكن لما قاله الله تعالى وجعله كلامًا له أصاره معجزًا ومنع من مماثلته وهذا برهان كافٍ لا يحتاجُ إلى غيره".(١١٠).وبمطالعة أقوال بعض الباحثين في عدد من المصادر وجدت أكثرها أو جلها على هذا الرأي في ابن حزم ، بأنه مضطرب ولم يحسم رأيه وقوله في المسألة، لأنه تارة يقول بها وتارة يقول بغيرها، ولكن كما قال ربنا: ﴿وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾(يوسف:٨١).

المطلب الرابع: القائلون بالصرفة من الشيعة الإمامية

والشيعة الإمامية هم حملة لواء القول بالصَّرْفة في العصور المتأخرة خاصة وأنهم ورثة الفكر الاعتزالي. وممن قال بها منهم: أ- الشيخ المفيد: (ت: ٣٣٩هـ) في كتابه أوائل المقالات، وإن حكى عنه غيره. ب- الشريف المرتضى: (ت: ٣٥٥هـ) في رسالة خاصة تحت عنوان: (الموضح من جهة إعجاز القرآن). ج- الطوسي: نصر الدين محمد بن محمد بن الحسن(ت: ٣٨٥هـ) في شرحه لكتاب (جمل العلم والعمل) للشريف المرتضى ولكنه تراجع عن القول بها صراحة في كتاب (الاقتصاد). د- ابن سنان الخفاجي: (ت: ٤٦٦هـ) في كتابه سرّ الفصاحة.

هذا قول من قال بالصَّرْفة من الشيعة الإمامية إجمالًا ونسوق أقوالهم بشيء من التفصيل على النحو التالي:

أ- الشيخ المفيد، أبوعبد الله، محمد بن محمد بن النعمان، البغدادي العكبري، رئيس المذهب الشيعي الإمامي في وقته: (ت: ٣٣٨هـ) قال في جهة إعجاز القرآن:" إنّ جهة ذلك هو الصَّرْف من الله تعالى لأهل الفصاحة واللسان عن معارضة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمثله في النظّام عند تحدّيه لهم، وجعل انصرافهم عن الإتيان بمثله . وإن كان في مقدورهم دليلاً على نبوته. واللُّطف من الله تعالى مستمر في الصرف عنه إلى آخر الزمان. وهذا أوضح برهان في الإعجاز، وأعجب بيان.

وهو مذهب النظّام، وخالف فيه جمهور أهل الاعتزال...".[١١١]

ب- علي بن الحسين المعروف بالشريف المرتضى(على بن الحسين بن موسى بن محمد) (ت: ٣٥٥هـ) نقل عنه الطوسي(نصير الدين محمد بن محمد بن الحسن) (ت: ٣٨٥: هـ) قوله: "إن الله سلب العرب العلوم التي كانت تتأتى منهم بها الفصاحة التي هي مثل القرآن، متى راموا المعارضة، ولو لم يسلبهم ذلك لكان يتأتى منهم ". (١١٢)

ج- نصير الدين الطوسى (ت: ٣٨٥: هـ) قال بالصَّرْفة فى كتابه (تمهيد الأصول فى علم الكلام) وهو شرح لكتاب (جمل العلم والعمل) للشريف المرتضى ولكنه تراجع عن القول بها صراحة في كتاب (الاقتصاد). فقال: "وأقوى الأقوال عندي قول من قال إنما كان معجزًا خارقًا للعادة لاختصاصه بالفصاحة المفرطة في هذا النظم المخصوص، دون الفصاحة بانفرادها، ودون النظم بانفراده، ودون الصَّرْفة، وإن كنت نصرت في شرح الجمل القول بالصرفة، على ما كان يذهب إليه المرتضى من حيث شرحت كتابه، فلم يحسن خلاف مذهبه".(١١٣).

د-ابن سنان الخفاجي (ت: ٤٦٦هـ) عبد الله بن محمد بن سعيد الخفاجي الشاعر الأديب الشيعي في كتابه الشهير-سر الفصاحة- وهو من الكتب المعدودة في البلاغة، ألفه على طريقة الأدباء، حيث يقول:" إذا عدنا إلى التحقيق وجدنا إعجاز القرآن: صرف العرب عن معارضته، بأن سلبوا العلوم التي بها كانوا يتمكنون من المعارضة، وقت مرامهم ذلك...، ويقول أيضًا: إن الصحيح أن إعجاز القرآن هو صرف العرب عن معارضته، وإن فصاحته كانت في مقدورهم لولا الصرف... ويقول في موضع آخر: متى رجع الإنسان إلى نفسه، وكان معه أدنى معرفة بالتأليف المختار، وجد في كلام العرب ما يضاهي القرآن في تأليفه!! ".[١١٤] [١١٥].

نعوذ بالله من الخذلان، ونسأله تعالى الثبات على الحق، ﴿رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ (آل عمران: ٨).

ومما سبق يتبين لنا أن الصَّرْفَةِ وإن كانت نشأت في بيئة المعتزلة على يد النَّظام ومن تابعه إلا أننا وجدنا طائفة من علماء أهل السنة، وبعض الظاهرية، والشيعة الإمامية، قالوا بها كذلك، وإن لم يوافقوا النَّظام على ما ذهب إليه.

المطلب الخامس: خلاصة القول بـالصَّرْفَةِ

يمكننا أن نتعرف من أقوال القائلين بالصَّرْفَةِ على أنهم مذهبين:

المذهب الأول: مذهب النَّظام ومن تبعه، فقد ذهبوا إلى أن العرب صُرِفوا عن

المعارضة أصلًا، ولم يتوجهوا إليها، ولو توجهوا لاستطاعوا أن يأتوا بمثل القرآن.

المذهب الثاني- وقال به الشريف المرتضى، وابن سنان الخفاجي، ومن تبعهما، فقد ذهبوا إلى أن الله سلب العرب علومهم التي يحتاجون إليها في معارضة القرآن، والإتيان بمثله، ولو توجهوا لمعارضته لما استطاعوا أن يأتوا بمثل القرآن.

ولا شك في أن كل القولين مردود.. ولا يقوم على قدم، ولا يستوى على ساق، وسنسوق بين يديك مصداقًا من البرهان التفصيلي على انتقاض بنيان هذه القضية بأدلة منها:

١-إجماع الأمة قبل ظهور القول بالصَّرْفة على أن إعجاز القرآن ذاتي...وقد حكى القرطبي الإجماع في تفسيره (الجامع لأحكام القرآن)، فقال بعد أن ذكر قول القائلين بالصرفة: " وهذا فاسد، لأن إجماع الأمة قبل حدوث المخالف: أن القرآن هو المعجز، فلو قلنا: أن المنع والصَّرْفة هو المعجز، لخرج القرآن عن أن يكون معجزًا، وذلك خلاف الإجماع، وإن كان كذلك، علم أن نفس القرآن هو المعجز، لأن فصاحته وبلاغته أمر خارق للعادة، إذ لم يوجد كلام قط على هذا الوجه، فلما لم يكن ذلك الكلام مألوفًا معتادًا منهم، دل على أن المنع والصَّرْفة لم يكن معجزًا ".([١١٦])

٢- أن الله تعالى وصف القرآن بأوصاف ذاتية تجعله في منزلة لاتصل إليها معجزات أخرى، فكانت هذه توجب أن إعجازه ذاتيًا، ولقد قال تعالى: ﴿ولو أن قرآنًا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى بل لله الأمر جميعًا﴾ (الرعد: ٣١). ويقول تعالى: ﴿الله نزل أحسن الحديث كتابًا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله. ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد﴾ (الزمر: ٣٢). وإذا كان القرآن بهذه الأوصاف التي وصفه الله بها منزله- سبحانه وتعالى- أفيقال بعد ذلك أن الناس يستطيعون أن يأتوا بمثله؟ اللهم إن هذا بهتان عظيم.([١١٧])

المبحث الثالث

ردُّ شُبهةِ القولِ بالصَّرْفَةِ وبيان بطلانها

المطلب الأول: الرد على القائلين بالصَّرْفَةِ وبيان دلائل بطلانها

إذا رجعنا إلى المصدر الأصلي الذي أثبت إعجاز القرآن، وهو القرآن نفسه، واحتكمنا إليه في هذا؛ فإنا نجده يثبت الإعجاز لذات القرآن، لا للصرف عنه **وذلك من أوجه كثيرة نذكر منها:**

أولًا: أن الله قد تحداهم أن يأتوا بمثله، كما في قوله: ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن

على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا﴾ (الإسراء: ٨٨)، ومما ورد في سبب نزولها ما أخرجه ابْن إِسْحَاق وَابْن جرير وَابْن الْمُنْذر وَابْن أبي حَاتِم عَن ابْن عَبَّاس م قَالَ: أَتَى رَسُول الله ﷺ مَحْمُود بن سيحان ونعيمان بن أُصَي ومجزئ بن عمر وَسَلام بن مشْكم فَقَالُوا: يَا مُحَمَّد هَذَا الَّذِي جِئْت بِهِ حق من عِنْد الله فإنا لَا نرَاهُ متناسقًا كَمَا تتناسق التَّوْرَاة، فَقَالَ لَهُم: أما وَالله إِنَّكُم لتعرفون أَنه من عِنْد الله.(١١٨)، "فالقرآن معجز في النظم والتأليف والإخبار عن الغيوب وهو كلام في أعلى طبقات البلاغة لا يشبه كلام الخلق لأنه غير مخلوق ولو كان مخلوقًا لأتوا بمثله". (١١٩)

فـ" لو اجتمعت الإنس والجن كلهم، واتفقوا على أن يأتوا بمثل ما أنزله على رسوله، لما أطاقوا ذلك ولما استطاعوه، ولو تعاونوا وتساعدوا وتظافروا، فإن هذا أمر لا يستطاع، وكيف يشبه كلام المخلوقين كلام الخالق، الذي لا نظير له ولا مثال له، ولا عديل له ؟!".(١٢٠) والاجتماع المذكور هنا في آية الإسراء إنما هو: "اجتماع تظافر على عمل واحد ومقصد واحد، وهذه الآية مفحمة للمشركين في التحدي بإعجاز القرآن".(١٢١) فإن الله تعالى نص على أن الإنسان والجن لو اجتمعوا ليعارضوه لم ولن يستطيعوا أن يأتوا بمثله. فلو كان الإعجاز بالصَّرْفَةِ لقيل: "لو اجتمعوا لما انعقدت لهم عزيمة على الإتيان بمثله أو لو اجتمعوا لما اتجهت هممهم ولا همة واحد منهم إلى هذا الأمر. ولم يرد مثل هذا بحال. وإنما نص القرآن على أنهم لا يأتون بمثله ولو تضافرت جهودهم وتآزرت مساعيهم، فدل على أن التحدي إنما وقع بنفس القرآن وأن الإعجاز قائم في ذاته.

قال السيوطي بعد ذكره آية التحدي في الإسراء: "فإنه يدل على عجزهم مع بقاء قدرتهم، ولو سلبوا القدرة لم يبق لهم فائدة لاجتماعهم، لمنزلته منزلة اجتماع الموتى، وليس عجز الموتى مما يحتفل بذكره، هذا مع أن الإجماع منعقد على إضافة الإعجاز إلى القرآن، فكيف يكون معجزًا وليس فيه صفة إعجاز بل المعجز هو الله تعالى حيث سلبهم القدرة على الإتيان بمثله".(١٢٢) ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين. فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين﴾ (البقرة: ٢٣-٢٤).

قال ابن كثير: "ثم شرع تعالى في تقرير النبوة بعد أن قرر أنه لا إله إلا هو، فقال مخاطبًا للكافرين: ﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا﴾ [البقرة: ٢٣] يعني

محمدًا فأتوا بسورة من مثل ما جاء به:، إن زعمتم أنه من عند غير الله فعارضوه بمثل ما جاء به، واستعينوا على ذلك بمن شئتم من دون الله، فإنكم لا تستطيعون ذلك، وقد تحداهم الله تعالى بهذا في غير موضع من القرآن، فقال في سورة القصص: ﴿قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه إن كنتم صادقين﴾ [القصص: ٤٩] وقال في سورة سبحان: ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨] وقال في سورة هود: ﴿أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين﴾ [هود: ١٣] وقال في سورة يونس: ﴿وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة من مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين﴾ [يونس: ٣٧، ٣٨] وكل هذه الآيات مكية، ثم تحداهم بذلك أيضًا في المدينة فقال في هذه الآية: ﴿وإن كنتم في ريب﴾ أي شك ﴿مما نزلنا على عبدنا﴾ يعني محمدًا ﷺ ﴿فأتوا بسورة من مثله﴾ يعني من مثل القرآن،فتحداهم كلهم متفرقين ومجتمعين سواء في ذلك أميهم وكتابيهم، وقد تحداهم بهذا في مكة والمدينة مرات عديدة مع شدة عداوتهم له وبغضهم لدينه ومع هذا أعجزوا عن ذلك".([١٢٣])، فدلت هذه الآية ونظائرها على أن القرآن معجز بنفسه لمزايا وخصائص استقرت فيه، تقصر طاقة البشر وقدرتهم عن مضاهاتها، لذلك ورد التحدي بالقرآن ذاته.

ثانيًا: لو كان العجز بالصَّرْفَةِ لكان مقتضى الحكمة إنزال القرآن في مستوى بلاغي قريب المتناول–لا في الدرجة القصوى من البلاغة والفصاحة– لتظهر عظمة المعجزة في المنع من مثله والصرف عنه. وهذا يخالف ما ورد في القرآن من أوصاف له تشيد بعظمة بيانه وسموه، فهو الكتاب المبين؛ والقرآن المجيد؛ وفيه الآيات البينات، وهو النور، والنور المبين؛ والكتاب المنير؛ وفيه الهدى والنور وشفاء لما في الصدور.

ثالثًا: ومن الدلائل التي تثبت إعجاز أسلوب القرآن ما ورد في القرآن نفسه من الآيات الدالة على قوة تأثيره في النفوس. وقد بلغ من تأثيره في نفوس الكافرين ما حملهم على التواصي على الإعراض عنه، كما ذكره الله عنهم ﴿وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون﴾ (فصلت: ٢٦). فقد نفذ صبرهم عن الصمود لاستماعه لمبلغ تأثيره فيهم وخشيتهم منه على أتباعهم وأنفسهم. ووصف الله تأثيره في نفوس المؤمنين فقال سبحانه: ﴿الله نزل أحسن الحديث كتابًا متشابهًا مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله. ذلك هدى الله يهدي به من

يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد﴾ (الزمر:٢٣). قال أحد زعماء المشركين وهو الوليد ابن المغيرة:" فو الله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني ولا أعلم برجز ولا قصيدة مني ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئًا من هذا. ووالله إن لقوله الذي يقول حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يعلى عليه وإنه ليحطم ما تحته".([١٢٤]) وهذه دلالة واضحة على أن الإعجاز في القرآن نابع من نظمه وذاته من اعتراف بلغاء المشركين والفضل ما شهدت به الأعداء.

ومثل الوليد بن المغيرة فعل نده من المشركين عتبة بن ربيعة إذ قال لقومه: "إني سمعت قولًا والله ما سمعت مثله قط. والله ما هو بالسحر ولا بالشعر ولا بالكهانة واجعلوها لي، خلوا بين الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه، فو الله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ....". ([١٢٥])

ولو لم يكن الإعجاز نابعًا من ذات القرآن وجهته، وليس من حائل خارجي يمسكهم عن القول إمساكًا ملزمًا، لما استعظموا القرآن هذا الاستعظام ووصفوه بما وصفوه، غير أنهم أحسوا أن القرآن فوق ما سمعوا وما يستطيعونه من الكلام روعة وجلالًا وجمالًا في ألفاظه ومعانيه.

دلائل أخرى تنفي القول بالصَّرْفَةِ:

أولاً– يلزم من قولهم إن العرب قد صرفوا عن هذا المستوى فحيل بينهم وبينه بحيث لم يحاولوه قط؛ أن حالهم في البلاغة والبيان وجودة النظم وشرف اللفظ قد تراجعت، فنقصت قرائحهم وأذهانهم وعدموا كثيرا مما كانوا يستطيعونه. وبالتالي فإنه يلزم منه أيضًا أن أشعارهم التي قالوها وخطبهم التي قاموا بها وكل تعابيرهم بعد الوحي جاءت قاصرة عما سمع منهم من قبل، فضاق عليهم مجال كان متسعًا، ونضبت مواردهم التي كانت غزيرة، وخذلتهم قوى كانوا بها يصولون. وبناء عليه فلا بد أن تخرج أشعار شعراء النبي التي امتدحوه بها ونددوا بالمشركين ناقصة متقاصرة عن شعرهم الجاهلي؟ وبالتالي فإن التساؤل يدخل على هؤلاء القوم في قول رسول الله ﷺ لحسان بن ثابت (اهجهم، أو هاجهم، وجبريل معك)([١٢٦]) فكيف يكون مؤيدًا بعون الله في حين أن الله يعدمه كثيرًا من المواهب والقدرة التي كان يتمتع بها قبل!؟ وينبني على قولهم أن الرسول ﷺ قد تقاصرت بلاغته أيضًا والذي يحكم به علماء اللغة والأدب –وهو حقيقة لا مرية فيها– أن آداب العرب زمن بعثة محمد ﷺ لم تكن قاصرة عن آداب الجاهلية بحال. بل إن الأمر أكثر من هذا فقد نزل القرآن بلغة فيها من قوة البيان والبلاغة والفصاحة، ما أشرقت بها للعرب بيانهم، وارتقت بها بلاغتهم، وأثمرت ثمارًا طيبة لم

يكن للعرب قبل الإسلام بها عهد.

ثانيًا: إن إجماع المسلمين قد انعقد على إضافة الإعجاز إلى القرآن، قبل خلاف المخالفين، فهذا دال على إجماعهم على أن الإعجاز نابع من ذات القرآن لا من أمر خارج عنه.

ثالثًا: أنه خابت محاولات بعض الأدعياء لمعارضة القرآن، كالذي فعله مسيلمة الكذاب وسُجَاح(١٢٧). وإذا كان كلامهم الذي أتوا به عُرَّةً في جبينهم أبد الدهر وخزيًا لهم؛ فإنه ينفي الصَّرْفَةِ، لأنها تعني أنهم صرفت هممهم عن معارضة القرآن! وفي الواقع أن محاولة المعارضة قد حصلت!! فلو كان ثمة صرفة لما أظهر هؤلاء من الكلام ما زعموا أنه معارض للقرآن.

رابعًا: أنهم يوردون علينا استدلالًا على الصَّرْفَةِ: أن العرب بلغاء فصحاء، وكان بعضهم يتقن نظم كلمتين بديعتين في جملة كلامية تبلغان طبقة من البلاغة جد عالية فلو أن الواحد منهم ضم ما جادت به القريحة ثانيًا إلى الأول وهكذا.. يتكامل له بعد حين، قدر سورة من القرآن.

والجواب: أن من قدر على الكلام البليغ العالي ليس لازمًا أن يقدر على معارضة أبلغ كلام على الإطلاق.. فإن الأمر يحتاج إلى ملكة في هذا المستوى العالي قادرة على السبك المبدع والتنسيق الفائق بحيث تبلغ المستوى القرآني، وهذا ما يتجاوز وسع المخلوقات. ثم إن التلفيق بين جمل متناثرة، جادة بها القرائح في موضوعات ودواعي مختلفة؛ لا يقدم أسلوبًا أدبيًا متماسكًا محكمًا يرضى عنه الأدباء، فكيف يسوغ الزعم بأنه معارض للقرآن !؟.

خامسًا: وإذا كان القول بالصَّرْفَةِ قد عزي للنَّظام من المعتزلة، فليس من شك أن من أبلغ الردود لمذهب الصَّرْفَةِ ما ورد على لسان علم من مشاهير المعتزلة. وهو جواب القاضي عبد الجبار لمن زعم: أن الله قد منع العرب من هذا القدر من الفصاحة والبلاغة حين أنزل القرآن؛ قال: "فقد كان يجب أن يكون قدر القرآن في الفصاحة قدر ما جرت به العادة من قبل، وإنما منعوا من مثله في المستقبل، ولو كان كذلك لم يكن المعجز هو القرآن، لكونه مساويًا لكلامهم، ولتمكنهم من قبل من فعل مثله في قدر الفصاحة. وإنما كان يكون المعجز ما حدث منهم من المنع. فكان التحدي يجب أن يقع بذلك المنع لا بالقرآن، حتى لو لم ينزل الله تعالى القرآن، ولم يظهر أصلًا، وجعل دليل نبوته امتناع الكلام عليهم على الوجه الذي اعتادوه، لكان وجه الإعجاز لا يختلف. وهذا مما نعلم بطلانه باضطرار، لأنه ﷺ تحدى بالقرآن وجعله العمدة في هذا

الباب، على أن ذلك لو صح لم يقدح في صحة نبوته، لأنه كان يكون بمنزلة أن يقول ﷺ: "دلالة نبوتي أني أريد المشي في جهة فيتأتى لي على العادة وتريدون المشي فيتعذر عليكم. فإذا وجد الأمر كذلك دل على نبوته، لكون هذا المنع على هذا الوجه ناقضًا للعادة".

سادسًا: على أنهم لو صُرفوا، كما زعم القائلون،فإن من كان قبلهم من أهل الجاهلية لم يخاطبوا بالتحدي ولم يصرفوا عما يعدل القرآن فصاحة وبلاغة وحسن نظم وروائع وصف، فهلا جاءونا بشيء من أقوالهم يساويه في ذلك ؟ فإذا عجزوا عن استخراج ذلك لعدم وجوده أصلًا، فقد انكشف أن قولهم بالصَّرْفَةِ فاضح البطلان.([١٢٨])

سابعًا: ومن أهم الأدلة على بطلان القول بالصَّرْفَةِ أن أهل الصنعة البلاغية إذا سمعوا كلامًا يطمعون في مجاراته لم يخف عليهم ولم يشتبه لديهم، فلا بد أن يحاولوا مباراته ! كيف وقد تضافرت عليهم دوافع عديدة من سب آلهتهم وتسفيه عقول آبائهم ومطالبتهم بالإتباع مما يذهب بزعامتهم ومصالحهم..؟ وكيف يلزمون الصمت مع القدرة على المباراة ؟ وقد تحداهم عشرين سنة بشيء من صناعتهم التي فاقوا بها وافتخروا، مع تقريعهم بالعجز مرارًا وتكرارًا، وهم مضرب المثل في الحمية والأنفة وإباء الضيم. ولو أنهم أحسوا بالحيلولة والحجز لدرأوا عن أنفسهم وصمة العجز، فإنه ليس معتادًا في بني الإنسان قاطبة –فضلًا عمن ذكرنا أوصافهم من العرب– أن يذعن الواحد لخصمه فيستكين له ويلقي بيديه ويسكت عن التقريع بالعجز أمدًا بعيدًا. فلما لم يؤثر عنهم مثل ذلك التشكي والتضجر دل ذلك على أنه لا أصل لما انصرف إليه أصحاب الصرفة واهمين.

قال الجرجاني([١٢٩]): "ومما يلزمهم على أصل المقالة أنه كان ينبغي له إن كانت العرب منعت منزلة من الفصاحة قد كانوا عليها؛ أن يعرفوا ذلك من أنفسهم كما قدمت. ولو عرفوه لكان يكون قد جاء عنهم ذكر ذلك من أنفسهم كما قدمت. ولو عرفوه لكان يكون قد جاء عنهم ذكر ذلك. ولكانوا قد قالوا للنبي ﷺ: إنا كنا نستطيع قبل هذا الذي جئتنا به. ولكنك قد سحرتنا واحتلت في شيء حال بيننا وبينه. فقد نسبوه إلى السحر في كثير من الأمور كما لا يخفي. وكان أقل ما يجب في ذلك أن يتذاكروه فيما بينهم. ويشكوه البعض إلى البعض ويقولوا مالنا قد نقصنا من قرائحنا وقد حدث كلول في أذهاننا.. فبقي أن لم يُرْوَ ولم يذكر أنه كان منهم قول في هذا المعنى لا ما قلَّ ولا ما كثر، دليل أنه قول فاسد ورأي ليس من آراء ذوي التحصيل"([١٣٠]) فهذا كله يجعل القول بالصَّرْفة باطلًا داحضًا يستوجب الانصراف

عنه. ثم يقول في موضع آخر:".. لو لم يكن عجزهم عن معارضة القرآن وعن أن يأتوا بمثله، لأنه معجِز فى نفسه إلا أن أدخل عليهم العجز عنه، وصرفت هممهم وخواطرهم عن تأليف كلام مثله، وكان حالهم حال من أُعدم العلم بشيء قد كان يعلمه، وحيل بينه وبين أمر قد كان يتسع له، لكان ينبغي أن لا يتعاظَمَهم؛ ولا يكون منهم ما يدل على إكبارهم أمره، وتعجبهم منه، وعلى أنه قد بهرهم، وعظم كل العِظَم عندهم، بل كان ينبغي أن يكون الإكبار منهم والتعجب للذي دخل من العجز عليهم، ورأوه من تغير حالهم، ومن أن حيل بينهم وبين شيء قد كان عليهم سهلاً، وأن سُدَّ دونهم باب كان لهم مفتوحًا، أرأيت لو أن نبيًا قال لقومه: (إن آيتي أن أضع يدي على رأسي هذه الساعة، وتمنعون كلكم من أن تستطيعوا وضع أيديكم على رؤوسكم)، وكان الأمر كما قال، ممَّ يكون تعجب القوم، أمِن وضعه يده على رأسه، أم من عجزهم أن يضعوا أيديهم على رؤوسهم؟)."([١٣١])

يقول الباقلاني: "وأخيرا فإن الصَّرْفَةِ تصور القرآن معجزة حسية معقدة خفية. فلو كان المراد الإعجاز الحسي لما كان ثمة داع لجعله مصحوبًا بتلك الصورة الكلامية مع التحدي بها. فذلك نمط مُرْبِكٌ عسير الإدراك، يُستغنى عنه بأهون شيء يقطع ما بين النبي ﷺ وقومه من جدل ومعاناة ".([١٣٢])

المطلب الثاني: أقوال العلماء في رد القول بالصَّرْفَةِ وبيان بطلانها

١- **شيخ الإسلام بن تيمية:** قال ابن تيمية: "ومن أضعف الأقوالِ -أي في إعجاز القرآن- قول من يقول من أهل الكلام: إنه معجز بصرف الدواعي مع تمام الموجب لها، أو بسلب القدرة التامة، أو بسلبهم القدرة المعتادة في مثله سلبًا عامًا، مثل قوله تعالى لزكريا: ﴿... آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليالٍ سويًا﴾ (مريم: ١٠) وهو أن الله صرف قلوب الأمم عن معارضته مع قيام المقتضي التام فإن هذا يقال على سبيل التقدير والتنزيل، وهو أنه إذا قدر أن هذا الكلام يقدر الناس على الإتيان بمثله، فامتناعهم جميعهم عن هذه المعارضة مع قيام الدواعي العظيمة إلى المعارضة من أبلغ الآيات الخارقة للعادات بمنزلة من يقول: إني آخذ أموال جميع أهل هذا البلد العظيم، وأضربهم جميعهم، وأجوعهم، وهم قادرون على أن يشكوا إلى الله، أو إلى ولي الأمر، وليس فيهم -مع ذلك- من يشتكي، فهذا من أبلغ العجائب الخارقة للعادة. ولو قدر أن واحدًا صنف كتابًا يقدر أمثاله على تصنيف مثله، أو قال شعرًا، يقدر أمثاله أن يقولوا مثله، وتحداهم كلهم، فقال: عارضوني، وإن لم تعارضوني فأنتم كفار، مأواكم النار، ودماؤكم لي حلال، امتنع في العادة أن لا يعارضه أحد. فإذا لم

يعارضوه كان هذا من أبلغ العجائب الخارقة للعادة. والذي جاء بالقرآن قال للخلق كلهم: أنا رسول الله إليكم جميعًا، ومن آمن بي دخل الجنة، ومن لم يؤمن بي دخل النار، وقد أبيح لي قتل رجالهم، وسبي ذراريهم، وغنيمة أموالهم، ووجب عليهم كلهم طاعتي، ومن لم يطعني كان من أشقى الخلق، ومن آياتي هذا القرآن، فإنه لا يقدر أحد على أن يأتي بمثله، وأنا أخبركم أن أحدًا لا يأتي بمثله. فيقال: لا يخلو إما أن يكون الناس قادرين على المعارضة أو عاجزين. فإن كانوا قادرين، ولم يعارضوه، بل صرف الله دواعي قلوبهم، ومنعها أن تريد معارضته مع هذا التحدي العظيم، أو سلبهم القدرة التي كانت فيهم قبل تحديه، فإن سلب القدرة المعتادة أن يقول رجل: معجزتي أنكم كلكم لا يقدر أحد منكم على الكلام ولا على الأكل والشرب، فإن المنع من المعتاد كإحداث غير المعتاد– فهذا من أبلغ الخوارق. وإن كانوا عاجزين، ثبت أنه خارق للعادة، فثبت كونه خارقًا على تقدير النقيضين؛ النفي والإثبات. فثبت أنه من العجائب الناقضة للعادة في نفس الأمر". (١٣٣)

وكلام شيخ الإسلام ابن تيمية آنفًا يدل على أنه يرد القول بالصرفة ولا يقبله، بل ويعتبره من أضعف ما قيل في بيان أوجه الإعجاز، وهو في ضوء كلامه آنفًا لا يقبله إلا على سبيل التنزل مع المخالف. ولذا قال في محض كلامه: (فهذا غاية التنزل، وإلا فالصواب المقطوع به أن الخلق كلهم عاجزون عن معارضته، لا يقدرون على ذلك، ولا يقدر محمد ﷺ نفسه من تلقاء نفسه على أن يبدل سورة من القرآن، بل يظهر الفرق بين القرآن وسائر كلامه لكل من له أدنى تدبر...).(١٣٤)

٢- **الباقلاني:** قال الباقلاني الأشعري: "وما يبطل القول بالصرفة أنه لو كانت المعارضة ممكنة، وإنما منع منها الصرفة، لم يكن الكلام معجزًا، وإنما يكون المنع معجزًا فلا يتضمن الكلام فضيلة على غيره في نفسه، وقال أيضًا: وليس هذا بأعجب من قول فريق منهم أن الكل قادرون على الإتيان بمثله، وإنما تأخروا عنه لعدم العلم بوجه ترتيب لو تعلموه لوصلوا إليه به ولا بأعجب من قول آخرين، أن العجز وقع منهم، وأما من بعدهم ففي قدرته الإتيان بمثله، وكل هذا لا يعتد به".(١٣٥). وقال أيضًا: "فإن قيل: فلم زعمتم أنّ البلغاء عاجزون عن الإتيان بمثله مع قدرتهم على صنوف البلاغات وتصرُّفِهم في أجناس الفصاحات، وهلَّا قلتم: إنَّ من قدر على جميع هذه الوجوه بوجه من هذه الطرق الغريبة كان على مثل نظم القرآن قادرًا، وإنما يصرفه عنه ضرب من الصرف، أو يمنعه من الإتيان بمثله ضرب من المنع، أو تقصر دواعيه إليه دونه مع قدرته عليه ليتكامل ما أراده الله تعالى من الدلالة،

ويحصل ما قصده من إيجاب الحجة؛ لأن من قدر على نظم كلمتين بديعتين لم يعجز عن نظم مثلهما، وإذا قدر على ذلك على ضمّ الثانية إلى الأولى، وكذلك الثالثة حتى يتكامل قدر الآية والسورة. ونرى من هذا أنَّ القائلين بهذا القول يشككون في مرتبة القرآن وكونه من عند الله تعالى من غير أن يقدموا دليلًا، بل إنَّ القصد الذي يبدو من لحن القول والدعوى هو التشكيك المجرَّد في علوِّ البلاغة القرآنية، ومن وراء ذلك التشكيك ما يريدون من توهين ثم دعاوي بأنه من صنع محمد ﷺ، وهكذا يسير الخط من الاحتمالات تنافي الواقع إلى توهين لأمر القرآن، إلى ادِّعاء أنه ليس من عند الله".(١٣٦)

٣- **الخطابي:** أما الخطابي فقد رد القول بالصَّرْفة بعد أن بين معناها ووضح مفهومها ومقصدها عند من قال بها، ثم عقب ذلك بقوله: "...لأن دلالة الآية تشهد بخلافه، وهي قوله سبحانه ﴿قُلْ لَئِنْ اجَتَمعَتِ الإنسُ والجِنُّ عَلى أَنْ يأتُوا بمثْلِ القُرآنِ لا يأتُونَ بمِثْلِهِ وَلوْ كانَ بَعْضُهمْ لبعضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء، ٨٨]، فأشار في ذلك إلى أمر طريقة التكلف والاجتهاد، وسبيله التأهب والاحتشاد، والمعنى في الصرفة التي وصفوها لا يلاءم هذه الصفة، فدل على أن المراد غيرها والله أعلم (١٣٧). والخطابي هنا يرد الصَّرْفة ويرد على القائلين بها بحجية آية التحدي في الإسراء، ومع ذلك فإن القائلين بها استدلوا بنفس الآية مع إنها حجة عليهم لا لهم، والخطابي حينما يستدل بآية الإسراء التي هي عمدة الاستدلال كأنه يشير إلى أن الآية واضحة الدلالة وواضحة المعاني لا تحتاج لزيادة تأويل.

٤-**الإيجي:** يقول الإيجي: "لو سلبوا القدرة -أي العرب- كما قال به -الشريف الرضي- لعلموا ذلك من أنفسهم ولتناطقوا به عادة ولتواتر عنهم ذلك التناطق لجريان العادة بالتحدث بخوارق العادات لكنه لم يتواتر قطعًا".(١٣٨).

٥- **الزركشي:** أما الزركشي فيقول في "البرهان" في محض كلامه عن إبطال الصَّرْفة والرد على النَّظام ما يلي: "إن الله صرف العرب عن معارضته وسلب عقولهم وكان مقدورا لهم لكن عاقهم أمر خارجي فصار كسائر المعجزات وهو قول فاسد بدليل قوله تعالى: ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا﴾ (الإسراء: ٨٨) فإنه يدل على عجزهم مع بقاء قدرتهم ولو سلبوا القدرة لم يبق فائدة لاجتماعهم لمنزلته منزلة اجتماع الموتى وليس عجز الموتى بكبير يحتفل بذكره هذا مع أن الإجماع منعقد على إضافة الإعجاز إلى القرآن فكيف يكون معجزًا غيره وليس فيه صفة إعجاز بل المعجز هو الله تعالى حيث سلبهم

قدرتهم عن الإتيان بمثله وأيضا يلزم من القول بالصَّرْفة فساد آخر وهو زوال الإعجاز بزوال زمان التحدي وخلو القرآن من الإعجاز وفي ذلك خرق لإجماع الأمة فإنهم أجمعوا على بقاء معجزة الرسول العظمى ولا معجزة له باقية سوى القرآن وخلوه من الإعجاز يبطل كونه معجزة". ([١٣٩])

٦- **الرافعي:** وعلى الجملة فإن القول بالصَّرْفة لا يختلف عن قول العرب فيه "يقول الرافعي: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾ (المدثر:٢٤)، وهذا زعم رده الله على أهله، وأكذَبهم فيه، وجعل القول به ضربًا من العمى.. ﴿أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ (الطور: ١٥) فاعتبر ذلك بعضه ببعضه فهو كالشيء الواحد".(١٤٠) وهذا القول:(يعني القول بالصَّرْفة) باطل من وجوه: الوجه الأول: إنه لو صح لكان الإعجاز في الصرفة لا في القرآن ذاته، وهو باطل بالإجماع، الوجه الثاني: إنه لو صح لكان تعجيزًا لا إعجازًا؛ لأنه يكون بمثابة ما لو قطعنا لسان إنسان وكلفناه بالكلام، فهو من باب التعجيز وليس من باب العجز. الوجه الثالث: قوله تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (الإسراء:٨٨)، فإنه يدل على عجزهم مع بقاء قدرتهم، ولو سُلِبوا القدرة لم يبق فائدة لاجتماعهم فإنه يصبح بمنزلة اجتماع الموتى، وليس عجز الموتى بالأمر الكبير الذي يُحتفل بذكره".([١٤١]) وإنَّ رواج تلك الفكرة يؤدي إلى أمرين: أولهما: إنَّ القرآن الكريم ليس في درجة من البلاغة والفصاحة تمنع محاكاته، وتعجز القدرة البشرية عن أن تأتي بمثله، فالعجز ليس من صفات القرآن الذاتية. وثانيهما: الحكم بأنه ككلام الناس لا يزيد عليه شيء في بلاغته، أو في معانيه. (١٤٢).

٧- **الجرجاني:** والجرجاني ممن قال ببطلان الصَّرْفة في "الشافية" ويرد على من حصر التحدي في إعجاز القرآن في النظم واللفظ والمعنى فحسب فيقول: "...فإن قلت: فكيف الكلام عليهم، إذا ذهبوا في "الصَّرْفة" إلى الوجه الآخر، فزعموا أن التحدي كان أن يأتوا في أنفس معاني القرآن بمثل نظمه ولفظه؟ وما الذي دل على فساده؟ فإن على فساد ذلك أدلة منها قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَاتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ﴾ [هود: ١٣]، وذاك أنا نعلم أن المعنى: فأتوا بعشر سور تفترونها أنتم وإذا كان المعنى على ذلك، فبنا أن ننظر في الافتراء إذا وصف المعنى، وإذا لم يرجع إلا إلى المعنى وجب أن يكون المراد: إن كنتم تزعمون أني قد وضعت القرآن وافتريته، وجئت به من عند نفسي، ثم زعمت أنه وحي من الله، فعضوا([١٤٣]) أنتم أيضًا عشر سور وافتروا معانيها كما زعمتم أني افتريت معاني القرآن(١٤٤)، وفي موضع

موضع آخر يقول في رده على الشريف الرضي الشيعي بقوله: "...أنه كان ينبغي لهم لو أن العرب كانت منعت منزلة من الفصاحة قد كانوا عليها أن يعرفوا ذلك من أنفسهم، كما قدمت، ولو عرفوا لكان يكون قد جاء عنهم ذكر ذلك، ولكانوا قد قالوا للنبي ﷺ: "إنا كنا نستطيع قبل هذا الذي جئتنا به، ولكنك قد سحرتنا، واحتلت في شيء حال بيننا وبينه"، فقد نسبوه إلى السحر في كثير من الأمور، كما لا يخفى، وكان أقل ما يجب في ذلك أن يتذاكروه فيما بينهم، ويشكوه البعض إلى البعض، ويقولوا: "ما لنا قد نقصنا في قرائحنا، وقد حدث كلول في أذهاننا" ففي أن لم يرو ولم يذكر أنه كان منهم قول في هذا المعنى، لا ما قل ولا ما كثر، دليل [على] أنه قول فاسد، ورأى ليس من آراء ذوى التحصيل([١٤٥]). وفي موضع آخر من "الشافية" في محض دفاعه عن إعجاز القرآن والرد على القائلين بالصرفة بما جاء عن العرب في شأن القرآن من أخبار فيقول أيضًا: "ومنها الأخبار التي جاءت عن العرب في تعظيم شأن القرآن وفي وصفه بما وصفوه به من نحو: "إن عليه لطلاوة، وإن له لحلاوة، وإن أسفله لمغدق، وإن أعلاه لمثمر"([١٤٦])، وذاك أن محالًا أن يعظموه، وأن يبهتوا عند سماعه، ويستكينوا له، وهم يرون فيما قالوه وقاله الأولون ما يوازيه، ويعلمون أنه لم يتعذر عليهم لأنهم لا يستطيعون مثله([١٤٧]). ويقول في موضع آخر من "الشافية" في نهاية قوله بإبطال الصرفة والرد على قائليها أيضًا: "....ينبغي أن يقال: ما هذا الذي أخذتم به أنفسكم؟ وما هذا التأويل منكم في عجز العرب عن معارضة القرآن؟ وما دعاكم إليه؟ وما أردتم منه؟ أأن يكون لكم قول يحكى، وتكونوا أمة على حدة، أم قد أتاكم في هذا الباب علم لم يأت الناس؟، فإن قالوا: أتانا فيه علم. قيل: أفمن نظر ذلك العلم أم خبر؟، فإن قالوا: من نظر. قيل لهم: فكأنكم تعنون أنكم نظرتم في نظم القرآن ونظم كلام العرب ووازنتم فوجدتموه لا يزيد إلا بالقدر الذي لو خلوا والاجتهاد وإعمال الفكر، ولم تفرق عنهم خواطرهم عند القصد إليه، والمقصد له لأتوا بمثله؟، فإن قالوا: كذلك نقول. قيل لهم: فأنتم تدعون الآن أن نظركم في الفصاحة نظر لا يغيب عنه شيء من أمرها، وأنكم قد أحطتم علمًا بأسرارها، وأصبحتم ولكم فيها فهم وعلم لم يكن للناس قبلكم. وإن قالوا: عرفنا ذلك بخبر. قيل: فهاتوا عرفونا ذلك، وأني لهم تعريف ما لم يكن، وتثبيت ما لم يوجد!.

ولو كان الناس إذا عن لهم القول نظروا في مؤداه، وتبينوا عاقبته، وتذكروا وصية الحكماء حين نهوا عن الورود حتى يعرف الصدر، وحذروا أن تجيء أعجاز الأمور بغير ما أوهمت الصدور إذا لكفوا البلاء، ولعدم هذا وأشباهه من فاسد الآراء،

ولكن يأتي الذي في طباع الإنسان من التسرع، ثم من حسن الظن بنفسه، والشغف بأن يكون متبوعًا في رأيه، إلا أن يخدعه وينسبه أنه موصى بذلك، ومدعو إليه، ومحذر من سوء المغبة إذا هو تركه وقصر فيه. وهي الآفة لا يسلم منها ومن جنايتها إلا من عصم الله. وإليه عز اسمه الرغبة في أن يوفق للتي هي أهدى، ويعصم من كل ما يوتع الدين، ويثلم اليقين، إنه ولي ذلك والقادر عليه(١٤٨). وقال أيضًا: "إنه لا يتصور الإعجاز بالصَّرْفة، وذلك لأنهم كانوا حينئذ يعارضونه بما اعتيد منهم من مثل القرآن الصادر عنهم قبل التحدي به، بل قبل نزوله، فإنهم لم يتحدوا بإنشاء مثله بل بالإتيان به فلهم بعد الصَّرْفة الواقعة بعد التحدي، أن يعارضوا القرآن بكلام مثله صادر عنهم قبل الصَّرْفة)(١٤٩).

٩- **السيوطي: يقول السيوطي مستدلا بآية التحدي في الإسراء:** "...فإنه يدل على عجزهم مع بقاء قدرتهم، ولو سلبوا القدرة، لم تبق فائدة لاجتماعهم، لمنزلته منزلة اجتماع الموتى، وليس عجز الموتى مما يحتفل بذكره،...". (١٥٠)

١٠- **الإجماع:** ومن أقوى الأقوال والردود والحجج الواردة في إبطال القول بالصَّرْفة الإجماع الذي حكاه القرطبي وقد مر معنا في طيات البحث ولا حرج من إعادة ذكره هنا لمسيس الحاجة إليه، والأمة لا تجتمع على ضلالة أبدًا كما صح الخبر بذلك عن خير البشر في قوله ﷺ: (إن الله قد أجار أمتي من أن تجتمع على ضلالة)(١٥١) وإجماع الأمة إنما كان قبل ظهور القول بالصَّرْفة على أن إعجاز القرآن ذاتي...وقد حكى القرطبي الإجماع في تفسيره (الجامع لأحكام القرآن)، فقال بعد أن ذكر قول القائلين بالصرفة: "وهذا فاسد، لأن إجماع الأمة قبل حدوث المخالف: أن القرآن هو المعجز، فلو قلنا: أن المنع والصَّرْفة هو المعجز، لخرج القرآن عن أن يكون معجزًا، وذلك خلاف الإجماع، وإن كان كذلك، علم أن نفس القرآن هو المعجز، لأن فصاحته وبلاغته أمر خارق للعادة، إذ لم يوجد كلام قط على هذا الوجه، فلما لم يكن ذلك الكلام مألوفًا معتادًا منهم، دل على أن المنع والصَّرْفة لم يكن معجزًا".(١٥٢).

ومن قال بالإجماع واستدل به على بطلان الصرفة كذلك على بن محمد الجرجاني (ت:٨١٢هـ) في شرح المواقف(١٥٣) والألوسي في روح المعاني(١٥٤). وفي الجملة فإن الرد على القائلين بالصَّرْفة يُعد من الأقوال كذلك، فلا يُظن أن أقوال العلماء منفردة في القول ببطلان الصَّرْفة فحسب، بل إن ردودهم تعد من أقوى أقوالهم كذلك، وهي وإن كانت كثيرة غير أنا تخيرنا أبرزها وأبينها على الدلالة ببطلان القول بالصَّرْفة.

المطلب الثالث: أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة

١- إن القول بالصَّرْفة زعم لا دليل عليه من العقل أو النقل.

٢- لقد انكشف نقض القول بالصَّرْفة وبطلانه بأدلة من القرآن والحديث والإجماع وبأدلة أخرى قوية حاسمة.

٣- إن القول بالصَّرْفة دحضه الواقع وكذَّبَهُ، فقد عرف تاريخ الدعوة الإسلامية أناسًا كذَّابين من العرب لم تنصرف هممهم عن محاولة معارضة القرآن بل بذلوا في ذلك كل همتهم وغاية اهتمامهم. فكانت معارضتهم وصمة عار أبدية في جباههم، وازدادت البصائر إكبارًا للقرآن المجيد وخصائص إعجازه الذاتية. ([١٥٥]).

ولعل فيما مضى معتبر لأهل البحث والنظر، ولا اعتبار لمن نظره وعقله عن وصوله الحق قصر. والحمد لله رب العالمين.

هوامش البحث:

---

[١]- ولا بد هنا من تعريف موجز لكلمتي: (جَنَى)، و(خُرْفَة). **أولًا: تعريف كلمة: (جَنَى) أ- جَنَى: (فعل):** جَنَى ثِمَارَ مَا غَرَسَ: قَطَفَهُ، غَنَمَهُ، وجَنَى لَهُ الثَّمَرَةَ: نَاوَلَهُ إِيَّاهَا. **ب- جَنى:(اسم)** الجمع: أَجْنَاءُ، أَجْنٍ، مصدر جَنَى: مَا يُجْنَى مِنَ الثَّمَرِ أَوِ العِنَبِ أَوِ العَسَلِ وَغَيْرِهِ وَاحِدَتُهُ جَنَاةٌ، يُقَالُ: أَتَانَا بِجِنَاةٍ طَيِّبَةٍ، والجَنَى: كلّ ما يُجْنى أو يقطف من الشجر، يُنظر: تعريف ومعنى جنى في معجم المعاني الجامع. **ثانيًا: تعريف كلمة:(الخُرْفَة)** الخُرْفَة: ما يُجْتَنى من الفَوَاكه في الخريف، وخرَفَ يَخرُف، خَرْفًا وخِرافًا، فهو خارِف، والمفعول مَخْروف وخريف. يُنظر: تعريف ومعنى خرفة في معجم المعاني الجامع. وفي الحديث الصحيح عَنْ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَزَلْ فِي خُرْفَةِ الْجَنَّةِ) قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: وَمَا خُرْفَةُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: (جَنَاهَا). رواه الإمام مسلم: (٢٥٦٨). والمعنى أن عائد المريض لا يزال يَجتنِي مِن خرفة الجنة وثمارِها مُدَّةَ بقائه عند المريض، فهو في خرفة الجنة وفي روضتها يلتقط من ثمارها ومُجتنَاهَا.

[٢]- يُنظر: موقع ميرا ث الأنبياء، عرفات بن حسن المحمدي، بتاريخ: ٢٠١٦/٩/١٥م. بتصرف.

[٣]- إعجاز القرآن الكريم بقلم: سامي عطا الجيتاوي-عن موقع دنيا الوطن، بتاريخ: ٢٠٠٦/٦/١٥م.

[٤]- تفسير الطبري: (٧٥/١٥)

[٥]- لسان العرب – مادة صرف- لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري (ت: ٧١١ هـ) – دار صادر – بيروت ١٩٥٥م.

[٦]- يُنظر: تفسير الطبري: (٩٤/١٢).

[٧]- لسان العرب – مادة صرف مرجع سابق: مادة (صرف).

[٨]- المرجع السابق: مادة (صرف).

[٩]- الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين، دار ومكتبة الهلال، (بدون ذكر الطبعة وسنة النشر)، ت: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، (ج ٧/ص ١٠٩).

[١٠]- الأصفهاني، الحسين بن محمد المعروف بالراغب(ت: ٥٠٢هـ)، المفردات، دار القلم، الدار الشامية- دمشق بيروت،(ط: الأولى-١٤١٢هـ)، ت: صفوان عدنان الداودي، (ج١/ص ٤٨٢).

[11]– معجم مقاييس اللغة: (٣٤٢/٣).
[12]– القلقشندي، أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، نشر: دار الفكر – دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م) تحقيق: د. يوسف علي طويل (ج ٢، ص ١٧٧).
[13]– ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم الدينوري، أدب الكتّاب، (ج ١، ص ٢٠).
[14]– السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، الناشر: دار الكتب العلمية– بيروت، (الطبعة الأولى، ١٩٩٨) تحقيق: فؤاد علي منصور، (ج ٢، ص ٤٤٦).
[15]– ابن سيده، علي بن إسماعيل، المخصص، دار إحياء التراث العربي– بيروت– ١٤١٧هـ ١٩٩٦م،الطبعة: الأولى، تحقيق: خليل إبراهم جفال، (ج ٢، ص ٣٦٩).
[16]– ابن منظور، لسان العرب، (ج ٩، ص ١٨٩).
[17]– ابن سيده، المخصص، (ج ١، ص ٣٧٥).
[18]– يُنظر: الصرفة ونشأتها بين مؤيد ومعارض لمحمد فقهاء، بحث عن موقع الألوكة: (ص: ١٠).
[19]– البرهان في علوم القرآن – لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت:٧٩٤) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم – الطبعة الأولى – دار إحياء الكتب العربية، مصر ٥١٣٧٦– ١٩٥٧م، ج٢/ص٩٣ ...، ويُنظر: الاتقان في علوم القرآن – لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١ للهجرة) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم – دار التراث بالقاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ–١٩٨٥م ....ج٢/ص ١١٨.
[20]– الرماني، علي بن عيسى، النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله ود. محمد زغلول سلام، دار المعارف، ط ٤،القاهرة (ص ١١٠).
[21]– الخطابي، حمد بن محمد أبو سليمان، بيان إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله ود. محمد زغلول سلام، دار المعارف، ط ٤،القاهرة (ص٢٣).
[22]– مباحث في علوم القرآن: مناع القطان(ت: ١٤٢٠هـ)، " ص: ٢٦١)،الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الطبعة: الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ– ٢٠٠٠م عدد الأجزاء: ١.
[23]– سر الفصاحة: (ص: ١٠٠).
[24]– النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: (ص: ١١٠).
[25]– المعجزة الكبرى القرآن: ص٧٩.
٢٦– الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز – ليحيى بن حمزة الحسيني اليمني الطالبي الملقب بالمؤيد باللَّه (المتوفى: ٧٤٥هـ)– طبع في مصر في ثلاثة أجزاء، طبعة المتقطف عام ١٣٣٣ للهجرة. ج٣/ص ٢٩١.ويُنظر: إعجاز القرآن – للأستاذ علي العماري – سلسلة الثقافة الإسلامية – عدد ٤٤، حزيران ١٩٦٣م، القاهرة. وانظر البيان في إعجاز القرآن – للدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي – دار عمار – عمان – ص ٨٢–٨٣.
[27]– الجامع لأحكام القرآن: (٧٦/١).
[28]– المعجزة الكبرى القرآن لمحمد أبو زهرة ص٧٦.
[29]– والفيدا: كتاب يشمل أربعة كتب مقدسة للهندوس، وقد كتب باللغة السنسكريتية – يُنظر كتاب: مشكلة الألوهية د. محمد غلاب– ص٩٧. ويُنظر: موسوعة المورد: للبعلبكي– ج١٠/ص ٨٢
[30]– براهما: من آلهة الهندوس، وهو عندهم مرادف للمطلق الأعلى أو (الأتمان) – يُنظر: المرجع السابق ص ٩٨
[31]– يُنظر: الإعجاز البياني: د .محمد أبو موسى ص٣٥٨. ط٢. مكتبة وهبة: ١٤١٨هـ.

[٣٢]- عن مدونة: نورة الشريف: بتاريخ:٢٠٠٨/٦/١٣م.
[٣٣]- يُنظر: المعجزة الكبرى- القرآن: لمحمد أبي زهرة- ص٦٩-٧١، طبع دار الفكر العربي بالقاهرة- (د- ت).
[٣٤]- إعجاز القرآن الكريم بقلم: سامي عطا الجيتاوي-عن موقع دنيا الوطن، بتاريخ: ٢٠٠٦/٦/١٥م. بتصرف.
[٣٥]- مصطفى صادق الرافعي (١٢٩٨- ١٣٥٦هـ = ١٨٨١- ١٩٣٧ م)، مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعى: عالم بالأدب، شاعر، من كبار الكتاب. أصله من طرابلس الشام، ومولده في بهتيم (بمنزل والد أمه) ووفاته في طنطا (بمصر) أصيب بصمم فكان يكتب له ما يراد مخاطبته به. شعره نقي الديباجة، على جفاف في أكثره. ونثره من الطراز الأول. له عدد من الدواوين الشعرية و الأدبية، وغيرها من المصنفات. يُنظر: المنتخب من أدب العرب ١: ٥٥ ومحمود بسيوني، في مجلة الرابطة العربية ١٨ ربيع الأول ١٣٥٧ والمقتطف ٧٣: ٣٥٢ وتراجم علماء طرابلس ٢١١ في آخر ترجمة عمه عبد الحميد بن سعيد الرافعي ومعجم المطبوعات ٩٢٦ والفهرس الخاص- خ وتعليقات عبيد. مع تصرف واختصار يسير من الباحث.
[٣٦]- إبراهيم بن سيّار بن هانئ البصري أبو إسحاق النظّام، من أئمة المعتزلة، ذكروا أن له كتبًا كثيرة في الفلسفة والاعتزال، وقال عنه الجاحظ: في كل ألف سنة رجل لا نظير له فإن كان ذلك صحيحًا فأبي إسحاق من أولئك. (ت: ٢٣١هـ). الأعلام: (٤٣/١)، فوات الوفيات: (٢٣/١).، وقيل: (ت: ٢٢٤هـ).
[٣٧]- الرافعي، مصطفى صادق بن عبد الرزاق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثامنة- ١٤٢٥ هـ- ٢٠٠٥ م، (ص ١٠١).
[٣٨]- التركي، إبراهيم بن منصور، القول بالصرفة في إعجاز القرآن الكريم، بحث منشور على الشبكة بصيغة: بي دي إف، (ص: ٧).
[٣٩]- البغدادي، عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي أبو منصور، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، دار الآفاق الجديدة – بيروت الطبعة الثانية، ١٩٧٧،
[٤٠]- شَاهْفُوْرُ أَبُو المُظَفَّر طَاهِرُ بنُ مُحَمَّدٍ الإِسْفَرَايِيْنِيُّ، العَلاَّمَةُ، المُفْتِي، أَبُو المُظَفَّر طَاهِرُ بنُ مُحَمَّدٍ الإسفرايينيّ، ثُمَّ الطُّوْسِيُّ، الشَّافِعِيُّ، صَاحِبُ (التَّفْسِيْر الكَبِيْر).كَانَ أَحَدُ الأَعْلاَمِ. حَدَّثَ عَنِ: ابْنِ مَحمِش، وَأَصْحَاب الأَصَمّ .رَوَى عَنْهُ: زَاهِرٌ الشَّحَّامِيّ، وَغَيْرهُ صَاهر الأُسْتَاذ أَبَا مَنْصُوْرٍ البَغْدَادِيّ .تُوُفِّيَ: بطُوسَ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَسَبْعِيْنَ وَأَرْبَعِ مائَة .سير أعلام النبلاء (٤٠١/١٨).
[٤١]- الإسفراييني، طاهر بن محمد أبو المظفر، ت ٤٧١ هـ، التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، المحقق: كمال يوسف الحوت، عالم الكتب- لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م، (ص ٧١).
[٤٢]- عبارة "نطق بِهِ الْقُرْآن" وما في نحوها لا تليق بالقرآن أبدًا، لأن الذي ينطق ويتكلم هو المخلوق، والقرآن الذي هو كلام الله "منزل غير محلوق". الباحث.
[٤٣]- التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، ص ٧٤
[٤٤]-عَضُد الدين الإيجي: (.....٧٦٥هـ-.....-١٣٥٥م)عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار، أبو الفضل، عَضُد الدين الإيجي: عالم بالأصول والمعاني والعربية. من أهل إيج (بفارس) ولي القضاء، وأنجب تلاميذ عظامًا. وجرت له محنة مع صاحب كرمان، فحبسه بالقلعة، فمات

مسجونًا. يُنظر: بغية الوعاة ٢٩٦، ومفتاح السعادة ١: ١٦٩، والدرر الكامنة ٢: ٣٢٢ وطبقات السبكي ٦:، والكتب خانة ٤: ١٤٥ ثم ٧: ١٦٠، ومعجم المطبوعات ١٣٣١

[٤٥]- الإيجي، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد، المواقف، دار الجيل – بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧،تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة، (ج ٣، ص ٦٦١).

[٤٦]- السابق، ص ٦٦٣

[٤٧]- يُنظر: الصرفة ونشأتها بين مؤيد ومعارض لمحمد فقهاء، بحث عن موقع الألوكة: (ص:٢٠).

[٤٨]- الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، المؤلف: د. مانع بن حماد الجهني (ت: ١٤٢٣هـ)، الناشر: دار الندوة للنشر؛ عدد المجلدات:٢. (ص:٦٩)، المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية: (ص:٧٣).

[٤٩]- ناصر العقل: الجهمية والمعتزلة ص١٢٧.

[٥٠]- شيخ الإسلام ابن تيمية: مجموع الفتاوى: (٢٠/٥)

[٥١]- السمنية: بعض فلاسفة الهند، وهم الذين يجحدون من العلوم ما سوى الحسيات. يُنظر: شيخ الإسلام ابن تيمية: مجموع الفتاوى: (٢٢/٥).

[٥٢]- نقل شيخ الإسلام ابن تيمية عن ابن عبد البر قوله: "أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز، إلا أنهم لا يكيفون شيئًا من ذلك، ولا يَحُدُّون فيه صفة محصورة، وأما أهل البدع الجهمية والمعتزلة كلها والخوارج فكلهم ينكرها ولا يحمل شيئًا منها على الحقيقة، ويزعمون أن من أقر بها مشبِّه وهم- عند من أقر بها- نافون للمعبود، والحق فيها ما قال القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وهم أئمة الجماعة. يُنظر: شيخ الإسلام ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٢٦٤/٣.)

[٥٣]- يُنظر: الندوة العالمية للشباب الإسلامي: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة: (ص:٦٤) وما بعدها.

[٥٤]- واصل بن عطاء الغزَّال، البصري المتكلم، كبير المعتزلة، ولد سنة (٨٠هـ) ومات سنة (١٣١ هـ)، كان تلميذًا للحسن البصري فحصل خلاف بينه وبين شيخه الحسن البصري، فطرده من مجلسه.

[٥٥]- الشهرستاني: الملل والنحل ٦١/١، ٦٢.

[٥٦]-البغدادي: الفرق بين الفرق: (ص١٠٥).

[٥٧]-المرجع السابق نفسه: (ص١٠٨).

[٥٨]- ضحى الإسلام- أحمد أمين: (٨٦/٣). بتصرف. والكاتب "أحمد أمين"-هذا- أحد رؤوس العصرانيين "العقلانيين" في عصرنا، ممن عظموا العقل حتى ردوا به أحاديث المعصوم ﷺ، وانتصروا للمعتزلة ضد أهل السنة- وطالع ما يقول عنه ولده جلال في مذكراته: (ص٣٠٣-٣٠٤) يتبين لك أمر الرجل.

[٥٩]- الانتصار: (ص:١٢٦).

[٦٠]- رواه البخاري: (٦٢١٢)، ومسلم: (٢٢٩٠).

[٦١]- الاعتصام: (٩٦/١).

[٦٢]- شرح النووي على مسلم: (١٣٦/٣، ١٣٧).

[٦٣]- التذكرة في أحوال الموتى والدار الآخرة: (ص ٣٥٢)

[٦٤]- يُنظر: أبو زهرة، المعجزة الكبرى للقرآن، ص: ٥٩، الشاملة الحديثة.

[٦٥]- الحيوان للجاحظ: (٢٢٩/٢-٢٣٠) .

[٦٦]- يُنظر: أبو زهرة، المعجزة الكبرى للقرآن، (ص: ٥٩)، الشاملة الحديثة.
[٦٧]-النظامية أصحاب إبراهيم بن سيار بن هانئ النظّام طالع كثيرًا من كتب الفلاسفة وخلط كلامهم بكلام المعتزلة. يُنظر: الملل والنحل-الشهرستاني: (٦١/١).
[٦٨]-المعتزلة - زهدي حسن جار الله- منشورات النادي العربي في يافا- ١٩٤٧م- ص١٢٠-١٢٩.
-[٦٩]الثنوية: قوم يزعمون أن النور والظلمة أزليان قديمان، يُنظر: الملل والنحل: للشهرستاني: الإمام أبي الفتح بعد الكريم (ت: ٥٨٤ هـ) ج ١/ص ٨٠ بهامش الفصل. دار صادر - بيروت.
[٧٠]- السمنية: فرقة هندية قالت بقدم العالم وبتناسخ الأرواح -يُنظر: الفرق بين الفرق - للبغدادي الفصل الثاني عشر ص ٢٧٠.
[٧١]- الفرق بين الفرق: لعبد القاهر بن طاهر البغدادي (ت ٤٢٩هـ) ص ١٢٨-١٥٠، تحقيق - لجنة إحياء التراث العربي- بيروت - ١٩٨٧م.
[٧٢]- مباحث في إعجاز القرآن - د. مصطفى مسلم، الطبعة الثانية - دار المسلم بالرياض - سنة ١٩٩٦م، نقلا عن لوامع الأنوار لمحمد بن أحمد السفاريني - ج١/ص ٧٨.
[٧٣]-الملل والنحل - للشهرستاني: ج١/ص ٦٧ بهامش الفصل.
[٧٤]- إعجاز القرآن الكريم(مرجع سابق) بقلم: سامي عطا الجيتاوي-عن موقع دنيا الوطن، بتاريخ: ٢٠٠٦/٦/١٥م. بتصرف.
[٧٥]-الملل والنحل للشهرستاني: (٦٨/١). بتصرف يسير.
[٧٦]- وذلك لأن المعتزلة يقولون بخلق القرآن، وأما أهل السنة فيقولون بأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق. الباحث.
[٧٧]- المرجع السابق: (٦٩/١).
[٧٨]-طبقات المعتزلة ص٧٠ الفرق بين الفرق ص١٥٤ د، عمر السلامي؛ الإعجاز الفني في القرآن ص ٥٢ . ٦٥
[٧٩]-الملل والنحل للشهرستاني: (٦٨/١).
[٨٠]- الفرق بين الفرق - ص ١٥٤.
[٨١]- ابن النديم ؛ الفهرست ٢٦٩ ـ ٢٨٠
[٨٢]- طبقات المعتزلة ٦٩
[٨٣]- أبو حيان التوحيدي الإمتاع والمؤانسة: (١٤١/١).
[٨٤]- العلامة المتبحر، ذو الفنون، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب البصري المعتزلي، صاحب التصانيف. أخذ عن النظام. وروى عن: أبي يوسف القاضي، وثمامة بن أشرس. قال ثعلب: ما هو بثقة. قلت: كان ماجنًا قليل الدين، له نوادر مات سنة خمسين ومائتين. وقال الصولي: مات سنة خمس وخمسين ومائتين.سير أعلام النبلاء: (٥٢٧/١١). بتصرف.
- [٨٥]نقلاً عن الإعجاز البياني: (ص: ٣٦٠).
[٨٦]-إعجاز القرآن للرافعي: (ص: ١٠٢)
[٨٧]-محمود شاكر: مداخل إعجاز القرآن، (ص: ٥٦-٦٨)
[٨٨]-الإعجاز البلاغي للدكتور. محمد أبو موسى،(ص: ٣٧٠)، ويُنظر مدونة: نورة الشريف- بتاريخ:٢٠٠٨/٦/١٣م.
[٨٩]- إعجاز القرآن - مصطفى صادق الرافعي - طبع المقتطف سنة ١٩٢٨م - ص ١٦٥.
[٩٠]- أبو الحسن الرماني(٢٩٦- ٣٨٤هـ = ٩٠٨- ٩٩٤م). باحث معتزلي مفسر. من كبار النحاة. أصله من سامراء، ومولده ووفاته ببغداد. يُنظر: بغية الوعاة ٣٤٤ ووفيات الأعيان ١: ٣٣١

وسير النبلاء- خ. الطبقة الحادية والعشرون. وتاريخ بغداد ١٢: ١٦ ونزهة الألباب ٣٨٩ ومفتاح السعادة ١: ١٤٢ وإنباه الرواة ٢: ٢٩٤.

[٩١]- النكت في إعجاز القرآن – علي بن عيسى الرماني – (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) الطبعة الثالثة دار المعارف بمصر – ص١١٠ تحقيق محمد خلف الله أحمد وزميله.

٩٢- القاضِي عبد الجبار(٠٠٠- ٤١٥هـ = ٠٠٠- ١٠٢٥م).عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمذاني الأسد أبادي، أبو الحسين المعتزلي: العلامة المتكلم، شيخ المعتزلة، أبو الحسن الهمذاني صاحب التصانيف، من كبار فقهاء الشافعية ولي قضاء القضاة بالري، وتصانيفه كثيرة تخرج به خلق في الرأي الممقوت. مات في ذي القعدة سنة خمس عشرة وأربعمائة من أبناء التسعين. سير أعلام النبلاء، الطبقة الثانية والعشرون، القاضي عبد الجبار (٢٥٤/١٧).

[٩٣]-التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة–د. وليد قصاب- الدوحة- دار الثقافة- ط أولى سنة ١٩٨٥م- ص٣٢٠.

[٩٤]- المغني في أبواب التوحيد والعدل- ج ١٦- للقاضي عبد الجبار- تحقيق: أمين الخولي – وزارة الثقافة والإرشاد القومي – بمصر ج١٦/ص ٣٢٣.

[٩٥]-المرجع السابق ج١٦/ص ٣٢٤.

[٩٦]- المرجع السابق نفسه، ونفس الجزء والصفحة.

[٩٧]- المرجع السابق ج١٦/ص٣٢٥.

[٩٨]- إعجاز القرآن الكريم(مرجع سابق) بقلم: سامي عطا الجيتاوي–عن موقع دنيا الوطن، بتاريخ: ٢٠٠٦/٦/١٥م. بتصرف يسير.

[٩٩]- الشهرستاني: الملل والنحل، بهامش الفصل: (١٣٥: . ١٣٦) وجل هذه الأقوال نقلًا من بحث الصَّرْفة للدكتور/سامي عطا حسن. بتصرف

[١٠٠]- محمد بن أحمد السفاريني: لوامع الأنوار البهية: (١٧٥/١).

[١٠١]- الرازي: مفاتيح الغيب ١١٦\١١ . ١١٧، ومحسن عبد الحميد: الرازي مفسرًا (ص:٢٣٣ . ٢٣٤).

[١٠٢]- ابن كثير: تفسير القرآن العظيم: (٦٠/١).

[١٠٣]- تفسير ابن كثير: (١١٧/٥).

[١٠٤]- القاضي عضد الدين الإيجي: شرح المواقف ٨\٦٤٦

[١٠٥]- مقدمة جامع التفاسير: (ص:١٠٤)، السيوطي: معترك الأقران في إعجاز القرآن: (٦.٥/١).

[١٠٦]-الماوردي: أعلام النبوة: (ص: ٨٥ . ٨٦).

[١٠٧]- الماوردي: تفسير النكت والعيون: (٣٠/١ . ٣١).

[١٠٨]- الجويني: العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية: (ص: ٧٢ . ٧٣).

[١٠٩]- الغزالي: الاقتصاد في الاعتقاد: (ص: ١٢٩ ـ ١٣٠).

[١١٠]- الفصل في الملل: (١٢/٣).

[١١١]- الإلهيات، جعفر السبحاني(م) جعفر بن محمد حسين السبحاني الخياباني التبريزي- منشورات المركز العالمي للدراسات الإسلامية، إيران: (الطبعة الأولى، ١٤٠٩ – ١٩٨٩م)، عدد الأجزاء٤، ص٣٤١، نقلًا عن: أوائل المقالات للشيخ المفيد: (ص: ٣١).

[١١٢]- الإلهيات جعفر السبحاني- المرجع السابق، ويُنظر: الاقتصاد للطوسي: (ص: ١٧٢).

[١١٣]- الإلهيات جعفر السبحاني، مرجع سابق، (ص: ٣٤١) نقلًا عن: أوائل المقالات- للمفيد: (ص:٣١)، نقلًا عن: بحار الأنوار للمجلسي: (١٣٧/٩٢)، نقـــلًا عن: الاقتصاد للطوسي:

(ص: ١٧٢).

١١٤- ابن سنان الخفاجي: سرّ الفصاحة: (ص: ٨٩ . ٢١٧).

١١٥- يُنظر: الصَّرْفة دلالتها لدى القائلين بها وردود المعارضين لها د .سامي عطا الجيتاوي: (صـ: ١٩) وما بعدها، من مبحث القائلين بالصَّرْفة من أهل السنة، وقصده بأهل السنة كل الفرق المخالفة للشيعة كما هو مقرر معلوم عندهم.

١١٦- الجامع لحكام القرآن–لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي: (ت: ٦٧١هـ) دار الكتب العلمية–بيروت١٩٩٣م–المجلد الأول١-٢/ص:٥٤

١١٧- المعجزة الكبرى–القرآن– لمحمد أبي زهرة– دار الفكر العربي بالقاهرة: (ص: ٧٤).

١١٨- الدر المنثور في التفسير بالمأثور: (٤٤٢/٩)

١١٩- تفسير البغوي: (١٢٧/٥).

١٢٠- تفسير ابن كثير: (١١٧/٥).

١٢١- التحرير والتنوير :(٣٠٢/١٦).

١٢٢- الإتقان: (١٠٠٦/٢).

١٢٣- تفسير القرآن العظيم (٥٩/١-٦٠) بتصرف.

١٢٤- يُنظر: المستدرك على الصحيحين للنيسابوري– كتاب التفسير –تفسير سورة المدثر –مدح كلام الله من لسان الكافر: مسألة:(١٥٠٦)، (٣٩٢٦)، قال النيسابوري: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري ولم يخرجاه.، ورواه الحاكم: في كتاب التفسير (٣٨٧٢) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي، وصححه الألباني، يُنظر: صحيح السيرة النبوية ص١٥٩. وضعفه الذهبي وحكم عليه بالإرسال كما في تاريخ الإسلام: (١٥٤/١) وقال: روي مرسلاً، وضعفه كذلك مقبل بن هادي الوادعي في صحيح أسباب النزول: (٢٦٢/١). وثبوت الأثر عند الباحث محل نظر، لوجود اضطراب لدى المحققين في ثبوته وصحته.

١٢٥- وأثر: عتبة بن ربيعة ضعيف: وقد أخرج قصة عتبة بن ربيعة ابن إسحاق فيما ذكر ابن هشام (٢٩٣/١-٢٩٤) ومن طريقه البيهقي في دلائل النبوة (٢٠٤/٢-٢٠٥). حديث رقم: (٥٣٦)، الاعتقاد إلى سبيل الرشاد للبيهقي: حديث رقم: (٢٦٢). والأثر: إسناده ضعيف لأن به موضع إرسال، وفيه أحمد بن عبد الجبار العطاردي وهو ضعيف الحديث.

١٢٦- رواه الشيخان: البخاري، كتاب الأدب، باب هجاء المشركين، (١٠٧/٧) وصحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل حسان بن ثابت رضي الله عنه، (١٩٣٣/٤)، وغيرهما...

١٢٧- سُجَاح بنت الحارث بن سويد بن عقفان امرأة نجدية من بني تميم. ادعت النبوة في الردة وتبعها قوم ثم صالحت مسيلمة وتزوجته ثم بعد قتله عادت إلى الإسلام فأسلمت وعاشت إلى خلافة معاوية ذكر ذلك صاحب التاريخ المظفري: (١٩٨/٨). ويُنظر: الإصابة في تمييز الصحابة: رقم:(١١٣٦١) (ص:١٠٢).

١٢٨- حكى القرطبي أن بعض أصحاب الصرفة زعموا أن العرب صرفوا عن القدرة على القرآن ولو تعرضوا له لعجزوا عنه، وأن البعض الآخر زعموا أن العرب صرفوا عن التعرض للقرآن مع كونه في مقدورهم، ولو تعرضوا له لجاز أن يقدروا عليه، بمعنى أنهم لم يأتوا بمثله سابقا، غير أنه لا يخرج عن حدود قدرتهم لولا أنه حيل بينهم وبين ممارسة ذلك الاقتدار. يُنظر: الجامع لأحكام القرآن: ٧٦/١

[١٢٩]– قال الإمام الذهبي: كان شافعيّاً، عالمًا، أَشعريّاً، ذا نسُكٍ ودين. سير أعلام النبلاء(٣٥/ص ٤٠٤).
[١٣٠]– الرسالة الشافية: (ص: ١٣٥).
[١٣١]–دلائل الإعجاز في علم المعاني: (ص:٣٩٠).
[١٣٢]– إعجاز القرآن للباقلاني ص ٢٩– ٣٠ وبيان إعجاز القرآن للخطابي ص ٢٠– ٢١. ويُنظر: إعجاز القرآن للرافعي: (ص: ١٦٢).
[١٣٣]– الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: (٤٢٩/٥).
[١٣٤] المرجع السابق نفسه: (٤٣١/٥)
–[١٣٥]إعجاز القرآن للباقلاني: (ص: ٢٤).
[١٣٦]– المرجع السابق: (ص: ٢٥).
[١٣٧]– الخطابي، بيان إعجاز القرآن، ص ٢٣.
[١٣٨]– الإيجي، عبد الرحمن بن أحمد، المواقف، دار الجيل – بيروت، (ط/١، ١٩٩٧) تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة، (ج ٣، ص ٣٩٧).
[١٣٩]– الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ– ١٩٥٧ م، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (ج ٢، ص ٩٤).
[١٤٠]– إعجاز القرآن للرافعي: (ص: ١٠٣).
[١٤١]– يُنظر: محاضرات في علوم القرآن: (ص:١٦٩) لـ: أ.د. صلاح الصاوي ود. محمد سالم
[١٤٢]–المعجزة الكبرى القرآن: (ص: ٨).
[١٤٣]– "عضوا" من الاستعاضة– اِستِعاضة(اسم) مصدر اِسْتَعاضَ– يجب الإِسْتِعاضَةُ عَنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ آخَرَ: أَنْ تَجْعَلَ فِي مَكانِهِ شَيْئاً آخَر. يُنظر: معجم المعاني الجامع: مادة استعاضة.
[١٤٤]– الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر، بن عبد الرحمن، الرسالة الشافية، ضمن ثلاث رسائل في أعجاز القرآن، دار المعارف– مصر، (ط: ٣، ١٩٧٦م) (ت: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام)، ص ١٥٠
[١٤٥]– السابق، ص ١٤٨ – ص ١٤٩.
[١٤٦]– يُنظر: المستدرك على الصحيحين للنيسابوري– كتاب التفسير –تفسير سورة المدثر –مدح كلام الله من لسان الكافر: مسألة:(١٥٠٦)، (٣٩٢٦)، قال النيسابوري: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري ولم يخرجاه. وقد سبق تخريجه بطوله كذلك في المبحث الثالث: ردُّ شُبهةِ القولِ بالصَّرْفَةِ وبيان بطلانها. وقلنا في نهاية تخريجه: أن ثبوت الأثر عند الباحث محل نظر، لوجود اضطراب لدى المحققين في ثبوته وصحته.
[١٤٧]– السابق، ص ١٥٢.
[١٤٨]– الجرجاني، الرسالة الشافية، ص ١٥٥
[١٤٩]–شرح المواقف: (٢٤٩/٨)
[١٥٠]– الإتقان: (٦/١ . ٧).
[١٥١]– حسن بمجموع طرقه، السلسلة الصحيحة: (٣١٩/٣).
١٥٢– الجامع لحكام القرآن–لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي: (ت: ٦٧١هـ) دار الكتب العلمية–بيروت١٩٩٣م–المجلد الأول١–٢/ص:٥٤
[١٥٣]– شرح المواقف: (٢٤٩/٨)

[١٥٤]- روح المعاني: (٢٧/١).
[١٥٥]- يُنظر: القول بالصَّرْفة- مقال عن موقع جامعة أم القرى. بتصرف يسير.

فهرس أهم المصادر والمراجع

١- أبو زهرة، المعجزة الكبرى – القرآن: لمحمد أبي زهرة(ت: ١٣٩٤هـ)، طبع دار الفكر العربي بالقاهرة – (د- ت).
٢- أبو موسى، الإعجاز البياني: د .محمد محمد أبو موسى(م)، ط٢. مكتبة وهبة: ١٤١٨هـ.
٣- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري (ت: ٧١١هـ) – لسان العرب، دار صادر – بيروت ١٩٥٥م
٤- الأصفهاني، الحسين بن محمد المعروف بالراغب(ت: ٥٠٢ هـ)، المفردات، دار القلم، الدار الشامية- دمشق بيروت،(ط: الأولى- ١٤١٢ هـ)، ت: صفوان عدنان الداودي.
٥- الإسفراييني، طاهر بن محمد أبو المظفر، (ت: ٤٧١ هـ)، التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، المحقق: كمال يوسف الحوت، عالم الكتب – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.
٦- الإيجي، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد، (ت: ٧٦٥هـ)، المواقف، دار الجيل – بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧،تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة.
٧- البغدادي، عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي أبو منصور (ت: ٤٢٩هـ)، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، دار الآفاق الجديدة – بيروت الطبعة الثانية، ١٩٧٧م.
٨- الرماني، علي بن عيسى(ت: ٣٨٤هـ)،، النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله ود. محمد زغلول سلام، دار المعارف، ط ٤،القاهرة.
٩- الرافعي، مصطفى صادق بن عبد الرزاق(ت: ١٣٥٦هـ)،، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثامنة- ١٤٢٥ هـ- ٢٠٠٥ م.
١٠- الزركشي، البرهان في علوم القرآن – لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي(ت:٧٩٤) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم – الطبعة الأولى – دار إحياء الكتب العربية، مصر ١٣٧٦ه- ١٩٥٧م.
١١- السيوطي، الإتقان في علوم القرآن – لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: ٩١١هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم – دار التراث بالقاهرة، بالقاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م
١٢- السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي(ت: ٩١١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت، (الطبعة الأولى، ١٩٩٨م) تحقيق: فؤاد علي منصور.
١٣- السبحاني، الإلهيات، جعفر السبحاني(م) جعفر بن محمد حسين السبحاني الخياباني التبريزي- منشورات المركز العالمي للدراسات الإسلامية، إيران: (الطبعة الأولى، ١٤٠٩ – ١٩٨٩م)، عدد الأجزاء٤
١٤- القرطبي، الجامع لحكام القرآن-لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي: (ت: ٦٧١هـ) دار الكتب العلمية-بيروت١٩٩٣م.
١٥- القطان، مباحث في علوم القرآن: مناع خليل القطان(ت: ١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الطبعة: الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م عدد الأجزاء: ١.

١٦- الجهني، الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، المؤلف: د. مانع بن حماد الجهني(ت: ١٤٢٣هـ)،، الناشر: دار الندوة للنشر؛ عدد المجلدات: ٢.

أساليب التشويق في قصة موسى ﷺ في ضوء القرآن الكريم دراسة موضوعية تحليلية

أ. سارة صالح الشهري*، د. المتولي بستان، د. خالد نبوي**،
د. سمير الحصري***

سلم البحث في ١٤٤٢/١/١٢هـ بسم الله الرحمن الرحيم اعتمد للنشر في ١٤٤٢/٢/١٨هـ

ملخص البحث:

قصة موسى ﷺ من القصص التي وردت في القرآن الكريم بأساليب مشوقة ومثيرة ومنوعة، وفيها من الدروس والعبر، والعظات الشيء الكثير، وكان محور مشكلة البحث حول أساليب وخصائص التشويق في القرآن الكريم، وندرة الدراسات التي تناولت جانب التشويق في القرآن الكريم، وتبلور هدف الدراسة حول الوقوف على أساليب وخصائص التشويق في القرآن الكريم وأنواعها، متبعة في ذلك المنهج الاستقرائي التحليلي، وكان البحث محدودا بحدود قصة موسى -ﷺ- في القرآن الكريم، ومن أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة: بيان أساليب وخصائص التشويق في القرآن الكريم، وعرض أهم عناصرها وهي: أسلوب تقديم الأحداث المعجزة الخارقة للعادة، وأسلوب براعة التصوير، وأسلوب تنوع الشخصيات، والاكتفاء بالجوانب المهمة -الإجمال والتفصيل، والتكرار-، وأسلوب الحوار، وأسلوب المفاجأة، واقعية العقد المتسلسلة، المقدمات المفضية إلى النتائج.

الكلمات الدلالية: أساليب، التشويق، قصة.

Abstract:

The story of Moses, peace be upon him, is one of the stories mentioned in the Noble Qur'an in interesting, exciting and varied methods, And it contains lessons, lessons, and sermons a lot, The focus of the research problem was on methods and characteristics of suspense in the Holy Quran, and the paucity of studies dealing with the aspect of suspense in the Holy Quran, The purpose of the study crystallized around identifying methods and characteristics of suspense in the Holy Quran and its types, Followed that analytical inductive approach, The research was limited to the limits of the story of Moses - peace be upon him - in the Holy Quran, and one of the most important findings of the study, Explain the methods and characteristics of suspense in the Holy Qur'an, presenting the most important elements of it: the method of presenting miraculous miracles events, the style of photography proficiency, the style of diversity of

* الباحثة ماجستير بقسم القرآن الكريم وعلومه، كلية العلوم الإسلامية، بجامعة المدينة العالمية..
** الأستاذان المشاركان بقسم القرآن الكريم وعلومه، كلية العلوم الإسلامية، بجامعة المدينة العالمية.
*** الأستاذ المساعد بقسم القرآن الكريم وعلومه، كلية العلوم الإسلامية، بجامعة المدينة العالمية.

characters, the contentment of important aspects - summarizing and detailing, repetition -, the style of dialogue, and the style of surprise.
Keywords: styles - suspense - story

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين. أما بعد: المتأمل في كتاب الله تعالى يجد أنه ذكر لنا قصص الأمم السابقة، وما كان منها مع أنبيائها بأسلوب مشوق مع إثارة المشاعر، وجذب الانتباه؛ لتستجمع لها جميع الأحاسيس بكل إنصات وترقب لما سيجري، وقد كانت قصة نبي الله موسى ﷺ من ضمن تلك القصص التي وردت في القرآن الكريم بأساليب مشوقة ومثيرة ومنوعة، وفيها من الدروس والعبر، والعظات الشيء الكثير. فتارة تكون مجملة مختصرة، وتارة تكون مفصلة مطولة، وتارة يأتي الحديث عن جانب واحد من جوانب القصة، وتارة يلفت النظر إلى جانب آخر، فالحياة الاجتماعية التي كانت قبل ولادة موسى ﷺ، وما كان عليه بني إسرائيل من الاستعباد والذل الذي كانوا يجدونه من فرعون وملأه يبين الوضع السيئ الذي كانوا يعيشونه. وولادة موسى ﷺ كانت نجاة لهم مما هم فيه، فعرض هذه القصة على النفوس، وذكر جميع تفاصيلها منذ بدايتها حتى نهايتها كل ذلك ليعلم الثابتون على الحق والهدى أنه مهما تعاظم الشر وأهله ومهما تجبروا في الأرض وبغوا فإن الغلبة ستكون لأهل الإيمان إذا هم صبروا وصابروا واتقوا رب العالمين وأقاموا دين الله وطبقوا شريعته.

كما قال -تعالى-:﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾(١) ، لقد وعدهم الله -تعالى- على ذلك بالاستخلاف في الأرض، والتمكين في الدين،كما قال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾(٢) وقد آثرت أن يكون بحثي دراسة موضوعية واخترت عنوانا له: (أساليب التشويق في قصة موسى ﷺ)

مشكلة البحث: إن المتأمل لكتاب الله -تعالى- يجد فيه كثيراً من الأسرار البلاغية التي تحتاج إلى الغوص في أعماق الآيات واستخراج درر المعاني التي تعين على فهم مراد الله -تعالى- منها، ومن معاني البلاغة القرآنية التي اتسمت بها هو جانب التشويق وما يشتمل عليه من أساليب، والمتأمل لكثير من قصص القرآن الكريم يجد أنها اشتملت على هذا الجانب، ولم أجد بحسب علمي دراسة علمية تحدثت عن

جانب التشويق أساليبه وخصائصه من خلال قصة موسى عليه السلام في ضوء القرآن الكريم، فأحببت أن أقدم دراسة موضوعية تحليلية لهذا الجانب.

أسئلة البحث:

- ما أساليب التشويق في قصة موسى عليه السلام من خلال القصص القرآني؟
- ما مفهوم التشويق في القرآن الكريم ؟
- ما الخصائص العامة لأسلوب التشويق في قصة موسى عليه السلام؟

أهداف البحث:

- الوقوف على أساليب التشويق في قصة موسى عليه السلام من خلال القصص القرآني.
- بيان مفهوم التشويق في القرآن الكريم
- عرض الخصائص العامة لأسلوب التشويق في قصة موسى عليه السلام

مصطلحات البحث:

التشويق لغة: الشوق والاشتياق: "نزاع النفس إلى الشيء"[٣]، "شوّق (بالتشديد). شوّقه ب: رغبه فيه"[٤] قال الليث:" التشويق من القراءة والقصص، كقولك شوّقنا يا فلان، أي: اذكر الجنة وما فيه من قصص، أو قراءة لعلنا نشتاق إليها، فنعمل"[٥] المتكلم هنا يدرك الخبر ويشوّق سامعه إلى سماعه، فكأنه يريد دغدغة المخاطب وتحفيزه على الاستفهام ؛ لأنّه بطرح السؤال ويجيب عنه غالبا، كقولنا: أتريد مالا ؟ خذ المال[٦] ومنه قوله -تعالى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١١﴾ الصّف:(١٠-١١)

تعريف الشوق اصطلاحا: الانتقال من أسلوب إلى آخر مع مراعاة حال المخاطبين، وقد كان النبي ﷺ يبدأ بالقول المقرون بالفعل، وتارة يطلب التطبيق من آخرين، وأخرى يستخدم السؤال والحوار بغرض التشويق.[٧]

أهمية البحث:

- عنصر التشويق يُعتبر سر من أسرار البلاغة وله تأثيره البليغ في النفوس.

وقصة موسى عليه السلام ضمن القصص التي برز فيها جانب التشويق جلياً.

- تعزيز الاقتداء بقصص الأنبياء والمرسلين عليهم السلام في إصلاح المجتمع من جميع جوانبه الحياتية.
- كذلك ليكون سبيل في تعلم وتدبر كتاب الله -تعالى-.
- حتى أكون ممن قال النبي ﷺ فيهم:(خيركم من تعلم القرآن وعلمه)[٨]

– إثراء المكتبة الإسلامية بموضوع قرآني يتناول موضوع الرسالة في إطار دراسة قرآنية موضوعية.

الدراسات السابقة:

الدراسة الأولى: كتاب: **(من أساليب التشويق في قصص القرآن الكريم –دراسة تحليلية–)** د. علي بن محمد الحمود، أستاذ البلاغة والنقد المشارك، كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، دار مجلة العلوم العربية، الرياض، السعودية، ط١٤، ١٤٣١هـ–٢٠١٠م، ويقع الكتاب في اثنتين وستين صفحة، يقول المؤلف في مقدمته: "وتهدف الدراسة إلى إبراز الإعجاز القصصي القرآني من خلال تقديم المنهج الصحيح في التعامل مع العناصر الفنية المختلفة، ومنها عناصر التشويق ؛ لتقويم مسار واقع قصتنا المعاصر التي انحرفت في كثير من نماذجها عن جادة الصواب...ونظرا لأن عناصر التشويق في قصص القرآن الكريم أكثر من أن تحصى رأيت أن أقتصر في هذه الدراسة على ذكر بعضها...ويشتمل الكتاب على تمهيد، وستة مباحث، وخاتمة وثبت للمصادر والمراجع.

وتتفق هذه الدراسة مع دراستي هذه في تناول مفهوم التشويق، وتناول عناصر التشويق في القرآن الكريم، **وتختلف** في أن عناصر التشويق لا تنحصر في تلكم العناصر الستة التي ركزت عليها الدراسة السابقة بقول المؤلف نفسه في خاتمة دراسته، وحاولنا تقديم المزيد منها في هذه الدراسة بالإضافة إلى تفصيل عناصر التشويق تركيزا وتطبيقا على قصة موسى عليه السلام.

الدراسة الثانية: أطروحة ماجستير بعنوان:**(أساليب التشويق والتعزيز في القرآن الكريم)** للباحث. الحسين جرنو محمود جلو وبإشراف أ.د. محمود أحمد السيد –عميد كلية التربية–، أ.د. محمد مصطفى الزحيلي –وكيل كلية الشريعة للشؤون العلمية– مؤسسة الرسالة، بيروت، ودار العلوم الإنسانية، ط الأولى، ١٤١٤هـ: ١٩٩٤م، ويقع الكتاب في ثلاثمائة واثنتين وثلاثين صفحة، ويتضمن ثلاثة أبواب مقسمة على تسعة فصول، **الباب الأول:** الأطر التمهيدية والدراسات السابقة، **والباب الثاني:** أهداف القرآن الكريم وأساليبه في ضبط السلوك، **والباب الثالث:** أنواع أساليب ضبط السلوك وأسسها في القرآن الكريم، وتعني الدراسة بالجانب التربوي والسلوكي في القرآن الكريم، وأساليبه في ضبط السلوك بواسطة التشويق والتعزيز، وقد خص آيات والترغيب والترهيب، واستخدام الثواب والعقاب في التربية وضبط السلوك وفق معايير البحث ودراسة نماذج منها وتحليلها وعلاقتها بمنهج القرآن الكريم عموما في ضوء أساليب

التشويق والتعزيز المعاصر.

وتتفق هذه الدراسة مع دراستي في تناول أساليب التشويق في القرآن الكريم، **وتختلف** في أن الدراسة السابقة تعني بالجانب التربوي والسلوكي والتطبيق عليهما في القرآن الكريم بصورة أساسية، وتناول جانب التشويق بصورة ثانوية، أما دراستي فتعني بالجانب التفسيري وليس التربوي، وعنصر التشويق هو عمود البحث وأساسه، وليس ثانويا كما في الدراسة السابقة، وكان التطبيق في دراستي على سورة البقرة.

الدراسة الثالثة: بحث بعنوان **(الصورة الفنية في القصص القرآني قصة النبي موسى** عليه السلام **أنموذجا)** والبحث جزء من متطلبات نيل درجة البكالوريوس في اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة القادسية، للباحثة. صابرين حسن جبار، بإشراف. أ.م.د. زينب جاسم محمد. ويشتمل البحث على مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة، المبحث الأول: ملامح القصة القرآنية، والمبحث الثاني: ملامح القصة القرآنية، والمبحث الثالث: الأساليب البلاغية، اهتمت الباحثة بطريقة السرد القرآني لقصة موسى عليه السلام والحكمة من إبرازها في بعض المواضع من السور القرآنية، والوقوف على عناصر السرد الواردة فيها، وذكرت أهم ملامح الشخصية القرآنية المتمثلة في شخصية موسى عليه السلام وتطرقت إلى الأساليب البلاغية في بناء الصورة البلاغية.

وتتفق هذه الدراسة مع دراستي في المبحث الثاني من هذه الدراسة، حيث أشارت الباحثة على عجل عن عنصر التشويق في أربع صفحات والغالب على بقية البحث الاهتمام بالسرد القصصي، والأساليب البلاغية البيانية دون غيرها كالتشبيه، والاستعارة، والكناية، والمجاز.

وتختلف دراستي عنها في تركيزي على عناصر التشويق وأساليبه وخصائصه، وتطبيقها على قصة موسى عليه السلام، وقد خلت الدراسة السابقة من العناية بها إلا في أربع صفحات.

منهج البحث:

اتبعت بعون الله تعالى المنهج الاستقرائي التحليلي حسب خطة التفسير الموضوعي: والمنهج الاستقرائي: "يقوم على التتبع لأمور جزئية مستعانا على ذلك بالملاحظة والتجربة وافتراض الفروض لاستنتاج نتائج عامة منها"(٩).

وأما المنهج التحليلي أو(الاستنباطي): فهو "ما يقوم على التأمل في أمور جزئية ثابتة لاستنتاج أحكام منها"(١٠)

حدود البحث:

مواضع قصة موسى عليه السلام في القرآن الكريم.

إجراءات البحث: أدوات البحث:

١-تقوم الباحثة باستقراء جميع آيات التشويق لقصة موسى عليه السلام في القرآن الكريم

٢-تقوم الباحثة بالرجوع إلى كتب تفسير القرآن الكريم

٣-تقوم الباحثة بالرجوع إلى كتب الحديث

٤-تقوم الباحثة بالرجوع إلى المصادر المعنية بالتشويق في القصص القرآني

أساليب التشويق في قصة موسى عليه السلام:

المبحث الأول

أسلوب تقديم الأحداث المعجزة الخارقة للعادة

لقد وهب الله تعالى لنبيه موسى عليه السلام معجزات تباهي ما برع فيه قومه "فكلاهما تحويل من حال إلى حال إلا أن السحر من حقيقة إلى خيال، وأما معجزة موسـ فمن حقيقة إلى حقيقة وإذا عجز عنه أولئك فهم عن غيره مما لم يبرعوا فيه أعجز "[11] .

ولقد كانت معجزة موسى عليه السلام الكبرى حسية وهي العصا واليد وقد كان للعصا حضور لافت في قصة موسى عليه السلام يقول تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ (١٧) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ (١٨) قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَىٰ (١٩) فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ (٢٠) قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ (٢١) وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَىٰ (٢٢) لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى (٢٣)﴾ [طه٢٣:١٧] لقد تحولت العصا من مجرد آلة يتكأ عليها ويستخدمها في الرعي إلى معجزة كبرى، حية تسعى ألقت الرعب على موسى عليه السلام فى مشهد مهيب ثم تعود لطبيعتها بمجرد أخذ موسى عليه السلام لها لتكون دليل صدق لنبوته عند قوم امتهنوا السحر وبرعوا فيه. ولقد كان لقاء موسى عليه السلام لربه ورؤيته لهذه المعجزات العصا وتحولها إلى حية وخروج اليد بيضاء بدون اية اسمرار يبعث الحماس والشعور بالموقف المهيب الذي عاشه نبى الله ويجعل المتلقي يتشوق لما سيكون من شأن هذه المعجزات الخارقة ثم تبدأ المهمة التي من أجلها كانت هذه المعجزة الخارقة وانه الحضور الثاني لها ولكن باختلاف الزمان والمكان: (فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ (٣٢) وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ (٣٣)) [الشعراء:٣٣]، فاللقاء هنا مع فرعون والمواجهة باتت قريبة والتعامل مع العصا أصبح بكل ثقة بعد أن كان الخوف والرهبة يمتلأ به قلب موسى عليه السلام فلقد أصبحت بيد

موسى عليه السلام دليل صدق على نبوته وقوة موقفه.

وها هو الحضور الثالث للعصا بوجود السحرة: ﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلۡقُواْ مَآ أَنتُم مُّلۡقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلۡقَوۡاْ حِبَالَهُمۡ وَعِصِيَّهُمۡ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرۡعَوۡنَ إِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلۡقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلۡقَفُ مَا يَأۡفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الشعراء ٤٦:٤٣] قوة العصا الخارقة وتحولها الحقيقي إلى حية عظيمة في منظر مهيب جعل السحرة بدون تردد يذعنون ويستسلمون لما جاء به موسى عليه السلام "لقد كان السحرة عالمين بحقيقة السحر واقفين على منتهاه فلما كانوا كذلك ووجدوا معجزة موسى عليه السلام خارجة عن حد السحر علموا أنه من المعجزات الإلهية لا من جنس التمويهات البشرية ولو أنهم ما كانوا كاملين في علم السحر لما قدروا على ذلك الاستدلال لأنهم كانوا يقولون:لعله أكمل منا فى علم السحر فقدر على ما عجزنا عنه فثبت أنهم كانوا كاملين في علم السحر فلأجل كمالهم في ذلك العلم انتقلوا من الكفر إلى الإيمان وهذه الآية من أعظم الدلائل على فضيلة العلم."(١٢)

وفي الحضور الرابع للعصا أمر الله تعالى أن يشق بها البحر: ﴿ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ ﴾ [الشعراء:٦٣]

حضور العصا هنا كان مختلفا وظهر إعجاز آخر لها يثير فضول السامع إلى معرفة أسرارها وما تخبئه من قوى خارقة بأمر الله.أوحى الله بأمره إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر، فضربه بها، فانفلق بقدرة الله تعالى اثنا عشر طريقا، وصارت كل قطعة من الماء المحجوز المتجمد عن الحركة كالجبل الشامخ، وجفّف الله الطرق والممرات البحرية بالشمس والهواء بعدد أسباط بني إسرائيل وفرقهم. المعجزة كبيره تفوق العقل البشرى فهى ليست من صنع البشر .

وفي الحضور الخامس للعصا عندما فجرت العيون بأمر الله تعالى: ﴿ وَإِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ فَقُلۡنَا ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ مَّشۡرَبَهُمۡۖ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ مِن رِّزۡقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [البقرة:٦٠]

وفي سورة الأعراف قال تعالى: ﴿ وَقَطَّعۡنَٰهُمُ ٱثۡنَتَيۡ عَشۡرَةَ أَسۡبَاطًا أُمَمٗاۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰهُ قَوۡمُهُۥٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنۢبَجَسَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ مَّشۡرَبَهُمۡۚ وَظَلَّلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلۡغَمَٰمَ وَأَنزَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰۖ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾ [الأعراف:١٦٠]

وردت فيها كلمة (فانبجست) بدل كلمة (فانفجرت) ولفظ الانبجاس يشعر بأن خروج الماء أولا كان قليلا، ولفظ الانفجار يدل على أنه كثر فيما بعد، والآية تدل

على أنه حينما كان يندر الماء وييأس القوم من الحياة والراحة حينئذ كانوا يرجعون إلى نبي الله، فكان يدعو الله فينزل الماء برحمة منه وبركة."(١٣)

"إن الله اختار الحجر ليضربه موسى بعصاه دون غيره ليلفت العقول إلى بدائع خلقه ومعجزاته في الكون، فالحرارة تحول الماء بخارا، والبرد يجمّده وهو بين الصخور فيصدعها."(١٤)، وهكذا نجد أن معجزة العصا ومخالفتها لطبيعتها في الواقع بقدرة الله والأمر الخارق للعادة ومحدودية العقل البشري العاجز عن تصورها أضفت على القصة جانب من الإثارة والتشويق وزيادة الإيمان بقدرة الله تعالى وكانت وسيلة جذب وتشويق وتأثير قوي في مطلع قصة موسى وكانت الأنفس متوجسة والدهشة والانبهار يسيطر على المشاعر وكان الإشفاق على هذا النبى حاضر ومع تتابع القصة وعرض أحداثها تحول الاشفاق الى إعجاب بهذا النبي الذي يجعل العصا تأتمر بأمر الله وتفعل المعجزات بإذن الله."(١٥)

المبحث الثاني
براعـة التصـوير

من أساليب التشويق التي تميز به القصص القرآني، وسمة من سماته، ويظهر فيه الإعجاز القرآني "تصوير الأحداث" وتجسيدها لكأنّ القارئ يعيش مع أحداث القصة بكل تفاصيلها وذلك؛ لتنوع ألوان التصوير بما يتناسب مع عنوان القصة وموضوعها "ويعد التصوير الفني للأحداث والشخصيات أهم العناصر الفنية في القصص القرآني، فهو الذي يقوم بنقل الحوادث، ويجسّم العواطف، والمشاعر الإنسانية، ويصوّر الشخصيات، فيجعل القصة حية شاخصة بأحداثها، وأشخاصها، وليست مجرد قصة تروى."(١٦)

وقد تنوع أسلوب العرض للأحداث في القصة القرآنية فنجده يصور القصة كاملة بجميع تفاصيلها وأحداثها في سورة واحدة، ومثل ذلك لم يكن إلا لقصة يوسف عليه السلام، "وهناك قصص موجزة ورد منها ما يتعلق بالرسالة فقط، وموقف الناس منها مثل قصة هود، وصالح ولوط، وشعيب، وقصص أخرى موجزة جدًا، كقصة زكريا، وأيوب، ويونس، وهناك قصص يشير إليها، ولا يروي شيئا عنها مثل قصة إدريس، واليسع، وذا الكفل"(١٧)، وهناك قصص جاء تصوير جوانب من حدوثها في سور متفرقة مثل قصة موسى عليه السلام.

ويأتي تصوير الحدث على أنواع:

الأول: التصوير عن طريق التشبيه: وجاء ذلك في قصة موسى عليه السلام في وصف

أحوال العصا، قال –تعالى–: ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأعراف:١٠٧]، وقال –تعالى–: ﴿فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ ﴾ [طه:٢٠]، وقال –تعالى–: ﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْأَمِنِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [القصص:٣١].عندما ذكر الله –تعالى– العصا التي كانت ملازمة لموسى عليه السلام تسانده في عماله التي كان يقوم به أراد الله –تعالى– أن تكون أيضا مساندة له في رسالته، ومعجزة يتحدى بها أكبر طاغية فإذ بها تصبح كالثعبان، وكالحية، وكالجان، إذ أن "الحية اسم جنس يقع على الذكر والأنثى والصغير والكبير، أما الثعبان فبينهما تناف؛ لأن الثعبان العظيم من الحيات والجان الدقيق"(١٨) ، فالتشبيهات الثلاث تكمل أحوال العصا بعضها ببعض، "فالعصا كالحية في الضخامة، وكالثعبان في الخفة والنشاط، وكالجان فيما تثيره من الرعب والفزع"(١٩) ، فتصوير المشهد، وتشبيه العصا بهذا المخلوق الذي يخافه الإنسان ناهيك عن وصف حركتها السريعة بحركة ذلك العالم المخيف عالم الجن، وخوف موسى عليه السلام من منظرها، وهي تهتز بهذه القوة يجعل القارئ يعيش هذا الجو بوجدانه، ومشاعره، ويشعر بالرهبة والخوف.

قال –تعالى– في سورة طه: ﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾) ورد التشبيه في الآية الكريمة في معرض محاجة النبي موسى عليه السلام لقومه، فشبه يده بالجناح لأن الله –تعالى– أراد أن يجعلها برهانا على نبوته، وهي من الحجج الكبرى.

ثانيا: يأتي كذلك عن طريق الصورة الاستعارية:

وقد عبّر عبد القاهر الجرجاني عن ذلك بقوله:" فإنك لترى بها الجماد حيًا ناطقًا والأعجم فصيحًا والأجسام الخرس مبنية، والمعاني الخفية بادية جلية "(٢٠) فمن ذلك في سورة القصص، قال –تعالى–: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ ﴾ هنا في كلمة ﴿..لِيَكُونَ...﴾ اللام بمعني كي، وهي تفيد التعليل، وقد جاءت عن طريق المجاز وليس الحقيقي، أي أن سبب أخذهم لموسى عليه السلام ليس الهدف منه أن يصبح عدوا لهم فإنه من غير المنطق ذلك، ولكن كان دافعهم المحبة، فقد ألقى الله –تعالى– في كل قلب من يراه محبته. قال –تعالى–: ﴿ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ ﴾(٢١)، نجد أن تصوير الحدث في الاستعارة بكلمة ﴿... وَ...﴾"والتحريم: المنع، وهو تحريم تكويني أي قدرنا في نفس الطفل الامتناع من التقام أثداء المراضع، وكراهتها؛ ليضطر آل فرعون إلى البحث عن

مرضع يتقبل ثديها؛ لأن فرعون وامرأته حريصان على حياة الطفل ومن مقدمات ذلك أن جعل الله –تعالى– إرضاعه من أمه مدة تعود فيها على ثديها"(٢٢)، فكان صراخ الطفل يملأ الأرجاء من شدة الجوع، والهلع يملأ المكان، والكل يحاول إسكات الطفل فبمجرد عرض أخته، ودلتهم على مرضعة تقوم بإرضاعه، لم يسألوا من تكون؟ ومن هو ابنها؟ فكان الأمر كما وعد الله –تعالى– برد موسى ﵇ إلى أمه ويهدأ قلبها وتقر عينها "أن تصوير أحداث ولادة موسى ﵇ والإطالة في عرض هذه الحلقة من القصة؛ لأنها تبرز قدرة الله –تعالى– في حمايته، ورعايته منذ الولادة، وتؤكّد أيضا على أن الشرّ لا جذور له، وأنه يحمل بذور فنائه مهما طال أمد بقائه، أو اتّخذ الوسائل التي تؤمّن له الاستمرار، والبقاء، وهذا المعنى كان يحتاجه المؤمنون في مكة، وهم يواجهون بطش قريش، وصلفها، فيزيدهم إيمانا وثقة في الانتصار على الباطل مهما طال أمده؛ لأن الله –تعالى– معهم يرعاهم، ويحميهم كما حمى موسى ﵇ ورعاه من بطش فرعون.(٢٣)

ثالثا: يأتي تصوير الحدث أيضا عن طريق الصورة الكنائية:

و"تعتمد الكناية في حيويتها التصويرية على الإيحاء والتلميح والترميز والإشارة"(٢٤)، ومن ذلك في سورة القصص، قال –تعالى–: ﴿وَأَصۡبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ إِن كَادَتۡ لَتُبۡدِي بِهِۦ لَوۡلَآ أَن رَّبَطۡنَا عَلَىٰ قَلۡبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٠﴾(٢٥)، "لقد كان فؤادها وهو عمق قلبها الشامل لأفكارها وعواطفها مشحونا بالقلق، والاضطراب، والخوف عليه فلما ألقته في اليم، وعلمت بما جرى له أزيحت عن فؤادها الغمة، وأصبح فارغا من القلق، والاضطراب، والخوف عليه، فجاءت عبارة ﴿وَأَصۡبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا... ١٠﴾ كناية عن طمأنينتها على ولدها، وسكينتها، واستمتاعها بمشاعر السعادة؛ لأن من شأن فراغ الفؤاد من الأفكار، والعواطف المثيرة للقلق، والاضطراب، والخوف أن تصاحبه الطمأنينة والسكينة، ومشاعر السعادة."(٢٦)

رابعا: التصوير بالألفاظ والحركات:

كما قال –تعالى–: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلۡغَضَبُ أَخَذَ ٱلۡأَلۡوَاحَۖ وَفِي نُسۡخَتِهَا هُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ هُمۡ لِرَبِّهِمۡ يَرۡهَبُونَ ١٥٤﴾(٢٧)، صور كلمة السكوت هنا، وكأنه شخص آمر يدفع موسى ﵇ ويحركه، وذكر ابن عاشور أن السكوت هو " ثوران الغضب في نفس موسى ﵇ المنشئ خواطر العقوبة لأخيه ولقومه، وإلقاء الألواح حتى انكسرت بكلام شخص يغريه بذلك وحسن هذا التشبيه أن الغضبان يجيش في نفسه حديث للنفس يدفعه إلى أفعال يطفئ بها ثوران غضبه، فإذا سكن غضبه، وهدأت نفسه كان

ذلك بمنزلة سكوت المغري، فلذلك أطلق عليه السكوت وهذا يستلزم تشبيه الغضب بالناطق المغري على طريقة المكنية، فاجتمع استعارتان، أو هو استعارة تمثيلية مكنية؛ لأنه لم تذكر الهيئة المشبه بها، ورمز إليها بذكر شيء من روادفها وهو السكوت وفي هذا ما يؤيد أن إلقاء الألواح كان أثر للغضب"(٢٨).

وقد صور القرآن الكريم حالة موسى عليه السلام عندما خرج من المدينة، قال –تعالى–: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾﴾ [القصص:٢١]، تصوير الحركة بكلمة (يترقب) "التي تبرز قيمة اللفظ المصور للفزع في موطن الأمان"(٢٩).

"وهناك صلة وثيقة بين ثلاث آيات تصور وضع موسى عليه السلام في المدينة، في قوله –تعالى–: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا... ﴿١٥﴾﴾، و﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ... ﴿١٨﴾﴾، و﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾﴾ [القصص:٢١]

في المرة الأولى كان خائفًا أن يتعرف عليه أحدهم؛ لأنه قتل قبطيا بالأمس، وكان يترقب ويتلفت، وينظر يمنة، ويسرة أما الآن فهو خائف من جنود فرعون؛ لأن معهم أمرا بالقبض عليه، وقتله، وخوف موسى طبيعي لا يلام عليه، ولايعاب، وليس جبنا، ولا ضعفا، ولم يؤثر على إيمانه بالله –تعالى–، وتوكله عليه، وثقته به، فكل حياته كانت هكذا، وكان يرى فضل الله –تعالى– عليه وحفظه له في كل ما مر به من أحداث"(٣٠).

وقد صور الله –تعالى– حالة الفتاة التي أتت إلى موسى عليه السلام بعد أن سقى لهما أغنامهما، قال –تعالى–: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾"(٣١)، الهمزة والسين والتاء في قوله –تعالى–:﴿...تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ... ﴿٢٥﴾﴾ للتأكيد أي أن الحياء تعمق في مشاعرها، وأحاسيسها، وكيانها ووجدانها، وملأ عليها وجودها، وهي في طريقها إلى موسى عليه السلام والعبارة تؤكد تمكن الحياء منها وتصور هذا تصويرًا حيًا، وكأنّ هذا الحياء، والاستحياء ليس حالة نفسية شعورية، وإنما هو طريق مادي معبد ملموس محسوس، ولنتصور شدة حيائها، وتحرجها، وارتباكها، وارتفاع نبضها، وتسارع دقات قلبها، واضطراب مشاعرها، وخفوت صوتها، وهي قادمة إلى موسى عليه السلام ليس مرضًا أصابها، ولكنها حالة نفسية إيجابية سوية تتفق مع فطرتها، وطبيعتها لقد كانت بالنسبة لها مهمة مكلفة شاقة، ولكنها الضرورة"(٣٢)، وعندما أمر الله –تعالى– موسى عليه السلام أن يضرب الحجر بعصاه في سورة البقرة، قال –تعالى–: ﴿۞ وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب

بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ مَّشۡرَبَهُمۡۖ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ مِن رِّزۡقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴿٦٠﴾﴾، وفي سورة الأعراف قال –تعالى–: ﴿وَقَطَّعۡنَٰهُمُ ٱثۡنَتَيۡ عَشۡرَةَ أَسۡبَاطًا أُمَمٗاۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰهُ قَوۡمُهُۥٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنۢبَجَسَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ مَّشۡرَبَهُمۡۚ وَظَلَّلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلۡغَمَٰمَ وَأَنزَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰۖ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ فجاء تصوير الموقف بكلمة تدل على معنيين مختلفين على حسب السياق، ففي الأولى عبر بقوله –تعالى–: ﴿...فَٱنفَجَرَتۡ ...﴾، وفي الثانية ﴿...فَٱنۢبَجَسَتۡ ...﴾، ففي الأولى تصوير عن انصباب الماء بكثرة، وشدة؛ لأن السياق كان فيه تعداد، أما الثانية فهي بمعنى ظهور الماء فإن الماء أول ما انفجر كان كثيرا، ثم قل بعصيانهم فعبر في مقام المدح بالانفجار، وفي حالة الذم بالانبجاس"(٣٣)

خامسا: تصوير العواطف والانفعالات وإبرازها:

يصور الله –تعالى– لنا الحالة النفسية لفرعون قال –تعالى–: ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ تِسۡعَ ءَايَٰتِۢ بَيِّنَٰتٖۖ فَسۡـَٔلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِذۡ جَآءَهُمۡ فَقَالَ لَهُۥ فِرۡعَوۡنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسۡحُورٗا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرۡعَوۡنُ مَثۡبُورٗا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَن يَسۡتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ فَأَغۡرَقۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعٗا ﴿١٠٣﴾﴾ فإنه عندما خاطب موسى عليه السلام فرعون، وقدم له الآيات، والمعجزات الدالة على صدق نبوته قال: ﴿... فِرۡعَوۡنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسۡحُورٗا ﴿١٠١﴾ ﴾ اتهمه سابقا بأنه ساحر، والآن يتهمه بأنه مسحور، فكان رد موسى عليه السلام قويا يناسب السياق.

فلكل مقام مقال فهو لا يتعارض مع ما أمر الله –عز وجل– به نبييه موسى وهارون عليهما السلام أن يقولا له قولا لينا، ولكن الموقف يستدعي الحزم، والحكمة مطلوبة، فقد كشف له حقيقة نفسه، وعلمه بأن من أنزل الآيات هو الله لا إله إلا هو، ولكن ينكر ذلك، ويخالفه بالرغم من علمه اليقيني الفطري بذلك، ولكنه الكبر، والعناد، وبعد أن كشف له حقيقة نفسيته الداخلية بين له خسارته، وهلاكه، قال –تعالى–: ﴿... وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرۡعَوۡنُ مَثۡبُورٗا ﴿١٠٢﴾ ﴾ مثبور: على وزن مفعول بمعنى هالك خاسر مقهور، فهو رد قوي صريح يتناسب مع رد فرعون لموسى عليه السلام حينما قال له إنك مسحور، ففرعون كاذب، ويعلم ذلك بينما موسى عليه السلام صادق فيما يقول، فأقام عليهم الحجة، وعلموا يقينا أنه رسول الله ﷺ، ولكنهم أصروا على كفرهم وطغيانهم."(٣٤)

المبحث الثالث
أسلوب تنوع الشخصيات

تنوع الشخصيات في قصة موسى عليه السلام ملحوظ وواضح لكل من قرأ القصة فهناك شخصيات لها دور أساسي في القصة من بدايتها حتى نهايتها وشخصيات وجدت فقط لتسهم في إظهار جانب العبرة من وجودها ثم تختفي ولا تذكر بعد ذلك مثال ذلك ظهور أخته التي كانت سببا في رجوعه إلى أمه، واحتضانه مرة أخرى يقول -تعالى-: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝١١ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ۝١٢﴾(٣٥) ثم لا يأتي لها خبر بعد ذلك

كذلك ظهور امرأة فرعون في قوله -تعالى-: ﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝٩﴾(٣٦)، لقد كانت سببا في احتضان موسى عليه السلام، ثم ينتهي ذكرها أيضا بعد ذلك

وكذلك أم موسى عليه السلام يقول -تعالى-: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٧﴾(٣٧)، لقد أدت دورها كما أراده الله -تعالى-، ثم يختفي ذكرها ؛ لأن الغرض الديني من عملها قد انتهى.كذلك ظهور مفاجيء لرجل مؤمن من آل فرعون يؤيد ما جاء به موسى عليه السلام ينصح، ويذكّر قومه، ويحمل هم الدعوة إلى الله -تعالى- في قوله: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ۝٢٨ يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ...﴾(٣٨)

وفي لفته أخرى تظهر الشخصيات التي كان فرعون يستمد قوته منها في قوله -تعالى-: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۝٢٣ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ۝٢٤ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ۝٢٥﴾ (غافر ٢٣:٢٥) فقد كان يقوم حكمه على أربع قوى:

الأولى: القوة المالية الاقتصادية، ويمثلها قارون.

الثانية: القوة الإدارية التنفيذية التي يمثلها هامان، والملأ.

الثالثة: القوة الإعلامية التأثيرية التي يمثلها السحرة المسترهبون.

الرابعة: القوة الفرعونية حيث كان فرعون يستخدم القوى الثلاث، ويسيطر عليها، ويوظفها في إخضاع شعبه.لذلك نجد أن الآيات قرنت بين الطغاة الثلاثة:فرعون، وهامان، وقارون، فقد كان الرابط بينهم الكفر، والطغيان، والفساد، فكلهم اجتمعوا، واتفقوا على موقف واحد ضد موسى ﷺ بالرغم أن قارون كان من قوم موسى ﷺ أي أنه إسرائيلي إلا أن الكفر ملة واحدة وإن اختلفت الأجناس، وقد أشار القرآن الكريم إلى موقفه بقوله –تعالى–: ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ... ﴿٧٦﴾ ﴾(٣٩)، فقد اعتدى على قومه، وظلمهم، وتعامل معهم بظلم وطغيان وخرج عليهم، وانفصل عنهم، وانحاز إلى فرعون وهامان، واشترك معهم في اضطهاد قومه بني إسرائيل(٤٠).!

الظهور المفاجئ لشخصية الخضر التي جاءت لتظهر لنا كيف يعمل القدر ولتبين لنا ادب المتعلم مع العالم ثم تؤدي كل ذلك في ذهول من المتلقي ثم تختفي.

شخصية الفتاتين وما ترمز له من جانب الحياء والعفة في مخاطبة الغريب وكذلك الفطنة والذكاء في ملاحظتهما لقوة موسى ﷺ وأمانته.

كذلك ظهور شخصيات هامشية لا يكاد يظهر من ملامحها شيء وهما الرجلان الذين كانا يقتتلان في قوله –تعالى–: ﴿ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ ﴾ [القصص:١٥]

المبحث الرابع

أسلوب الاكتفاء بالجوانب المهمة [الإجمال والتفصيل والتكرار]

الإجمال والتفصيل: من أكثر ما يميز القصة القرآنية، فإن ما تحكيه القصة بشكل مفصل في سوره يأتي الحديث عنه في موضع آخر بشكل موجز ومعجز، وهذا لحكمة أرادها الله –تعالى–، فقد تكون للتربية، وقد تكون لتسلية النبي ﷺ، وقد تكون للتشويق، ولفت النظر إلى قضية معينه، وقد تكون ردا على المشركين، وبحسب السياق للسورة يكون ذكر القصة فتارة يكون فيها الإيجاز، وتارة يكون فيها تفصيل، وتارة يكون التقديم والتأخير، وتارة إبدال جملة بجملة، وهكذا "حسبما تكون العبرة لأن الهدف الأساسي من القصة: هو الهدف الديني، وليس التاريخي."(٤١)

ولو أردنا أن نلقي الضوء على كيفية الترتيب والتشويق في عرض قصة موسى ﷺ مجملة، ومفصلة بما يتناسب مع أسباب نزول الآيات، ومناسبة السياق:

أولاً: "في سورة الأعلى كانت الإشارة سريعة وقصيرة قال–تعالى–:﴿ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ

﴿١٩﴾ ﴾(٤٢)، وقريب منها ما جاء في سورة النجم قال -تعالى-: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ ﴾(٤٣)

ثانيًا: وفي سورة الأعراف قال -تعالى-: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾، هنا بدأت الآيات برسالة موسى عليه السلام إلى فرعون أما في سورة طه، فقد بدأت بحلقة مشوقة تسبق ما ذكر في سورة الأعراف قال -تعالى-: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴿٩﴾ إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰ ﴿١١﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴿١٣﴾ ﴾(٤٤)، فنجد الآيات هنا تتشابه بما ورد في سورة الأعراف مع حذف العذاب الذي أرسله الله -تعالى- على فرعون وقومه، وزيادة قصة السامري، وصنعه للعجل...

ثالثًا: في سورة الفرقان كانت إشارة سريعة للرسالة، والتكذيب، وإهلاك المكذبين في قصص مشتركة قال-تعالى-: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ ﴾(٤٥)، وورد كذلك بإشارة سريعة ضمن قصص مشتركة في سورة مريم قال-تعالى-: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ ۚ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ ﴾(٤٦)

رابعًا: في "سورة الشعراء تبدأ القصة من حلقة الرسالة، وتسير في الخطوات التي سارت فيها إلى حلقة الخروج"(٤٧) قال -تعالى-: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا ۖ فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ ...﴾(٤٨)، ولكن مما زاد القصة تشويقا هنا هو زيادة بأمرين:

- ذكر موسى عليه السلام أنه قتل رجلا مصريا.
- انفلاق البحر بين فرعون وموسى عليه السلام.

خامسًا: ما ورد من آيات سورة النمل كانت حلقات التكذيب والعقاب مع قصص مشتركة قال -تعالى-﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨﴾ يَا مُوسَىٰ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَا مُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي

جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍۖ فِى تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّاۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ [النمل:٧: ١٤]

سادسًا: بدأت القصة تفصل في مولد موسى عليه السلام وإلقائه في التابوت، ثم في اليم وتطمين الله -تعالى- لأمه برده إليها، وبشارتها أنه عليه السلام من المرسلين، ويلتقطه قوم فرعون وتتابعه أخته حتى تكون سببًا في عودته إلى أمه، ويتربى في جنبات القصر، وعندما بلغ أشده، وقتله للقبطي، وخروجه بعد ذلك من مصر خائفا يترقب حتى يصل إلى مدين ويسقي الفتاتين، ثم زواجه بإحدى هاتين الفتاتين، وخروجه من مدين بعد أن قضى الأجل، ثم مشهد النار في بداية قصة سورة طه، ثم تمضي القصة كما مضت هناك بزيادة واحدة وهي تهكم فرعون أورده الله -تعالى- بقوله: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾﴾ (٤٩). وتنتهي القصة عند مشهد غرق فرعون وجنده بعد خروج نبي الله موسى عليه السلام من مصر.

سابعًا: في سورة الإسراء جاءت القصة مجملة فيها لفتة سريعة إلى مشهد هلاك فرعون وجنده والتمكين لقوم موسى عليه السلام قال -تعالى-: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الإسراء:١٠٤]

ثامنًا: في سورة يونس قال -تعالى-: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْۖ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾﴾ [يونس:٧٥: ٧٩]، هنا جاء عرض للقصة بين قصص مشترك الغرض من ذكرها عاقبة التكذيب، وقد ورد فيها مشهد السحرة مختصرًا، ومشهد نجاة بني إسرائيل، وهلاك فرعون، وزيد في هذا الموضع مشهد غرق فرعون ولم يذكر في غيره من المواضع قال -تعالى-: ﴿۞ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ

لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾(٥٠)

تاسعًا: وفي سورة هود جاءت إشارات سريعة للقصة تجمل مشهد الهلاك بين قصص مشتركة قال -تعالى-: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾﴾(٥١)

عاشرًا: في سورة غافر ظهر مشهد الحوار بين موسى عليه السلام وفرعون، وزيد فيه التصريح الصريح لقتل موسى عليه السلام قال -تعالى-: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾﴾(٥٢)، وكذلك ظهرت زيادة لا ترد إلا في هذا المشهد ظهور مؤمن آل فرعون، قال -تعالى-: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾﴾(٥٣)

الحادي عشر: إشارة موجزة في سورة فصلت قال -تعالى-: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾﴾ [فُصّلت:٤٥]، كذلك في سورة الزخرف ولكن كان هناك زيادة لم ترد إلا في قوله -تعالى-: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾(٥٤)

الثاني عشر: إشارة خاطفة إلى إرسال موسى عليه السلام إلى فرعون قال-تعالى-: ﴿وَفِى

مُوسَىٰٓ إِذۡ أَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكۡنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٞ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٞ ﴿٤٠﴾﴾(٥٥).

الثالث عشر: في سورة الكهف عرض مشهد موسى عليه السلام والرجل الصالح، ولم ترد إلافي هذا الموضع قال –تعالى–: ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبۡرَحُ حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجۡمَعَ بَيۡنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ سَرَبٗا ﴿٦١﴾﴾ [الكهف:٦١]

الرابع عشر: تفصيل آخر للقصة لم يذكر إلا من آيات سورة البقرة في مشهد تذكير قوم موسى بفضل الله –تعالى–، وطلبهم لأطعمة منوعة غير المن والسلوى يذكر بعده قصة البقرة التي أمرهم الله –تعالى– بذبحها قال–تعالى–: ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗاۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا فَارِضٞ وَلَا بِكۡرٌ عَوَانُۢ بَيۡنَ ذَٰلِكَۖ فَٱفۡعَلُواْ مَا تُؤۡمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوۡنُهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ صَفۡرَآءُ فَاقِعٞ لَّوۡنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلۡبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيۡنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهۡتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا ذَلُولٞ تُثِيرُ ٱلۡأَرۡضَ وَلَا تَسۡقِي ٱلۡحَرۡثَ مُسَلَّمَةٞ لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ قَالُواْ ٱلۡـَٰٔنَ جِئۡتَ بِٱلۡحَقِّۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذۡ قَتَلۡتُمۡ نَفۡسٗا فَٱدَّٰرَٰٔتُمۡ فِيهَاۖ وَٱللَّهُ مُخۡرِجٞ مَّا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلۡنَا ٱضۡرِبُوهُ بِبَعۡضِهَاۚ كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾(٥٦)

الخامس عشر: يقول الرب –تعالى– في سورة النساء: ﴿يَسۡـَٔلُكَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيۡهِمۡ كِتَٰبٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ فَقَدۡ سَأَلُواْ مُوسَىٰٓ أَكۡبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلۡمِهِمۡۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ فَعَفَوۡنَا عَن ذَٰلِكَۚ وَءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا ﴿١٥٣﴾﴾(٥٧) إشارة موجزة لطلب بني إسرائيل أن يروا الله –تعالى– جهرة للتدليل على عنتهم وكفرهم.

السادس عشر: ذكرت الآيات مشهد وقوفهم على أبواب الأرض المقدسة في سورة المائدة قال –تعالى–: ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَعَلَ فِيكُمۡ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكٗا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمۡ يُؤۡتِ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمَا ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ ئج ئح ئم ئى قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ

فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾(٥٨)، فيتركهم هناك في التيه فلا يأتي بعده ذكر لنبي الله موسى عليه السلام، ولا يذكر عن قومه إلاّ تفرقهم وعدائهم للمسلمين"(٥٩).

أما قضية التكرار فقد: "تناولها كثير من القدماء والمحدثين، ولعل دافع معظمهم هو الرد على ادعاء بعض المستشرقين، وأصحاب القلوب الضعيفة، الذي اتخذوا من تكرار بعض القصص ذريعة للطعن في القرآن الكريم"(٦٠)، والواقع أن في كل موضع تكررت فيه القصة زيادة شيء لم يذكر في الذي قبله، فكأنّ القصة تتكرر، والحقيقة أنها لا تتكرر، ولكن يرد موضع جانب منها بحسب ما يقتضيه السياق، ويختار ابن فارس من وجوه التعليل لتكرار القصص والأنباء رأياً له فيقول: " فأما تكرير الأنباء، والقصص في كتاب الله -تعالى- فقد قيلت فيه وجوه وأصح ما يقال فيه"(٦١): إن الله -تعالى- جعل هذا القرآن الكريم وعجز القوم عن الإتيان بمثله؛ لصحة نبوة محمد ﷺ، ثم بين وأوضح الأمر في عجزهم بأن كرر ذكر القصة في مواضع إعلاما أنهم عاجزون عن الإتيان بمثله فهذا أولى ما قيل في هذا الباب"(٦٢)، ولا ريب أن تكرار القصص في القرآن الكريم تكمن وراءه أسرار كثيرة، ولا نجد قصة ذكرت في سورتين بطريقة واحدة، بل كانت تأتي لتناسب السياق وهذا أدعى للتشويق، ومعرفة أكثر لخبايا القصة.

والتكرار مطلوب في القرآن الكريم؛ لأنه كتاب دعوة وهداية، والنفس جبلت على النسيان، فتحتاج إلى تذكير من وقت لآخر، وإلى تأكيد، وتنبيه، وتخويف، وترغيب وهذه رحمة من الله -تعالى- بنا وقصة سيدنا موسى عليه السلام من أبرز القصص القرآنية التي كثر ذكره في القرآن الكريم، وهي من أطول القصص، فقد ذكرت على مدى ثلاثين جزء من سورة البقرة إلى سورة الأعلى، فتارة تأتي مفصلة مطولة، وتارة يأتي الحديث عن جانب واحد فقط، وقد ذكر سيد قطب ~ "أنها أكثر القصص في القرآن الكريم تكراراً، حيث وردت هذه القصة في حوالي ثلاثين موضعاً"(٦٣)، لذلك ذكرت في أكثر من سورة، ولكن لا يعني أنها جاءت مكررة بدون فائدة، فمع وجود بعض الأفكار المشتركة بين تلك السور، إلا أن كل سورة تحتفظ بخصوصية معينة تميزها عن غيرها، فالتكرار في الحقيقة لا يتناول القصة كلها غالباً، وإن وردت القصة في مواضع شتى، فالتكرار جاء لبعض حلقاتها، "ومعظمه إشارات سريعة لموضع العبرة، أما مضمون القصة ذاته، وهيكلها، فلا يكرر إلا لمناسبات خاصة في

السياق"(٦٤).

فعندما نتتبع ذلك في القرآن الكريم، نجد في سورة الأعراف قوله –تعالى–: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾﴾(٦٥)، هنا نجد أن الآيات أجملت دون ذكر للأحداث، فتشوقت النفس لمعرفة التفاصيل، فكانت في سورة طه قال –تعالى–: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾﴾(٦٦)، كذلك في سورة الأعراف، ويونس تكررت القصة بشيء من التفصيل لمناسبة السياق: قال –تعالى– في سورة الأعراف:﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾﴾(٦٧)، وقال –تعالى– في سورة يونس: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾﴾(٦٨)

"نلاحظ أن الآية في سورة الأعراف ذكرت موسى عليه السلام وحده دون ذكر هارون عليه السلام، لأن السياق في هذه السورة يذكر حال بني إسرائيل مع فرعون، فناسب أن يذكر موسى عليه السلام وحده؛ لأنه لم تكن هناك تفاصيل في بداية القصة، أما في سورة يونس فإنه يذكر حال بني إسرائيل عندما أرسل موسى عليه السلام، فكان من المناسب أن يذكر معه هارون عليه السلام؛ لأن كليهما أرسلا إلى فرعون، ونجد كذلك في سورة الأعراف قدم المرسل به، وفي سورة يونس قدم المرسل إليهم، وهو يدل على ما يراد الاهتمام به.

وفي ختام الآيتين كان التذييل مختلف ففي سورة الأعراف قال –تعالى–:﴿... فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾﴾، فهو سبحانه يبين حال الآيات المرسل بها، وتكذيب آل فرعون لها، فكان الجزاء أن عاقبهم الله –تعالى–، أما في سورة يونس قال –تعالى–:﴿... فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾﴾، فبين حال المرسل إليهم، وأنه لم يمنعهم من قبول الحق إلا الكبر "(٦٩)

وفي قصة الملأ من بني إسرائيل مع موسى عليه السلام الذين طلبوا ملكا يذهب بهم إلى الأرض المقدسة نرى كيف تحددت معالم الصراع، وحددت النتيجة بطريقة مفصلة قال –تعالى–:﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾﴾(٧٠)، فهي تشوق السامع والقارئ إلى التفاصيل التي تأتي بعد ذلك، وما كان من الأغلبية من بني إسرائيل الذين قعدوا عن القتال. وإذا نظرنا إلى قول –تعالى–: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ

فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾(٧١)، "نجد القصة ذكرت طرفي الصراع موسى عليه السلام في جانب وفرعون وملأه في جانب آخر، وحددت نوع الصراع، وألمحت إلى نهاية ذلك الصراع بذكر فعل الأمر، وأداة الاستفهام التي تدعو إلى التأمل في تلك النهاية العجيبة، ومن المشاهد المكررة، وفيه تشابه كبير ما ورد في مشهد المبارزة بين موسى عليه السلام، والسحرة في سورة الشعراء، وسورة الأعراف قال –تعالى–: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَـٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَـٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَـٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَـٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَـٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَـٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَـٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴾(٧٢)، مناسبة السياق هنا أن موضوع القصة هو تاريخ بني إسرائيل إلى ما بعد ذلك من أحداث، بينما في سورة الشعراء فموضوعها هو ذكر قصة موسى عليه السلام مع فرعون وقومه، ومعنى ذلك أن ما في سورة الشعراء إنما هو جانب مما في سورة الأعراف"(٧٣)، قال –تعالى–: ﴿ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَـٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَـٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَـٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَـٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَـٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَـٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَـٰيَـٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ ﴾(٧٤)، نلاحظ هنا في سورة الشعراء مجيء التكرار مشوقا في القصة؛ لما تحتويه من التفصيل، وقوة المواجهة والتحدي بينما في سورة الأعراف

نشاهد أنها بنيت على الاختصار(٧٥)، ثم يتكرر مشهد آخر من قصة موسى عليه السلام في سورتي البقرة، والأعراف، ولكن السياق يختلف، وهذا يبعث على التشويق لمعرفة سر الاختلاف، ففي سورة البقرة قال –تعالى–: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ ۖ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾﴾(٧٦)

ويقول –تعالى– في سورة الأعراف: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾ وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ ۖ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾﴾(٧٧)

فمن خلال الاطلاع على سياق الآيات في السورتين، يتضح لنا سر الاختلاف فسياق الآيات في سورة البقرة، هو تعداد النعم التي أنعمها الله –تعالى– على بني إسرائيل ويبدأ الكلام معهم بقوله –تعالى–: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾﴾(٧٨)، ثم يأخذ بسرد النعم عليهم، ويذكرهم بها.

أما في سورة الأعراف، فالمقام مقام تقريع، وتأنيب فإن بني إسرائيل قوم لا يتعظون فبعد أن نجاهم الله –تعالى– من فرعون طلبوا من موسى عليه السلام أن يجعل لهم أصناما يعبدونها، وهذا ما فعلوه عندما ذهب موسى عليه السلام لميقات ربه عبدوا العجل.(٧٩)

وفي قوله –تعالى–: ﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾﴾(٨٠)، هذه الآية القرآنية تكررت عدة مرات في نفس السياق على لسان العبد الصالح في وضع الصبر شرطا للصحبة وتذكيرًا به بعد كل فعل يقوم به، وتشويقا للمفاجآت التي ستواجه موسى عليه السلام. وكذلك تكرار ألفاظ العلم في نفس السياق "علمناه، علمًا، تعلمني،

علمت" فضلا عن تكرار ألفاظ "الصبر، صبرًا، تصبر، صابرًا "، وتكرار هذه الألفاظ يدل على أن طلب العلم يحتاج إلى صبر، ومجاهدة، وهذا المغزى الذي دلت عليه القصة.

وقد يصل التكرار إلى حد التشابه، والتماثل كما في مشهد موسى عليه السلام، وهو في طور سيناء في سورة النمل في قوله -تعالى-: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨﴾ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَـٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ۖ فِى تِسْعِ ءَايَـٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿١٢﴾﴾ [النمل:٧- ١٢].

وذُكِرَ المشهد ذاته في سورة القصص قال -تعالى-: ﴿۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَـٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَـٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَـٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْـَٔامِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ۖ فَذَٰنِكَ بُرْهَـٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾﴾(٨١)، نرى أن الاختلاف كان في بعض الألفاظ، أو الجمل، أو الأحرف التي زيدت في المقطع الأول، أو حذفت في المقطع الثاني، وهناك اختلاف في السياق الذي وردت فيه كلا منهما، ففي آيات سورة النمل نجد مشاهد من قصة موسى عليه السلام فيها، أما الذي ورد في سورة القصص فيمثل جزء منها.

وإذا نظرنا للحكمة من تكرار قصة موسى عليه السلام وكثرة ورودها في القرآن الكريم؛ فذلك للتشابه الكبير في المحن والبلاء بين رسول الله موسى ورسولنا الكريم -عليهما الصلاة والسلام- في تكذيب قومه، والهجرة، وغير ذلك كثير، فقد كان فيه تسلية للقلوب، وموضع للعظة، والعبرة، والنظر في حال الأمم السابقة مما يزيد في الثبات والحذر مما وقعوا فيه، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية الحكمة من ذلك فقال:" وثنى قصة موسى عليه السلام مع فرعون؛ لأنهما طرفا نقيض في الحق والباطل، فإن فرعون في غاية الكفر والباطل، حيث كفر بالربوبية، وبالرسالة، وموسى عليه السلام في غاية الحق، والإيمان من جهة أن الله -تعالى- كلمه تكليماً لم يجعل الله -تعالى- بينهما واسطة

من خلقه، فهو مثبت لكمال الرسالة، وكمال التكلم، ومثبت لرب العالمين بما استحقه من النعوت. هذا بخلاف حال أكثر الأنبياء مع الكفار، فإن الكفار أكثرهم لا يجحدون وجود الله -تعالى-، ولم يكن أيضا للرسل من التكليم ما لموسى عليه السلام، فصارت قصة موسى عليه السلام وفرعون أعظم القصص عبرة لأهل الإيمان، ولأهل الكفر"(٨٢).

ولعل الحكمة من تكرار قصة موسى عليه السلام هي أن اليهود في عهد النبي ﷺ كانوا موجودين في المدينة، وهم ثلاث قبائل -بنو قينقاع، وبنو النضير، وبنو قريظة- ، وهم ممن دُعُوا إلى الدعوة الإسلامية، وهم من أ كثر الأمم عناداً، واستكباراً، ومجادلة بالباطل فأكثر الله -تعالى- من ذكر حال أولئك القوم، حتى يتبين حال هؤلاء المعاندين، ولأجل أن يكون رسول الله ﷺ على بصيرة من الأمر في معالجة هؤلاء، " ولعل من أسباب تكرار قصة موسى عليه السلام مع فرعون أكثر من غيرها، التناسب الكبير بين شريعة موسى عليه السلام، وشريعة نبينا محمد ﷺ، وبين كتابيهما، ولهذا يكثر في القرآن الكريم ذكر موسى عليه السلام وكتابه، وبعده ذكر القرآن العظيم"(٨٣)، كما قال الله -تعالى-: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾﴾(٨٤)، وللتشابه الكثير بين الأحوال التي جرت لموسى عليه السلام، والتي كانت تجري لنبينا محمد ﷺ، وأن الصراع الوجودي سيكون بين أمة محمد ﷺ، وبين بني إسرائيل، قال رسول الله ﷺ:" لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر والشجر: يا مسلم يا عبد الله، هذا يهودي خلفي، فتعال، فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجر يهود"(٨٥)، فتكرار هذه القصة ليس من باب الترف الذهني، وإنما كان تشويقا؛ لمعرفتهم، ومعرفة أحوالهم بالتفصيل، حتى نكون على علم ووعي في التعامل معهم، وما يخبئونه لنا.

المبحث الخامس
أسلوب الحوار

اعتمد القصص القرآني بصورة واضحة على أسلوب الحوار، وهو فن فيه إثارة القلق والترقب، وتحريك المتلقي بشكل إيجابي "وهو يبعث على الحياة، والحركة في الحدث ويؤدي إلى الهدف، ويكشف عن مدى الصراع في المواقف المغايرة...كما أنه يترجم عن الشخصيات، ويستنبط انفعالاتها، وأزمتها، ويضعها في إطار معين، ويزج القارئ في تجربة القصة؛ ليعيشها، وتنقله من عالمه إلى عالمها..."(٨٦).

ويسهم الحوار في الكشف عن جوانب خفية في حياة الشخصيات، وينتقل من شخصية إلى أخرى، أو أكثر، ويجعل المتلقي يترقب مصير تلك الشخصيات، ويُعَدُّ الحوار من العناصر التي تشدنا إليه، فالتلوين، والتنويع في الأسلوب، والانتقال من شخصية إلى أخرى، أو أكثر، وتدافع الآراء، والأفكار يمنح تلك القصص تشويقا، وحركة وحيوية، ويثير انفعالات المتلقي، ويجعله أكثر تحفزا، وتشوقا لتلك الأحداث، ومتابعة مصير تلك الشخصيات المختلفة"(٨٧)، فعن طريق عرض المشاهد التي يتعدد فيها مصادر الحوار المتباينة، فنجد الحوار تارة يكون بحضور الملائكة، وتارة بحضور الأنبياء، أو الصالحون، أو الطالحون، أو الحيوانات، أو الجن.

وأعظمها هو الحضور الإلهي في الحوار مما يزيده هيبةً، وتشويقًا، وجاذبية، ومن ذلك ما ورد في قصة موسى عليه السلام في قوله -تعالى-: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۢ بِمَا تَسۡعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ ﴿١٦﴾ وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيۡهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلۡقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلۡقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٞ تَسۡعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذۡهَا وَلَا تَخَفۡۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلۡأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخۡرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا ٱلۡكُبۡرَى ﴿٢٣﴾ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ﴿٢٨﴾ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ﴿٣١﴾ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ﴿٣٢﴾ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ﴿٣٣﴾ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾﴾(٨٨)، فهذه اللقطة الحية تلقي الضوء على جانب من القصة يتجلى فيها موسى عليه السلام وهو يستمع بكل جوارحه، ومشاعره في غاية الإنصات، والذهول من هيبة الموقف، وهيبة المتحدث -سبحانه وتعالى- "إن القلب ليجف، وإن الكيان ليرتجف، وهو يتصور مجرد تصور ذلك المشهد موسى عليه السلام فريد في تلك الفلاة، والليل دامس، والظلام شامل، والصمت مخيم، وهو ذاهب يلتمس النار التي آنسها من جانب الطور، ثم إذ الوجود كله من حوله يتجاوب بذلك النداء: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ﴿١٢﴾﴾(٨٩)، إن تلك الذرة الصغيرة الضعيفة المحدودة تواجه الجلال الذي لا تدركه الأبصار، الجلال الذي تتضاءل في ظله الأرض والسماوات يتلقّى ذلك النداء العلوي بالكيان البشري فكيف ؟

كيف لولا لطف الله -تعالى-؟ إنها لحظة ترتفع فيها البشرية كلها وتكبر

ممثلة في موسى عليه السلام فبحسب الكيان البشري أن يطيق التلقي من ذلك الفيض لحظة، وبحسب البشرية أن يكون فيها الاستعداد لمثل هذا الاتصال على نحو من الأنحاء كيف ؟ لا ندري كيف! فالعقل البشري ليس هنا ليدرك، ويحكم إنما قصاراه أن يقف مبهوتا يشهد ويؤم"(٩٠)

وفي مشهد آخر من مشاهد قصة موسى عليه السلام ومع شخصية أخرى في الحوار إنه مشهد إثبات الحق، وإبطال الباطل مع فرعون، وسحرته يقول -تعالى-: ﴿ قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٞ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخۡرِجَكُم مِّنۡ أَرۡضِكُمۡۖ فَمَاذَا تَأۡمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَأَرۡسِلۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٖ ﴿١١٢﴾ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرۡعَوۡنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ لَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحۡنُ ٱلۡمُلۡقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلۡقُواْۖ فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ وَجَآءُو بِسِحۡرٍ عَظِيمٖ ﴿١١٦﴾ ۞ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَۖ فَإِذَا هِيَ تَلۡقَفُ مَا يَأۡفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلۡحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرۡعَوۡنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكۡرٞ مَّكَرۡتُمُوهُ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لِتُخۡرِجُواْ مِنۡهَآ أَهۡلَهَاۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتۡنَاۚ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴾(٩١)، لقد كان مشهداً سلط الله -تعالى- الضوء فيه على مصدر القوة التي كان فرعون يتكأ عليها، ويرهب الناس بها ويستعبدهم، ويفرض سيطرته، وملكه عن طريقها إنهم حاشيته، وبطانته من السحرة، فعندما بدأ يشعر بقوة الحق أخذ يستنجد بهم، ويشحذ جميع القوى لديهم أمام موسى عليه السلام، ولكن هيهات هيهات، فإن ما عند موسى عليه السلام من المعجزات يحول دون مراد فرعون، وسحرته، وينقلب السحر على الساحر، وينبعث الإيمان في قلوب السحرة، وتأتي نهاية الظالم، ويحق الله -تعالى- الحق، وينتصر الحق، ويهزم الباطل، ويندحر.

حوار آخر يظهر في مشهدٍ يُشتم منه رائحة العفة، والحياء، مشهد سُقيا موسى عليه السلام للفتاتين يقول -تعالى-: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ قَالَتۡ إِنَّ أَبِي يَدۡعُوكَ لِيَجۡزِيَكَ أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَاۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ

ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾(٩٢)

ومن صور الحوار، حوار الرسل عليهم السلام مع أقوامهم، وهذا النوع من الحوار كثير في قصص القرآن الكريم، فقد كان الحوار لدعوتهم إلى عبادة الله –تعالى– وطاعة أوامره ولرد الشبه ودحض الأفكار الباطلة فمهمة الرسل هي الدعوة إلى الله ونشر الرسالات ومن نماذج ذلك ما ورد في سورة البقرة في حوار موسى عليه السلام مع بني إسرائيل يقول –تعالى–: ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗاۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا فَارِضٞ وَلَا بِكۡرٌ عَوَانُۢ بَيۡنَ ذَٰلِكَۖ فَٱفۡعَلُواْ مَا تُؤۡمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوۡنُهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ صَفۡرَآءُ فَاقِعٞ لَّوۡنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلۡبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيۡنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهۡتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا ذَلُولٞ تُثِيرُ ٱلۡأَرۡضَ وَلَا تَسۡقِي ٱلۡحَرۡثَ مُسَلَّمَةٞ لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ قَالُواْ ٱلۡـَٰٔنَ جِئۡتَ بِٱلۡحَقِّۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذۡ قَتَلۡتُمۡ نَفۡسٗا فَٱدَّٰرَٰٔتُمۡ فِيهَاۖ وَٱللَّهُ مُخۡرِجٞ مَّا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلۡنَا ٱضۡرِبُوهُ بِبَعۡضِهَاۚ كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾(٩٣)، نلاحظ أن الحوار مكتمل الجوانب، فهي قصة من قصص موسى عليه السلام مع قومه، فقد أمرهم الله –تعالى– أن يذبحوا بقرة، ويأخذوا جزءا منها، ويضربوا بها ذلك الميت، ولكن عندما تعنتوا في الأسئلة شدد الله –تعالى– عليهم، لقد كان المطلوب من بني إسرائيل ذبح بقرة بدون شروط، ولا قيود، ولو فعلوا؛ لكفتهم، لقد جاء الحوار السابق مشوقًا، ومثيرًا وكاشفًا لحقيقة القوم، وما يضمرونه من عدم رغبتهم لفعل ما أمر الله –تعالى–، ولكن الله –تعالى– كشف حقيقتهم من عدم استجابتهم لأمر الله –تعالى–، فذبحوها وما كادوا يفعلون.

ومن أمثلة الحوار في القصص القرآني، حوار الأنبياء عليهم السلام مع أقاربهم فمن ذلك حوار موسى عليه السلام مع أخوه هارون يقول –تعالى–: ﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيۡتَ أَمۡرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي وَلَا بِرَأۡسِيٓۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقۡتَ بَيۡنَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَمۡ تَرۡقُبۡ قَوۡلِي ﴿٩٤﴾﴾(٩٤)، فهذا الحوار كان جزءا من المشهد عندما ذهب موسى عليه السلام لميقات ربه، خلفه قومه، وعبدوا العجل، ولم يستمعوا لنصيحة هارون أخو موسى عليهما السلام الذي جعله خليفة من بعده عليهم، ولكنهم لم يستمعوا لنصحه، فعندما عاد موسى عليه السلام ورأى ما هم عليه أخذ يعاتب أخوه هارون عليه السلام لماذا لم تخبرني فأبادر بالرجوع إليهم، فأمسك موسى عليه السلام برأس أخيه، ولحيته يشده إليه من الحزن، "فأخذ يناديه ترقيقا له:–يا ابن أمّ– إنك أمرتني أن أخلفك فيهم، فلو تركتهم،

وليس عندهم راع، ولا خليفة لهم، وتبعتك؛ لتفرقوا، وخشيت لائمتك، فلا تشمت فينا الأعداء، فندم موسى عليه السلام على ما صنع"(٩٥)، وقال –تعالى– في موضع آخر: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي وَأَدۡخِلۡنَا فِي رَحۡمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ ﴾(٩٦)، وهكذا كان تنوع الحوار بتنوع الشخصيات، وتنوع السياق وهذا مما يزيد القصص القرآني مزيدا من التشويق، والإثارة، والمتعة مما يزيد القلب شغفا؛ لمتابعة أحداث القصة، والمآلات التي آلت إليه مما يزيد إيمان المؤمنين، ويصيب في الوقت ذاته غير المؤمنين الحسرة، والحيرة، والألم؛ لأنهم سيعلمون أن وراء ذلك خالقا كفروا به، ويتضح لنا من خلال القصص القرآني أن الحوار قد يأتي مطولا يشوق السامع إلى دقائق الموضوع الذي تم من أجله الحوار لمعرفة الغايات البعيدة، والقريبة التي تجيب على تساؤلات كثيرة، وهو يعنى بعدة أمور منها: الأحرف، والكلمات الزائدة التي تعطي معاني بلاغية متعددة، والاحتراس، وذكر الخاص بعد العام؛ لإفادة العموم بشأن الخاص، أو الإيضاح بعد الإبهام؛ لتقرير المعنى في ذهن السامع، ويكون استخدام الحروف الزائدة "وهي التي لا تجلب معاني جديدة، وإنما يؤكد، ويقوي المعنى العام للجملة كلها"(٩٧)، فيكون الغرض من الزيادة في الأحرف هو للتأكيد، وزيادة في المعنى كما في قوله –تعالى–: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلۡتُ مِنۡهُمۡ نَفۡسٗا فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ ﴿٣٣﴾ ﴾(٩٨)، فأكد "إني" والله –تعالى– يعلم أنه قتل ولكن أكد لإظهار خوف موسى عليه السلام، وقال الألوسي: "والمراد بهذا الخبر طلب الحفظ، والتأكيد؛ لإبلاغ الرسالة على أكمل وجه، والاستعفاء"(٩٩)، أما ابن عاشور فقد قال:"جرى التأكيد على الغالب في استعمال أمثال من الأخبار الغريبة؛ ليتحقق السامع من وقوعها، وإلا فإن الله –تعالى– قد علم ذلك، وليس هذا من باب العذر؛ لأن رسالة الله –تعالى– لا يتعذر منها، ولكنه أراد أن يكون في أمن إلهي من أعدائه، فهذا تعريض بالدعاء، ومقدمة لطلب تأييده بهارون أخيه "(١٠٠)

وكما في قوله –تعالى–: ﴿فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلۡنَا لَا تَخَفۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٦٨﴾﴾(١٠١)، أكد الجملة بحرف التوكيد "إن"؛ وذلك لبث الحماسة في داخله(١٠٢).

وكذلك في حوار سحرة فرعون مع موسى عليه السلام قال –تعالى–: ﴿ فَلَنَأۡتِيَنَّكَ بِسِحۡرٖ مِّثۡلِهِۦ فَٱجۡعَلۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكَ مَوۡعِدٗا لَّا نُخۡلِفُهُۥ نَحۡنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانٗا سُوٗى ﴿٥٨﴾﴾(١٠٣)، كرر حرف النفي "لا"؛ للتأكيد، ولإظهار ثقتهم بالنصر، وقدرتهم على كسب المعركة.

أما تكرار الكلمة في الحوار؛ فقد جاءت لتؤكد عدة معاني كما ذكر السيوطي،

فإما أن يكون تأكيد معنوي، أو اللفظي، أو تأكيدا بالمصدر، أو حال مؤكدة"(١٠٤)، التأكيد المعنوي ما كان في حوار الله –تعالى– مع الملآئكة قال –تعالى–: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٣١﴾(١٠٥)، فجاء التأكيد "بكلها" ليدل على المبالغة والشمول، أما التأكيد بالمصدر فكما ورد في حوار موسى عليه السلام مع السامري في قوله –تعالى–: ﴿ قَالَ فَٱذۡهَبۡ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَۖ وَإِنَّ لَكَ مَوۡعِدٗا لَّن تُخۡلَفَهُۥۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلۡتَ عَلَيۡهِ عَاكِفٗاۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلۡيَمِّ نَسۡفًا ٩٧﴾(١٠٦)، فأكد بالمصدر "نسفا" للتهويل، وللتهديد، وليظهر غضب موسى عليه السلام (١٠٧)

أما ما جاء من التأكيد اللفظي، وهو "تكرار اللفظ الأول إما بمرادفه، أو بلفظه وذلك لغرض التأكيد والتقرير"(١٠٨)، ومثاله في حوار موسى عليه السلام مع الرجل الصالح في مدين يقول –تعالى–: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٢٧﴾(١٠٩)، إن "هاتين" توكيداً لفظياً؛ وذلك لتأكيد على أن المرأتين اللتين سقى لهما دون بنات شعيب"(١١٠)

أما الحال المؤكدة فهي كما ذكرها الله –تعالى– في قوله: ﴿فَخَرَجَ مِنۡهَا خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢١ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلۡقَآءَ مَدۡيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهۡدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ٢٢﴾(١١١)، فأكد بـ"خائفا "وهي تدل على الحال التي كان عليها موسى عليه السلام وقت خروجه من مصر.

أما الاحتراس فهو "أن يؤتى في الكلام يوهم خلاف المقصود فيدفعه "(١١٢)، وذكره القدماء منهم: ابن أبي الإصبع فأفرد له باباً وعرفه بأنه:"يأتي المتكلم بمعنى يتوجه عليه فيه دخل فيفطن لذلك العمل فيأتي في أصل الكلام بما يخلصه من ذلك"(١١٣)، ومن ذلك ما ورد في حوار الله –تعالى– مع موسى عليه السلام حينما أراد تأييده بالمعجزات –تعالى– في قوله: ﴿ ٱسۡلُكۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖ وَٱضۡمُمۡ إِلَيۡكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهۡبِۖ فَذَٰنِكَ بُرۡهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ٣٢﴾(١١٤)، فاحترس –تعالى– بقوله: "من غير سوء" من إمكان أن يدخل في ذلك البهق والبرص "(١١٥).

وأما ذكر الخاص بعد العام أو "عطف الخاص على العام"، وهو "أن يذكر المعنى العام الذي يتضمن العديد من الجزيئات، ثم بعد ذلك يذكر بعض تلك الجزئيات وفائدته البلاغية التنبيه على فضل الخاص حتى كأنه ليس من جنس

العام"(١١٦)، ومن ذلك قول الله –تعالى– في حوار موسى عليه السلام مع فرعون، وقومه: ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ ﴿٦١﴾﴾ (١١٧). فذكر العام وهو: العذاب لمن يفتري على الله كذباً وهذا العذاب يشمل عدة أنواع منها الخيبة، وذكرها في هذا المقام؛ لأهميتها وللتنبيه على الخيبة التي سوف تلحق فرعون وجنوده، وأن موسى سوف يتغلب عليهم"(١١٨) في قوله –تعالى–: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٥﴾﴾(١١٩)

ذكر العام وهو "المنّ عليهم"، ثم ذكر الخاص وهو "جعلهم أئمة" ووارثين؛ لأهميتها "ولإظهار أن الله –تعالى– سوف ينهي أمر فرعون"(١٢٠)

وأما الإيضاح بعد الإبهام: فعرفه القدماء "بأن يتم عرض المعنى مرتين الأولى: مبهمة والأخرى: موضحة شارحة لذلك الإبهام"، وذكر البلاغيون القدماء غرضه البلاغي وهو أن "يأتي ليرى المعنى في صورتين، أو ليكون بيانه بعد التشوق إليه؛ لأنه يكون ألذ للنفس، وأشرف عندها، وأقوى لحفظها، وذكرها"(١٢١).

وقد جاء في القرآن الكريم **لغرض التفصيل والبيان والتوضيح** ومن أمثلته قوله –تعالى–: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴿٣٨﴾ أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴿٣٩﴾﴾(١٢٢)، فجاء الكلام مجملاً مبهمًا في قوله –تعالى–: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴿٣٨﴾﴾، ثم بدأ بتوضيح ذلك الوحي بأن تقذفه في التابوت، ثم في البحر؛ لكي يأخذه ذلك العدو الذي سيكون موسى عليه السلام سببا لهلاكه، وكذلك نجد التفصيل بعد الإبهام في قوله –تعالى–: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ... ﴿١٤٢﴾﴾(١٢٣)، وأعاد قوله –تعالى–: ﴿...أَرْبَعِينَ ... ﴿١٤٢﴾﴾، " وإن كان معلومًا من الثلاثين، والعشر أنها أربعون لنفي اللبس؛ لأن العشر لما أتت بعد الثلاثين التي هي نص في المواعدة دخلها الاحتمال أن تكون من غير المواعدة، فأعاد ذكر الأربعين نفيا لهذا الاحتمال، وليعلم أنّ جميع العدد للمواعدة."(١٢٤)

المبحث السادس
أسلوب المفاجأة ولفت الانتباه

عنصر المفاجأة، ولفت الانتباه من العناصر المهمة في سرد القصص إذا ما وُظِفت بشكل صحيح، فهي تعطي حيوية وجذب انتباه للمتلقي، وتحمسه؛ لمتابعة أحداث القصة بكل متعة وإثارة وتشويق، وفقدان القصة لهذا العنصر يُعَدّ ضعفًا في

حبكتها الفنية، وتسبب الملل وعدم المتابعة من قبل المتلقي، ولذلك كانت المفاجأة من العناصر الفنية التي يتسم بها القصص القرآني "بما يتخلله من مفاجآت تكون كالهزات العنيفة التي تثير الانتباه، وتذكي الشوق إلى متابعة القصة"(١٢٥)، ولو أمعنّا النظر في طريقة عرض القصص القرآني، لو جدنا أنها لا تسير على نظام واحد في تقديم الحدث المفاجئ الذي يسهم في النهاية، ويحرك القصة إلى حل عقدتها الرئيسة"، ولكنها تراعي المكان، والزمان المناسبين لإظهار المفاجأة، فتقدمها فيها محافظةً على القيمة الفنية المعجزة، التي يقوم عليها البيان القرآني في عمومه"(١٢٦).

ومن طرق المفاجآت في القصص القرآني التي تشد القارئ إليها' وتلفت انتباهه" أنها تبدأ في كثير من الأحيان بأغرب مشهد يلفت النظر فيها، حتى إذا أثار ذلك انتباه القارئ انطلق البيان القرآني في عرض سائر مشاهدها المتلاحقة، وقد يكون هذا المشهد الذي أقيم في مدخل القصة متأخرًا من حيث سلسلة الوقائع، والأحداث المتلاحقة فيها، فيعمد البيان القرآني العظيم إلى استدراك ما تركه من قبل، ويعرضه خلال القصة بمناسبة ما، وفي إطار يزيد من جمال العرض، وروعته، ولنقرأ مثالا لذلك قصة موسى عليه السلام، وفرعون في أول سورة طه انظر إلى هذا المشهد الذي افتتح به مدخلا للقصة: قال –تعالى-: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾﴾(١٢٧)

جاء التعبير في هذا المشهد بكلمة (... بِقَبَسٍ...)، وعبر عنها في سورة القصص من باب الرجاء ﴿... أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ...﴾ تحولت هذه الجذوة إلى قبس رجاء أن يأخذها كما جاء في سورة طه ﴿...لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ..﴾ بينما تحول هذا القبس إلى شهاب في سورة النمل.

لا ريب أن هذا المشهد يلفت النظر، ويبعث على الانتباه، والتطلّع إلى ما وراءه، ولكن البداية به فوّتت على القارئ معرفة ما سبق ذلك من الأحداث، فيستدركها البيان القرآني في ثنايا العرض، ويصوّرها للقارئ، وكأنها قصة ضمن قصة.

وانظر كيف حانت المناسبة ؟ وكيف عادت القصة إلى عرض الأحداث من أولها بمناسبة معينة ؟ فعندما ذهب موسى إلى حيث رأى النار المشتعلة سمع هناك نداء الله –تعالى– يكلّمه ويضعه أمام مسئولية الرسالة التي سيكلف بها"(١٢٨) قال –تعالى-: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ

هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾﴾(١٢٩) وفي قوله –تعالى-:﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾﴾(١٣٠)

"ما: استفهامية. والتاء بعدها إشارة لشيء مؤنث هو الذي يمسكه موسى عليه السلام في يده والكاف للخطاب، كأنه قال له: ما هذا الشيء الذي معك ؟ والجواب عن هذا السؤال يتم بكلمة واحدة: عَصَا وموسى عليه السلام يعرف أن الله –تعالى– هو الذي يسأل، ولا يخفى عليه ما في يده، لفت الانتباه هنا بنداء الله –تعالى-:﴿... يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾﴾ فيه إيناس؛ لأن الموقف صعب عليه، ويريد ربه أن يطمئنه، ويؤنسه وإذا كان الإيناس من الله –تعالى– فعلى العبد أن يستغل هذه الفرصة، ويطيل أمد الاستئناس بالله –تعالى– ولا يقطع مجال الكلام هكذا بكلمة واحدة لذلك رد موسى عليه السلام ﴿... هِيَ عَصَايَ...﴾ ثم يفتح لنفسه مجالاً آخر للكلام ﴿.. أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى ..﴾"(١٣١). ثم قال موسى عليه السلام يحاول الاختصار﴿... وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾﴾، "وكان موسى عليه السلام ينتظر سؤالاً يقول: وما هذه المآرب ؟ ليُطيل أُنْسه بربه –تعالى–، وإذا كان الخطاب مع الله –تعالى– فلا يُنهِيه إلا زاهد في الله –تعالى–.

وللعصا تاريخ طويل مع الإنسان، فهي لازمة من لوازم التأديب، والرياضة، ولازمة من لوازم الأسفار، ولما أهميتها في الرعي...الخ، وهنا يذكر موسى عليه السلام بعض هذه الفوائد"(١٣٢) يقول: ﴿... أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا ...﴾ أي: أعتمد عليها.

﴿... وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى ... ﴿١٨﴾﴾ [طه:١٨]؛ "لخدمة الرعية، وفيها سياسة إدارة الرزق كلها للماشية وللناس، ولفت الانتباه هنا بذكر رعاية الغنم ورعيها، وسياستها تدريب على سياسة الأمة بأسرها، لذلك ما بعث الله من نبي إلا ورعى الغنم؛ ليتعلم من سياسة الماشية سياسة الإنسان."(١٣٣)

قال –تعالى-: ﴿فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾) لفت الانتباه بـ ﴿...فَإِذَا.. ﴾ "هنا فجائية، كما تقول: خرجتُ فإذا اسد بالباب، وحينما ألقى موسى عليه السلام العصا سرعان ما تحولت وهي جافة يابسة إلى حية تسعى ليست جامدة."(١٣٤)

﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ... ﴿٢١﴾﴾ لفت الانتباه هنا في الآية الكريمة بذكر ﴿...وَلَا تَخَفْ ...﴿٢١﴾) بأن الله –تعالى– الرحيم يهدئ من روع كليم الله عليه السلام.

قال –تعالى-: ﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾﴾ لفت الانتباه هنا بكلمتي: ﴿...مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ... ﴾ أي أن البياض" من غير مرض، فقد يكون البياض في السُّمرة مرضاً والعياذ بالله –تعالى– كالبرص مثلاً، فنفى عنه ذلك وقوله –تعالى-:﴿...ءَايَةً أُخْرَىٰ﴿٢٢﴾ ﴾ أي معجزة لكنه لم يقل شيئًا عن الآية الأولى، فدل ذلك

على أن العصا كانت الآية الأولى، واليد الآية الأخرى."(١٣٥)

ومن طرق المفاجآت، ولفت الانتباه في قصة موسى عليه السلام تقديم حدث مفاجئ يسهم في قلب الأحداث، واتخاذها مسارا آخر مختلف يضفي مزيدا من التشويق في مشاهد القصة ومثال ذلك قوله -تعالى-: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾﴾(١٣٦)، كان هذا موقف السحرة عندما رأوا بأعينهم صدق موسى عليه السلام، وما جاء به من الحق، فجاءت المفاجأة الكبرى إيمان السحرة بالله -تعالى-، وسجودهم السريع كأنها راية استسلام لله -تعالى-، وتأكيدًا على دخول الإيمان في قلوبهم، فسجدوا وهم يؤكدون ذلك ﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ أي إيماننا وتصديقنا بالله -تعالى-، وليس بفرعون مدعي الألوهية بل برب العالمين رب موسى وهارون عليهما السلام، فجاءهم التهديد المباشر، وأُسقط في يد فرعون وقلبت الموازين، وانقلب السحر على الساحر، فأخذ يتوعد ويهدد: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾﴾، وهكذا الإيمان إذا خالط بشاشة القلب، فلم تثنيهم تهديدات فرعون، "وقول فرعون هذا يحتمل أنه قاله موافقا لظنه على سبيل التهمة لهم؛ لأنه لم يكن له علم بدقائق علم السحر حتى يفرق بينه، وبين المعجزة الخارقة للعادة، فظن أنها مكيدة دبرها موسى عليه السلام مع السحرة، وأنه لكونه أعلمهم، أو معلمهم أمرهم فأتمروا بأمره كما في الآية الأخرى ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ..﴾"(١٣٧)، كان ردهم الذي خلده الله -تعالى- في القرآن الكريم: ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا ...﴾ لقد كان إسلام السحرة بمثابة المفاجأة التي غيرت سير الأحداث.

ننتقل إلى مشهد آخر يظهر موقف موسى عليه السلام بعد عودته من لقاء ربه يقول -تعالى-: ﴿وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُو۟لَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٥﴾﴾(١٣٨)، كانت مفاجأة شديدة الوقع على نفس موسى عليه السلام فبعد أن منحهم الله الأمان، وأنقذهم من الاستعباد،

والذلة، والمهانة هكذا يكون شكر الله -تعالى- على ذلك أن عبدوا العجل، الذي أخرجه لهم السامري، فألقى موسى ﷺ الألواح، وجذب رأس هارون يشده إليه من شدة غضبه على ما فعلوا قال -تعالى-: ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِىُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًاۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾﴾(١٣٩).

كذلك من طرق المفاجآت، ولفت الانتباه في القصص القرآني إخفاء سر في القصة لا تعلمه شخصيات القصة ولا القارئ كما في رحلة الأسرار في قصة موسى ﷺ مع العبد الصالح نجد أنه "يسرد المفاجآت من رجل غامض ليراها نبي مندهش لإبراز حكمة إلهية عليا"(١٤٠) وقد وردت قصة موسى ﷺ مع الرجل الصالح في سورة الكهف، وكذلك في الحديث:"حدثنا أبي بن كعب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: قام موسى النبي خطيبا في بني إسرائيل فسئل أي الناس أعلم؟ فقال أنا أعلم، فعتب الله عليه، إذ لم يرد العلم إليه، فأوحى الله إليه أن عبدا من عبادي بمجمع البحرين، هو أعلم منك، قال: يارب وكيف به ؟ فقيل له: احمل حوتًا في مكتل فإذا فقدته فهو ثم، فانطلق وانطلق بفتاه يوشع بن نون، وحملا حوتا في مكتل حتى كانا عند الصخرة وضعا رؤوسهما، وناما فانسل الحوت من المكتل، فاتخذ سبيله في البحر سربا، وكان لموسى ﷺ وفتاه عجبا، فانطلقا بقية ليلتهما ويومهما، فلما أصبح قال موسى لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا، ولم يجد موسى من النصب حتى جاوز المكان الذي أمر به فقال له فتاه أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة؟ فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان، قال موسى: ذلك ما كنا نبغي، فارتدا على آثارهما قصصا، فلما انتهيا إلى الصخرة إذا رجل مسجى بثوب، أو قال تسجى بثوبه، فسلم موسى فقال:

الخضر وأنى بأرضك السلام، فقال: أنا موسى، فقال: موسى بني إسرائيل ؟ قال: نعم، قال: هل اتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا، قال: إنك لن تستطيع معي صبرا يا موسى، إني على علم من علم الله علمنيه، لا تعلمه أنت وأنت على علم علمكه لا أعلمه، قال: ستجدني إن شاء الله صابرا، ولا أعصي لك أمرا، فانطلقا يمشيان على ساحل البحر ليس لهما سفينة، فمرت بهما سفينة، فكلموهم أن يحملوهما، فعرف الخضر، فحملوهما بغير نول، فجاء عصفور، فوقع على حرف السفينة، فنقر نقرة أو نقرتين في البحر، فقال الخضر: يا موسى ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا كنقرة هذا العصفور في البحر، فعمد الخضر إلى لوح من ألواح السفينة، فنزعه، فقال موسى: قوم حملونا بغير نول عمدت إلى سفينتهم، فخرقتها؛ لتغرق أهلها، قال: ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا ؟ قال: لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا، فكانت الأولى من موسى نسيانا، فانطلقا، فإذا غلام يلعب مع الغلمان، فأخذ الخضر برأسه من أعلاه، فاقتلع رأسه بيده، فقال موسى: أقتلت نفسا زكية بغير نفس؟ قال: ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا ؟ قال ابن عيينة: وهذا أوكد، فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها، فأبوا أن يضيفوهما، فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض فأقامه الخضر بيده فأقامه، فقال له موسى: لو شئت لاتخذت عليه أجرًا، قال: هذا فراق بيني وبينك، قال النبي ﷺ: يرحم الله موسى لوددنا لو صبر حتى يقص علينا من أمرهما"، فنجد أن موسى عليه السلام يتعامل وفق طبيعته البشرية، عن عدم قبول ما قام به الخضر عليه السلام "(١٤١)

ومن طرق المفاجآت ولفت الانتباه أيضا حدوث أمر مفاجئ في القصة لم يكن يتوقع ومن ذلك قوله -تعالى-: ﴿۞ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾﴾(١٤٢)، فموسى عليه السلام ذهب للقاء ربه ولم يدر في خلده أن يرتد قومه لما شاهدوا من المعجزات، ومن نصر الله -تعالى- لهم، وغرق فرعون أمام أعينهم بالرغم من قوته، وجيشه، وسحره الذي كان مستعبد القوم به فقد تجلت قوة الله -تعالى- أمام أعينهم، ولكن ذلك كله لم يحدث تغييرا في داخل قلوبهم، وهذا الكفر، والفسوق والجحود بعينه لمن أنقذهم من الذل، والإهانة، والموت، والاستعباد، ولكن بني إسرائيل لا عهد لهم، ولا ميثاق في أي زمان ومكان، وكانوا قد سرقوا ذهبا، وحليا من مصر، فألقوها للسامري؛ ليعمل لهم عجلا يعبدوه، كما عبد أولئك القوم الشجرة فصنع لهم عجلا له خوار فكانت الصدمة والمفاجأة لموسى عليه السلام عند ما أخبره الله -تعالى- بما

فعلوا، قال –تعالى–: ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي ﴿٨٦﴾ قَالُواْ مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلۡنَآ أَوۡزَارٗا مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ فَقَذَفۡنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوۡنَ أَلَّا يَرۡجِعُ إِلَيۡهِمۡ قَوۡلٗا وَلَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدۡ قَالَ لَهُمۡ هَٰرُونُ مِن قَبۡلُ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي ﴿٩٠﴾ قَالُواْ لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرۡجِعَ إِلَيۡنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيۡتَ أَمۡرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي وَلَا بِرَأۡسِيٓۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقۡتَ بَيۡنَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَمۡ تَرۡقُبۡ قَوۡلِي ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطۡبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرۡتُ بِمَا لَمۡ يَبۡصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضۡتُ قَبۡضَةٗ مِّنۡ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذۡتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتۡ لِي نَفۡسِي ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذۡهَبۡ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَۖ وَإِنَّ لَكَ مَوۡعِدٗا لَّن تُخۡلَفَهُۥۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلۡتَ عَلَيۡهِ عَاكِفٗاۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلۡيَمِّ نَسۡفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَسِعَ كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمٗا ﴿٩٨﴾﴾(١٤٣)

وهكذا نجد عنصر المفاجأة يظهر بطريقة فنية في القصة يجعلها أكثر حماسا وإثارة وأدعى لمتابعة القصة بكل شوق لظهور المواقف المفاجأة، والغير متوقعة، ولكنها جاءت لحكمة إلهيه أرادها الله –تعالى–.

المبحث السابع
واقعية العقد المتسلسلة

وننتقل إلى عنصر آخر من عناصر التشويق ألا وهو طبيعية العقدة وواقعيتها، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡقَصَصُ ٱلۡحَقُّۚ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٦٢﴾﴾ [آل عمران:٦٢]، وكانت عقد القصة من الصعوبة بمكان، حيث تسلسلت في انسيابية تامة، وترتب بعضها على بعض، بدءً من إلقاء الوليد موسى عليه السلام في اليم، قال تعالى: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٧﴾﴾ [القصص:٧]، ولكن كيف بالأم تلقيه في اليم، ولا تخاف، ولا تحزن؟ وكيف سيرد إليها مرة ثانية بحول الله تعالى وقوته؟ ثم يلتقطه عدوهم الأكبر فرعون ويتربى في حجره، قال تعالى: ﴿فَٱلۡتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرۡعَوۡنَ لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوّٗا وَحَزَنًاۗ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾﴾ [القصص:٨]

وتصل العقدة إلى قمتها بجوع الوليد، وعدم قبوله المرضعات على اختلافهن، قال تعالى: ﴿۞ وَحَرَّمۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَرَاضِعَ مِن قَبۡلُ فَقَالَتۡ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰٓ أَهۡلِ بَيۡتٖ يَكۡفُلُونَهُۥ لَكُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾﴾ [القصص:١٢]

ومن هذا التعقيد يولد بعض الفرج، ويحل جزء من العقدة برجوع الوليد إلى أمه، وقبوله الرضاعة منها، ﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾ [القصص:١٣] وتعود العقدة بقتله للمصري، وخروجه من مصر خائفا مترقبا، قال تعالى: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾﴾ [القصص٢٠:٢١]

وعقدة(١٤٤) ضمان نجاح الحوار والمناظرة المتوقعة، وحاجته إلى معونة أخيه هارون -عليه السلام- لفصاحة لسانه، قال تعالى: ﴿وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [القصص٣٤:٣٥]

وعقدة الحوار مع فرعون وجنوده، ورفض دعوة التوحيد، والطريق المسدود بينهما، قال تعالى: ﴿وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [القصص:٣٩]، وبعد حين من الدهر نرى الحل التدريجي للعقدة بعقاب فرعون وآله لعلهم يرجعون، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾﴾ [الأعراف:١٣٠]، وقال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [الأعراف:١٣٣] وإذا بالحل النهائي المفاجيء للعقدة، والنهاية الغير متوقعة(١٤٥) لغير المؤمنين، والمتيقنة للمؤمنين بأن يجعل الله تعالى هلاك فرعون على يد من رباه صغيرا، قال تعالى: ﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [القصص:٤٠]

المبحث الثامن
المقدمات المفضية إلى النتائج

إن قصة موسى عليه السلام مع فرعون عليه اللعنة زاخرة بالأحداث الكثيرة، مع بعض الاختلاف في الأزمنة والأمكنة، وقد مهدت هذه الأحداث والمقدمات المختلفة، والتي يترتب بعضها على بعض، بصورة منطقية يقبلها العقل السليم، بداية من تجبر فرعون على بني إسرائيل بذبح الرجال والأطفال، واستحياء النساء، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾﴾ [القصص:٤]، ثم زعم فرعون ملك مصر، قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ

﴿٥١﴾ ﴾ [الزُّخرُف:٥١]، ثم تكذيب موسى -عليه السلام-، والتحدي بالسحرة، قال تعالى: ﴿ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرۡعَوۡنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ لَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحۡنُ ٱلۡمُلۡقِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾ [الأعراف١١٣:١١٥]

وتصل الأحداث إلى ذروتها بطلبه بناء الصرح، وادعائه الألوهية، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي فَأَوۡقِدۡ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجۡعَل لِّي صَرۡحًا لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسۡتَكۡبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ إِلَيۡنَا لَا يُرۡجَعُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [القصص٣٨:٣٩]

ثم زعمه للربوبية، قال تعالى: ﴿ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾ [النازعات:٢٤]، وتزداد العقد تعقيدا بإيمان من استعان بهم فرعون لنصرته -السحرة-، وتهديد فرعون لهم، قال تعالى: ﴿ قَالَ فِرۡعَوۡنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكۡرٞ مَّكَرۡتُمُوهُ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لِتُخۡرِجُواْ مِنۡهَآ أَهۡلَهَاۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [الأعراف١٢٣:١٢٤]

وتسلمنا هذه العقد إلى عقدة انقلاب الرأي العام للمفسدين، ومساندتهم لفرعون في طغيانه ضد موسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَنَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡ وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ [الأعراف:١٢٧]، والشروع في قتل نبي الله تعالى، ومن تبعه من المؤمنين، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [غافر:٢٦]، فكانت هذه المقدمات(١٤٦) مؤدية إلى نتائج حتمية منطقية، يسلم بها كل من كان له شيء من العقل، أو ذرة من تفكير، وهو هلاك المتجبرين، والمتكبرين في الأرض، قال تعالى: ﴿ فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [القصص:٤٠]، ومن ثم يكون المن والتمكين في نهاية المطاف للمستضعفين، قال تعالى: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنُرِيَ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنۡهُم مَّا كَانُواْ يَحۡذَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [القصص ٥:٦]

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، على أن يسر لي إتمام هذا البحث، وجعله خالصا لوجهه الكريم، ومن أهم النتائج التي خلصت إليها هذه الدراسة:

- الوقوف على أساليب التشويق في قصة موسى عليه السلام من خلال القصص القرآني.
- بيان مفهوم التشويق في القرآن الكريم

– المفاجأة ودورها المحوري في القصص القرآني.
– جذب الانتباه الذي يُعدُّ ركيزة أساسية في القصص القرآني.
– تفصيل مواضع مختلفة من القصص القرآني لموسى –عليه السلام– في ضوء الخصائص العامة لأسلوب التشويق وبيان أثرها على القارئ والسامع.

المقترحات:

– أدعو طلاب التفسير وعلوم القرآن، والعلوم الشرعية والعربية والبلاغية، الاهتمام بدراسة أساليب التشويق وأثرها في القصص القرآني، ولتكن سلسلة تشمل القصص القرآني في أجزاء وأحزاب القرآن الكريم من أوله إلى آخره، وفق أسس ومعايير ثابتة تحكم العمل الأكاديمي ؛ لتأتي على نسق فريد ؛ ليكون له أكبر الأثر في هداية الناس وهو السبب الرئيس لنزول القرآن الكريم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

هوامش البحث:

(١) سورة الحج آية (٤١).
(٢) سورة النور آية (٥٥).
(٣) ابن منظور،لسان العرب "مادة "شوق" ط٤، ج١٠، ص١٩٢.
(٤) رينهات بيتر، تكملة المعاجم العربية ط٢،ج٦، ص ٣٨٢.
(٥) الزبيدي تاج العروس من جواهر القاموس ط٢،ج٢٥، ص ٥٤٠.
(٦) محمد قاسم كتاب علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني ط١، ص٢٩٨.
(٧) حصة عبد الكريم،أهمية دراسة السيرة النبوية للمعلمين ط١، ص: ٣٥.
(٨) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه ط٣، ج٦، ص١٩٢ برقم:٥٠٢٧
(٩) عبد الرحمن بدوي،مناهج البحث العلمي، ط٢، ص ١٨.
(١٠) المرجع السابق ص١٨.
(١١) الرومي فهد ا دراسات في علوم القرآن ص: ٩
(١٢) تفسير الرازي مفاتيح الغيب ص١٤/ ٣٣٧ج
(١٣) المنصور فوري رحمة للعالمين ص: ٧٢٤
(١٤) المنار في علوم القرآن مع مدخل في أصول التفسير ومصادره ص: ٤١
(١٥) ينظر الحمود علي بحث بعنوان من اساليب التشويق في قصص القران
(١٦) الراغب عبد السلام، وظيفة الصورة الفنية في القرآن، ط١، ص ٢٦٣.
(١٧) sh.rewayat٢.com .
(١٨) التهامي نقرة، سيكولوجية القصة في القرآن، ط١٤٤،١ تونس
(١٩) الخطيب عبد الكريم، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ط٢، ص ١١٢
(٢٠) الجرجاني، أسرار البلاغة، د.ط، ص ٤١.
(٢١) سورة القصص آية ١٢.

([22]) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ط٢، ج٢٠، ص٨٣.
([23]) الراغب عبد السلام، وظيفة الصورة الفنية في القرآن، ط١، ص ٢٧٨.
([24]) خليل إبراهيم، الأسلوبية ونظرية النص، ط١، ص ١١٨.
([25]) سورة القصص آية ١٠.
([26]) الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ط٢، ص٥٦٧.
([27]) سورة الأعراف آية ١٥٤.
([28]) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ط٢، ج١٠، ص١٢٢.
([29]) قطب سيد، التصوير الفني في القرآن، ط٤، ص٩٥.
([30]) الخالدي، القصص القرآني، ط١، ص٣٢٣
([31]) سورة القصص آية ٢٥
([32]) الخالدي، القصص القرآني، ط١، ص٣٣٢.
([33]) السامرائي، التعبير القرآني ط٢، ص٣٣٠.
([34]) الخالدي، القصص القرآني، ط١، ص٣٩
([35]) سورة القصص آية ١١-١٢
([36]) سورة القصص آية ٩
([37]) سورة القصص آية ٧
([38]) سورة غافر آية ٢٨-٢٩
([39]) سورة القصص آية ٧٦.
([40]) الخالدي، القصص القرآني، ط١، ص٤٤.
([41]) قطب سيد، التصوير الفني في القرآن، ط٤، ص١٦٢.
([42]) سورة الأعلى آية ١٩.
([43]) سورة النجم آية ٣٦.
([44]) سورة طه آية٩-١٣.
([45]) سورة الفرقان آية ٣٥-٣٦.
([46]) سورة مريم آية٥١:٥٣.
([47]) www.alsadrain.com.
([48]) سورة الشعراء آية ١٠-١٦.
([49]) سورة القصص آية ٣٨.
([50]) سورة يونس آية٩٠-٩٢.
([51]) سورة هود آية ٩٦-٩٩.
([52]) سورة غافر آية ٢٦-٢٧.
([53]) سورة غافر آية ٢٨-٣٥.
([54]) سورة الزخرف آية٥١-٥٦.
([55]) سورة الذاريات آية ٣٨-٤٠.
([56]) سورة البقرة آية ٦٧-٧٣.
([57]) سورة النساء آية ١٥٣.
([58]) سورة المائدة آية ٢٠-٢٦
([59]) قطب سيد، التصوير الفني في القرآن، ط٤، ص١٦٢.

(٦٠) محمود شيخون، أسرار التكرار في لغة القرآن، ط١، ص٦٥.
(٦١) المرجع السابق، الصفحة نفسها.
(٦٢) محمود شيخون، أسرار التكرار في لغة القرآن، ط١، ص٦٥.
(٦٣) قطب سيد، التصوير الفني في القرآن، ط٤،ص ١٢٧.
(٦٤) مصطفى حسن، الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية، ط١، ص ١٤٥.
(٦٥) سورة الأعراف آية ١٠٣.
(٦٦) سورة طه آية ٢٤.
(٦٧) سورة الأعراف آية ١٠٣.
(٦٨) سورة يونس آية ٧٥.
(٦٩) فاضل السامرائي، التعبير القرآني ط٢، ص١٦٧.
(٧٠) سورة البقرة آية ٢٤٥-٢٤٦.
(٧١) سورة الأعراف آية ١٠٣.
(٧٢) سورة الأعراف ١٠٩-١٢٦.
(٧٣) فاضل السامرائي، التعبير القرآني، ط٢، ص٣٣٣.
(٧٤) سورة الشعراء ٣٤-٥١
(٧٥) فاضل السامرائي، التعبير القرآني، ط٢، ٣٣٤
(٧٦) سورة البقرة آية ٥٧-٦٠
(٧٧) سورة الأعراف آية ١٥٩-١٦٢.
(٧٨) سورة البقرة آية ٤٧.
(٧٩) فاضل السامرائي، التعبير القرآني ط٢، ٣٢٠.
(٨٠) سورة الكهف آية ٦٧.
(٨١) سورة القصص آية ٢٩-٣٢.
(٨٢) ابن تيمية،مجموع الفتاوى، د.ط، ج٩، ص ١٢.
(٨٣) www.islamek.net.
(٨٤) سورة الأنبياء آية ٤٨-٥٠.
(٨٥) صحيح مسلم،كتاب الفتن وأشراط الساعة،باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل، فيتمنى. رقم ٥٣٣٤.
(٨٦) التهامي نقرة، سيكولوجية القصة في القرآن، ط١، ص٤١١.
(٨٧) سنبل أحمد، الحوار القرآني بين التفسير والتبصير، ط١، ص٩-١٠.
(٨٨) سورة طه آية١١ -٣٦.
(٨٩) سورة طه آية ١٢.
(٩٠) قطب سيد، في ظلال القرآن، ط٥، ج٤، ص٢٣٣٠.
(٩١) سورة الأعراف، آية ١٠٩-١٢٦
(٩٢) سورة القصص آية ٢٣ -٢٦.
(٩٣) سورة البقرة آية ٦٧-٧٣.
(٩٤) سورة طه آية ٩٢-٩٤.
(٩٥) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، د.ط، ص ٦٧٢.
(٩٦) سورة الأعراف آية ١٥١.

([97]) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ط٢، ج٣، ص٧١.
([98]) سورة القصص آية ٣٣.
([99]) الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ط٣ج٦،ص٤٠٤.
([100]) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ط٢،،ج٢٠،ص١٦٥.
([101]) سورة طه آية ٦٨/٦٧.
([102]) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٦،ج٨،ص٢٥٩.
([103]) سورة طه آية ٥٨.
([104]) السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، ط٣، ج١،ص٣٣٨.
([105]) سورة البقرة آية ٣١.
([106]) سورة طه آية ٩٧
([107]) الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ط٣، ج١٦،ص٢٩٧
([108]) أبو حيان، شرح التسهيل، ط٢، ج١٣،ص١٥٥.
([109]) سورة القصص آية ٢٧
([110]) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ط٢، ج٢٠، ص١٠٥
([111]) سورة القصص آية ٢١
([112]) عباس فضل، البلاغة فنونها وأفنانها، ط١، ص٣٨٥.
([113]) ابن أبي الإصبع المصري، بديع القرآن، ط٢، ص٣٠٥.
([114]) سورة القصص آية ٣٢.
([115]) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ط٢، ج٣، ص٦٥.
([116]) ابن الأثير: المثل السائر، ط٢، مج٢، ص١٥٣.
([117]) سورة طه آية ٦١.
([118]) الزمخشري، الكشاف، ط٣، ج٢، ص٤٣٨.
([119]) سورة القصص آية ٥.
([120]) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ط٢،ج١٠،ص٧
([121]) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ط٢، ج٢،ص٤٧٧.
([122]) سورة طه آية ٣٨-٣٩
([123]) سورة الأعراف آية ١٤٢
([124]) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ط٢، ج٢،ص٨٧
([125]) عبد الغني بركة، أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومنهاجا، ط١، ص٣٠٣.
([126]) عوضين إبراهيم، البيان القصصي في القرآن الكريم، ط١، ص ١٣٦.
([127]) سورة طه آية ٩-١٠.
([128]) البوطي، من روائع القرآن، ط٢، ص ٢٠٠.
([129]) سورة طه آية ١١-١٦
([130]) سورة طه آية ١٧

([131]) www.alro٧.net.
([132]) www.konoozalislam.com
([133]) www.alro٧.net
([134]) www.konoozalislam.com

(١٣٥) www.alro٧.net

(١٣٦) سورة الأعراف آية ١١٧-١٢٦

(١٣٧) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٧ ص١٢٣

(١٣٨) سورة طه آية ٨٣-٨٥

(١٣٩) سورة طه آية ٨٦-٩٧

(١٤٠) قطب محمد، القصة في القرآن، مقاصد الدين وقيم الفن، ط٢، ص٣٠٤.

(١٤١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب ما ذكر في ذهاب موسى ﷺ في البحر إلى الخضر، ج١، ص ٢٦، برقم: (٧٨)

(١٤٢) سورة طه آيه٨٣ -٨٥

(١٤٣) سورة طه آيه٨٦--٩٨

(١٤٤) كامل حسن، محمد: القرآن والقصة الحديثة، د.ط، ص٣٠ وما بعدها، بتصرف كبير، دار البحوث العلمية،

(١٤٥) كامل حسن، محمد: القرآن والقصة الحديثة، د.ط، ص٣٠ وما بعدها، بتصرف كبير، دار البحوث العلمية،

(١٤٦) كامل حسن، محمد: القرآن والقصة الحديثة، د.ط، ص٣٠ وما بعدها، بتصرف كبير، دار البحوث العلمية،

فهرس المراجع:

- القرآن الكريم
- إبراهيم، فتحي، ١٩٨٦م، معجم المصطلحات الأدبية، د.ط، القاهرة، المؤسسة العربية للناشرين المبتدئين.
- أديدميج عبدالحفيظ أحمد، أسلوب التشويق وأهم مترادفاته في البلاغة العربية -عرض وتحليل-)، أو (نظرية التشويق وأهم مترادفاته بين البلاغيين والأدباء) حيث ورد الاسمان للبحث، جامعة قونتتين، أوشويو، ولاية أوشن، نيجريا.
- الألباني، محمد ناصر الدين، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م، صحيح الجامع الصغير، ط٣، بيروت، المكتب الإسلامي.
- الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني، ١٤١٥هـ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية.
- باحاذاق. عمر محمد عمر، الجانب الفني في قصص القرآن الكريم، ١٤٠٣هـ:١٩٨٣م دار المأمون للتراث، دمشق.
- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، ١٤١٩هـ، صحيح البخاري، ط٢، الرياض: دار السلام.
- البدر، عبد الرزاق بن عبد المحسن، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م، فقه الأسماء الحسنى، ط٢، المدينة المنورة، مكتبة الملك فهد الوطنية.
- البغا، مصطفى ديب،وآخر، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨م، الواضح في علوم القرآن، ط٢، دمشق، دار الكلم الطيب، ودار العلوم الإنسانية.
- البغوي، أبي محمد الحسين بن مسعود، ١٤٠٩هـ، معالم التنزيل، ط١، الرياض، دار طيبة.

- البوطي، محمد سعيد رمضان، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، من روائع القرآن-تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل، ط٢، بيروت، مؤسسة الرسالة.
- البيهقي، أبي بكر أحمد بن الحسين، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م شعب الإيمان، ط١، بيروت.
- التهامي، نفرة، ١٩٧٤م، سيكولوجية القصة في القرآن، د.ط، تونس، الشركة التونسية للتوزيع
- ابن تيمية، تقي الدين أبي العباس أحمد، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، النبوات، ط١، الرياض، د.ن.
- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني، ١٤١٦ هـ/١٩٩٥م. مجموع الفتاوى، ط١، المدينة النبوية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
- الثعلبي، أبو إسحاق أحمد محمد بن إبراهيم، ١٤٢٢هـ، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ط١، بيروت، دار احياء التراث العربي.